الم القراءة للجميع ، مكتبة الأسرة ٢٠٠٦ الأعال المدر مهرجان القراءة للجميع ، مكتبة الأسرة ٢٠٠٦ الأعال المدر راح ها على المرادة المرادة والشائد والمرادة والم

د. رفعت السعيد

التيارات السياسية في مصر (رؤية نقدية)

الماركسيون/الإخوان الناصريون/التجمع



التيارات السياسية في مصر (رؤية نقدية) الماركسيون/ الإخوان الناصريون/ التجمع

لوحة الغلاف

اسم العمل الفنى: حركة ١٩٧٥ التقنية: الوان زيتية وأكريلك التقنية: ٧٠ × ٩٨ سم محمد البناني (١٩٣٦ -)

هنان مغربي، درس الفن في مرسم شاربانتيه ومرسم چوليان وفي مدرسة الفنون بباريس، وهو مزخرف يجيد حياكة الأبسطة وأنوال السجاجيد، ويلتقى مع الفنون الأوربية في اتجاهاتها الحديثة، مع الحفاظ التام على عراقة الفنون العربية، وفي تجريده المنشور بالغلاف يمكننا أن نتامل بصريًا صورة المزاوجة بين المنجز العربي والمنجز الأوربي.

محمود الهندي

التيارات السياسية في مصر

(رؤية نقدية)

الماركسيون/ الإخوان الناصريون/ التجمع

د. رفعت السعيد



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٢ مكتبة الاسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك (سلسلة الأعمال الفكرية)

التيارات السياسية في مصر (رؤية نقدية)

الماركسيون/ الإخوان الناصريون/ التجمع

الفنان: محمود الهندى

صيرى عبداالواحد

د. سمير سرحان

د. رفعت السعيد

المشرف العام:

الإخراج الفنى والتنفيذ:

الغلاف والإشراف الفني:

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم:

نعم استطاعت مكتبة الأسرة بإصداراتها عبر الأعوام الماضية أن تسد فراغا كان رهيباً في المكتبة العربية وأن تزيد رقعة القراءة والقراء، بل حظيت بالتفاف وتلهف جماهيري على اصداراتها غير مسبوق على مستوى النشر في العالم العربي أجمع، بل أعادت إلى الشارع الثقافي أسماء رواد في مجالات الإبداع والمعرفة كادت أن تنسى وأطلعت شباب مصرعلى ابداعات عصر التنوير وما تلاه من روائع الإبداع والفكر والمعرفة الإنسانية المصرية والعربية على وجه الخصوص. ها هي تواصل إصداراتها للعام التاسع على التوالي في مختلف فروع المعرفة الإنسانية بالنشر الموسوعي بعد أن حققت في العامين الماضيين إقبالاً جماهيرياً رائعاً على الموسوعات التي أصدرتها. وتواصل إصدارها هذا العام إلى جانب الإصدارات الابداعية والفكرية والدينية وغيرها من السلاسل المعروفة وحتى إبداعات شباب الأقاليم وجدت لها مكاناً هذا العام في ومكتبة الأسرة، .. سوف يذكر شباب هذا الجيل هذا الفضل لصاحبته وراعيته السيدة العظيمة/ سوزان مبارك..

د. همیر سرحان

بسدايسة

كل ما يتذكره المصريون - ولستُ أدرى لماذا - عن هيرودوت أنه قال: «مصر هبة النيل» ربما لأنهم عشقوا النيل، وتعلقوا بقطرات مائه العطرة.

لكن هيرودوت - وباللدهشة - قال أشياءً غريبة ومدهشة عن مصر. لعلها تكشف عن الحقيقة المصرية العميقة الوجود، ولعلها تكشف -وهذا طبيعى - عن عمق فهمه هو لمصر.

ولعل من أهم ما قاله هيرودوت عن مصر، الجملة الأولى التي بدأ بها حديثه عنها.

«سوف أتكلم كثيراً عن مصر ففيها من الأشياء الغريبة ما يستحق ذلك».

ومصر هكذا فعلا.

ولعلنا تحدثنا كثيرا عن ذلك. أنا شخصياً قلته وكتبته كثيراً. لكنها كانت عبارات عابرة لعلها كانت وليدة اللحظة، أو إنعكاساً لحالة تأمل وقتية.

لكننى ما أن حاولت هذه الكتابة عن التيارات السياسية المصرية حتى اكتشفت ذلك. فهذا الكائن العملاق، المحلق فى أعماق التاريخ، الراسخ عبر الزمن، المحير، الجامع، الهادئ والجامح فى آن، المتألق والمنزوى، القائل ويأعلى صوت ولكن فى صمت مهيب، هذا الكائن المسمى مصر، يمنحك كنما تأملته، وحاولت دراسته، إحساساً بأنك مبتدئ لم تزل، وأن كل ما قلته وتخيلت انه جامع مانع أو شبه ذلك، هو مجرد نسمة عابرة أو قطرة من ربح دافق وموج لا ينقطع. وأنك نسيت، أو لم تعرف، أو لم تدقق، ولم تكتشف، أو أخطأت التقدير والقياس.

هذا الكائن الغامض فى تألق السمى مصر لم أكتشف مدى عمق البئر الذى تكمن فيه حقيقته الاعندما بدأت أبحث فى تياراته الساسية.

فهذا المنحنى – وهو مجرد منحنى في مجرى هادر – الذى شكل أو تشكلت من خلاله التيارات السياسية إمتلاً أمام عينى بحقائق كانت غائبة.وبتكوينات قايزت عن مثيلاتها فى بلدان أخرى. فالسياسيون هنا فى هذا الكائن ومهما تياينت توجهاتهم ليسوا كغيرهم ممن إتخذوا ذات المنحى، أو إرتدوا ذات المسميات.. وكان هذا طبيعياً، فمصر عندما تحضر فى مكون فكرى ما، تفرض عليه مصريتها.. إيجاباً أو حتى سلاً.

* * *

والقطرة الأولى من مجرى هذا التأمل، تكشف أو تكتشف هي أيضا

شيئا مثيراً للدهشة.

هو أن البداية دوماً بدأت من مصر. فإن لم تكن نبسًا مصرياً أغمضت مصر عندها عنه.

فالحركة الماركسية المصرية إمتدت جذورها إلى تسعينيات القرن التاسع عشر، وقد أمكن بالبحث المدقق العثور على وثائق مطبوعة في عام ١٨٩٤ وزعت جماهيريا تدعو «العلمة المصريين» [أي العمال] للاحتفال بذكري كوميونة باريس». وتختتم الدعوة بشعار حماسي

«فلتحيا الشيوعية وليسقط الموسرون الضوارى». وربا - أقول ربا - كان هناك وجود لتجمعات ماركسية قبل ذلك. وهذا طبيعى. فليس منطقياً أن يصدر تجمع ما بياناً كهذا، ثم يطبعه ويوزعه دون أن يكون قد إستقر موجوداً لأمد ما.

وبهذا تكون «الماركسية» قد أتت إلى مصر قبل كل بلدان العرب وإفريقيا والشرق الأوسط، وربما قبل مساحات واسعة أخرى من العالم.

وحركة «الاخوان المسلمون» [١٩٢٨] كانت الأولى في كل النطاق الاسلامي التي أرست فكرة أسلمة السياسة في الزمن الحديث، والدعوة في المرحلة الحديثة لقيام دولة إسلامية عبر سيطرة حزب سياسي علي السلطة.

ولم تكن الاولى فحسب ،بل كانت الأم والحاضنة، والمنبع الفكرى

والعملي لأغلب الحركات والاحزاب المماثلة في العالم.

والناصرية من ناصر. وناصر هو مصر العقدين الأكثر صعوداً في تاريخ المنطقد كلها ١٩٥٢ - ١٩٧١.

وكل من يأتى إلى ساحة الناصرية من خارج مصر هو نوع من الفراشات التى تحلقت حول مصباح عبد الناصر، سواء أثناء وجوده، أو حتى بعد رحيله. فالعطر بقى مشحونا بالعبق لأمد، وربا سيبقي كذلك لآماد.

وحتى التجمع. الفكرة والمارسة التى تستدعى قيام حزب متكامل الأركان، منضبط الوجود والأداء، منتظم فى نظامه الخزبى، و..متعدد التيارات والاتجاهات الفكرية والسياسية، كان إبتكاراً مصرياً خالصاً.

ولقد تتابع الكثيرون في بلدان عربية كثيرة لاتخاذ ذات الاسم، وإن كنت لا أعتقد أنهم إتخذوا ذات التوجه، أو إكتسبوا ذات السمات الميزة.

* * *

لكن مصر تواصل عنادها..

أرى العنقاء تكبر أن تُصادا

فعائد ما استطعت له عنادا.

فهى لا تكتفى فقط بأن تكون الأولى .. تاركة بصماتها، وعلامتها المسجلة على ما صنعت، لكنها - وباللغرابة أو قل ما شئت - تعرض عن كل ما أتى من خارجها من تيارات. كانت ملئ السمع والبصر فى بلدان عربية كثيرة، وحققت نجاحات وإنجازات، حكمت وحوكمت وتحكمت، قدمت فكراً يستحق أن يدرس وإن يتم التعمق فيه، ففيه ما يستحق ذلك. ولم تزل وحتى الأن تقدم المزيد من الجهد ومن الفعل ومن التأثيرلكن المصريين – وباللدهشة – وبرغم محاولات دائبة من هاتين الحركتين والانظمة السياسية التي حكمت ولم تزل باسمها.. لم تشمر فى مصر ثمرة تكاد أن تذكر.

ولقد تصور البعض ان السطوة الناصرية قد أجهضت محاولات إقتراب هذا الجنين من الرحم المصرى، ولقد يكون هذا صحيحاً بعض الشئ، أقول بعض الشئ لأن التيارات الأخرى الشيوعيون والاخوان تعرضوا لكل العسف الناصرى.. وبقوا. وأيضا ماذا عن فترة ما بعد الحكم الناصرى؟ حاولوا.. ودون جدوى.

«الفعلة كثيرون والحصاد قليل»

SISU

هذا السؤال يحيرنى.. فهل من أحد يساعد في البحث عن إجابة مقنعة؟

* * 1

ولقك أتعبتني هذه الكتابة.

فمنذ البداية سألتْ.. هي ،أقصد أن الكتابة هي التي تساءلت. ماذا

تريد بالضبط؟

هل تريد كتابة تأريخ جديد لهذه التيارات الأربع؟ ألم تفعل ذلك من قبل؟

فعن الشبوعيين كتبت خمس مجلدات عن تاريخ الحركة الشيوعية المصرية وايضا كتبت: ماركسية المستقبل وكتابات عن الماركسية، ودراسات أثارت إبتهاج الخصوم الفكريين وغضب الاصدقاء، مع أن العكس هو المفترض، بل والواجب في إعتقادي.

وعن الاخوان كتبت الكشير [حسن البنا، متى وكيف ولماذا؟، وصفحات من تاريخ جماعة الاخوان، والصمت لا، ماذا جرى لمر؟ ضد التأسلم، الارهاب إسلام أم تأسلم، الارهاب يبدأ فكراً- وعشرات من المقالات والدراسات]

وعن الناصرية [تأملات في الناصرية، أوراق ناصرية في ملف سرى للغاية، الجرية وثائق اغتيال شهدى عطية الشافعي.. وتكاد الناصرية أن تستغرق قسماً كبيراً من الجزءين الاول والثاني من ثلاثية «مجرد ذكريات».

وأيضا مقالات وحوارات كان بعضها هادئاً، والبعض الآخر عاصفاً] وعن التجمع كان الجزء الثالث من مجرد ذكريات.

فما هو الجديد إذن؟

هل تبحث عن معلومات جديدة؟. أم تنقب في حفريات الواقع عن

معطيات لم تعطها في كتاباتك السابقة ٢

أم أنك ستقوم بمحاولة للمقارنة بين هذه التكوينات الأربع. ؟ أم بتحليل وتقييم؟

أم هو التكرار. فإن كان تكراراً فلا لزوم لما لا يلزم. وإن كان محاولة لأصدار أحكام وتقبيمات فإن من حق القارئ أن يطعن بسبق الفصل في القضية.

والحقيقة أننى عندما فكرت، وحاولت، وكتبت، لم أكن أريد شيئا من ذلك.

ما أردت وآمل أن أكون قد حققت بعضاً من نجاح فى ذلك - هو أن أضم فى كتاب واحد، دراسة موثقة ومدرسية عن هذه التيارات، دراسة تحاول أن تتلمس التاريخ، والمحتوى الفكرى والمعارسة والتعاثيج، واحتمالات المستقبل.

وهذه تختلف عن كتاباتى السابقة عن أى من التيارات الأربعة فإن كنت قد نجحت أكون قد حققت ما قنيت. وهو - فى إعتقادى - أمر هام ومفيد للغاية، وإن لم أكن فللقارئ إعتذارى. ولآخرين من الباحثين الاكثر جدارة أن يقتحموا هذا الموضوع الصعب والهام جداً.

فمصر تكاد أن تكون الآن في مفترق الطرق. تتلفت، تشأمل، تستعيد ماكان، كل ما كان، وتتطلع إلى إحتمالات المستقبل، ونُذره، ثه.. أكاد أتخيلها وهي تطيل التمعن والتأمل ثم تجمع أطراف ثوبها، وتحسم أمرها.. وتختار طريقها القادم.

ولهذا فإن كتابة كهذه، ولا أقصد هذه التى بين يديك. وإنما هذه التى أردتها وتمنيتها.. تصبح ضرورية وحاسمة.

ولهذا أيضا فإن رؤية واحدة - ومهما كانت - لاتكفى. فإن الأمر يحتاج لعشرات - وربما أكثر - من الدراسات فى ذات الموضوع.. فهو يستحق، وهو يحتاج، فالأمر أعمق وأعقد وأهم من أن يحتويه كتاب واحد.أو يقوم به كاتب واحد.

فلتكن هذه الكتابة بداية. أو لتكن دعوة، أو حتى مشاغبة تستشير الأخرين للغوص فى هذا البئر المفعم بالحكمة، والتفاعلات، والانفعالات، والاحداث، والافكار، والتخبط، والاخطاء، والنجاحات،وهذه الدعوة مفتوحة للجميع، وأكاد أعتقد انها واجب ملزم لكل من يستطيع.

فالأمر يستحق. . بل هو ضروري.

* * *

ولايد أن نظره على الغلاف ستعلن للقارئ أن ثمة تياراً ناقصاً. هو التيار الليبرالي.

ولعلي أود هنا أن أفرق وبوضوح بين الليبرالية الفكرية، والليبرالية لسياسية.

فالليبرالية الفكرية بمذاقها الحديث أقصد الغربي وفدت إلى مصر

مبكراً هى أيضاً. رفاعة الطهطاوى [تخليص الابريز في تلخيص باريز، مناهج الألباب المصرية، المرشد الامين في تعليم البنات والبنين] والشيخ حسين المرصفى (الكلم الشمان) وجمال الدين الافغاني [خاطرات جمال الدين وكتابات أخرى عديده].. والحركة العرابية بتوجهاتها المطالبة بالحرية والديقواطية.

ثم كانت الموجة الثانية تالية لها دون فاصل زمنى كبير . ، شبلى شميلي، فرم أنطون، نقولا حداد، ولى الدين يكن . .

والفارق بين الموجتين متسع، رغم أن الفاصل الزمني ضيق.

الموجه الأولى مصرية المنبع [فيما عدا الافغاني] وإسلامية أو بالدقة أزهرية المذاق، بينما الثانية كانت في أغلبها قادمة من الشام أو من منبع تركى [ولى الدين يكن]. وإذ إتخلت الأولى منحي مطالباً بحكم وطنى ديقراطى، مصرى مُعاد لأى تداخل اجنبي حتى ولو كان تركياً يتستر تحت عمامة الخلافة الاسلامية، ومصمم - في نفس الوقت- على مذاق إسلامي واضح، يتخذ أحياناً كمنهج قادر على إقناع المترددين، والمناوئين، والخصوم ، والخائفين من الانزلاق نحو الغرب.. فتتماثل مع غير المسلمين م الأجدر بالتمسك بهذه الدعوة التحريه والتقدمية في آن.. بينما الموجة الثانية قد أتت هارية من العسف العثماني بسيحيى

الشام، ووجدت ملجأ في مصر التي يحكمها - في الواقع العملي -الانحليز، وأيضيا ولى الدين يكن رغم كونه مسلمياً وقيريب جيداً من الصفوة العثمانية الحاكمة، فقد عاني كثيراً بسبب دعواته وكتاباته المطالبة بالحرية والدعقر اطبة، وانطبقت عليه تماماً قولته الشهدة «مساكين هم أنصار الحرية يأتون ليفكوا عنها قيودها، فيقعون هم في الأسر». الجميع أتوا ليجدوا أماناً وطمأنينة في مصر. يكتبون ما يشاءون. أرخى لهم الانجليز الحبل حتى نهايته.. ليقولوا ما يشاءون فقط لا يتحدثون عن الاحتلال، وضرورة رحيله عن مصر. وابتلعوا الطعم، فجاءت بعض كتاباتهم مدحاً للانجليز.. فإنفصمت كل علاقة بين ما يكتبون عن العلم والعقل والعدل والحريه وإطلاق الحق في التفكير... وحرية القول والكتابة كل ذلك الذي أتى في مجلدات رائعة، وكثيرة، سقط عاماً، ولم يعره المصريون التفاتأ، بل على العكس نظروا اليه بإرتباب .. بسبب بضع جمل مدحوا فيها الاحتلال. ولقد كان المصربون على حق تماماً.

ليبرالتيهم كانت عرجاء كانوا يتحدثون عن حريه الفرد.. المواطن، ولا يأبهون بحرية الوطن.

ولعل مصر قد كتب عليها دوما أن تعيش حاله الليبرالية العرجاء هذه.. فهؤلاء الليبراليون نسوا حرية الوطن وتشبشوا بحرية المواطن، بينما تشبث عدد من الحكام سعد زغلول وعبد الناصر - كمثال - بحرية الواطن. بعرية الواطن. ثم أجهز أصحاب الموجة الليبرالية الثانية على كل علاقة لهم بالمواطن عندما تصور البعض من قرائهم أنهم بتحدون الدين، أو الفكر الديني.

وهكذا كانت الموجه الليبرالية الثانية برغم إنجازاتها الفكرية الغزيرة، والرفيعة المستوى، والمتسمة بالشجاعة، وبالأعلي الفكرة الليبرالية ذاتها، لأنها أوقعت «الفكرة» في مأزق الرفض الجماهيرى لها.. فقد مسّّت أغلى شيئين على القلب المصرى.. الدين والوطن.

. وإذا أتينا إلى الليبسرالية السياسية، فقد تبناها في السداية تقيضان..

الحزب الوطنى [مصطفى كامل - ومحمد فريد] وحزب الأمة [أحمد لطفى السيد. محمد حسين هيكل]

والفارق المثير للدهشة أن الاكثر ليبرالية فيهما [حزب الامة] كان الأقل حماساً في المعركة ضد الاحتلال، أو إن شئنا الانصاف كان يرى أنها معركة طويلة الأمد، لا يمكن خوضها دون إعداد الجماهير المصرية بالتعليم والوعى وقد يحتاج ذلك إلي وقت طويل. وكان كذلك قريبا من كار الملاك العقار بن.

ثم كان الحزب الأساسى لليبرالية السياسية حزب الوفد، لكن الأمر لم
يكن هنا أيضاً خالياً من التعقيد المثير للارتباك .. فسعد زغلول الذي
خاض معركة تحرير الوطن بضراوة وتشدد فاصل بينه وبين دعاة التهدنه،
وطول البال، والتدرج الذين أسسوا فيما بعد حزب الاحرار الدستوريين،
سعد زغلول الذي أصبح رمزاً لحرية الوطن، لم يهتم بحرية المواطن، أو
بالدقة لم يكن جاهزاً لحوض معارك تتعلق بحرية الرأى والفكر وبإعمال
العقل، ولعله إعتبرها معارك جانبية لا تستحق عنا التصادم من
أجلها. فمعركة حول كتاب «في الشعر الجاهلي» أو كتاب «الاسلام
وأصول الحكم» لم تكن ذات صدى عند سعد زغلول، بل لقد إتخذ منها

بينما الذى تصدى لهاتين المعركتين وبضراوة كان حزب الأقلية المتهادنة، حزب الاحرار الدستوريين، والذي إلتف حوله عديد من كبار الملاك العقاريين كمرفأ إستراح إليه الاحتلال، فإستراحوا هم إليه.

ولعب معهم الاحتلال لعبته مع الليبراليين الشوام.. ليقولوا ما يشاءون عن العقل والعلم والتحرر وحرية التفكير والليبرالية .. ماداموا لا يوجهون ضرراً لوجود الاحتلال. انها ذات المفاصلة بين حرية الوطن، وحرية المواطن.

وتزداد هذه البقعة من التاريخ السياسي تعقيداً عندما ندهش من أن

حزب الوفد الذى إعترض على تشكيل لجنة الثلاثين التى وضعت دستور ١٩٢٣، وأسماها ولجنة الاشقياء» مالبث وبعد أن أتجز الدستور، ووضع موضع التطبيق أن قضى حياته متعلقاً به، متحمساً له، بينما الذين صنعوه بأيديهم ما لبثوا أنكروه، وتحايلوا عليه، بل وتخلوا عنه، وعملوا ضده.

[ألبس من حقنا هنا أن نستعيد عبارة هيرودوت العبقرية التي بدأنا بها هذه المداية؟].

* * *

والهم هو أن كل ما سبق ومهما أسهبنا فيه، أو أغمضنا الأعين عن بعض تفاصيله، يؤكد على أهمية دراسة موضوع الليبرالية، بوجهيها الفكرى والسياسى، وعا بين الوجهين من تناقضات، والاسباب الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والسياسية لهذه التناقضات المتتالية.

وعلى أهمية دراسة حزب الوفد، حزب الليبرالية السياسية التاريخي دراسة متأنبة.

ولا يشفع لنا الاكتفاء بما كتبناه عن شقى الليبرالية [تاريخ الفكر الاشتراكي] وفيه تحدثنا عن رموز موجتى الليبرالية الفكرية، وثلاثة لبنانيين في القاهرة [وفيه ركزنا على أهم رموز الموجة الثانية] وكذلك [سعد زغلول بين اليمين واليسار، ومصطفى النحاس – السياسي

والزعيم والمناضل] لا يشفع لنا ذلك ، بل نكاد الآن وبعد قدر أزيد من المعرفة، وقدرة أكثر على التأمل، أن نقرر أن هذه الكتابات ليست كافية.

وسيحتاج الأمر.. إن أتيحت لنا مساحة أخرى من عمر، أن نعد دراسة عن الليبراليه.

وبهذا يكتمل الضلع الخامس لأضلع التيارات السياسية المصرية.

* * *

والشد توقفت أمام كيفية ترتيب هذه الفصول. وكانت هناك أفضليات عديدة، لكننى وجدت أن الافضل، ربا كمعيار لا يغضب أحداً، وربا لسبب منهجى متعلق بتاريخية الحدث ودلالاته الاجتماعية - هو أن نرتبها حسب التتابع التاريخي لبزوغها.

ويبقى ان نلاحظ -إحقاقا للحق - أن إعمال المعايير فيه بعض من عدم التكافؤ. فمن بين هذه التبارات الاربع تبار واحد تولى الحكم فإستفاد من ذلك وأضير. إستفاد إستفادة بالغة بما أنجز ، وأضير ضررأ بالغنا بما إرتكب من أخطاء . وهناك تبار أسفر عن أنياب شائكة، وإستخدم الدين كستار سياسى وإستقوى به على الجميع، أو وفق تعبير أصحابه «إستعلى» به على الجميع، وقادتة أسلمة السياسة والفهم الخاطئ لحقيقة الاسلام، وحقيقة دعوته، إلى العنف والارهاب، فلحق به

حنق شديد، بل ولحق به ضرر بالغ بسبب تداعيات خرجت من عباءته فاقست من اللجوء إلي العنف والارهاب، فلحق به، أو ألحق به رذاذ كثيف من كل ما فعله «المتأسلمون» في كل مكان من العالم من إبن لادن وحتى متأسلمى الجزائر.ولعل هذا أمر مفترض بالنسبة للدعوات ذات الافق ما بعد الوطني.

وكذلك الامر بالنسبة للماركسيين الذين وجدوا قبل نشوء الاتحاد السوفيتى السوفيتى بربع قرن، لحق بهم أذي شديد بإنهيار الاتحاد السوفيتى والمنظومة التى نظمها حول نفسه، وهو أمر لم يكن من فعلهم.

وهكذا. ومهما أطلنا الكتابة، وهى مجرد محاولة، أتمنى ان تكمن قيمتها الأساسية فى مقدرتها على إستدعاء الكثيرين، ومنهم من هم أقدر وأجدر إلى ساحة الفحص والبحث والتدقيق والكتابة فى هذا الموضوع.

فلنبدأ ، لنواصل. وما من طريق آخر.

* * *

ثكن هذه البداية لا تكتمل بغير حديث ضروري حول الهدف من الكتابة.

فأنا أكتب بحثا عن الحقيقة متطلعاً نحو المستقبل - من وجهة نظرى طبعاً - ولست في هذه الكتابة أسعى للانتقام أو التشفى، لقد إنتقدت وسأواصل الانتقاد. للاصدقاء والخصوم. بل للأصدقاء قبل الخصوم السياسيين.

فالصدق ليس فقط فوق الصداقات، لكنه نور يكشف معدن الصداقة، وهو ضرورى كى تتلقح الفكرة إن إستوعبت النقد المخلص كمخصبات جديدة لعلها تمنحها مزيداً من القدرة والمقدرة.

ولست في هذه الاسطر أطمع كي أبرئ نفسسى من قبول سياتي فيغضب البعض، ولعلى قد إعتدت على هذا الغضب من الاصدقاء ومن الخصوم، وربا بشكل قاس وغير موضوعي بمن يفترض انهم حلفاء و.. أصدقاء.

ولعلى قد آليت على نفسى ألا أخشى من غضب الآخرين مادمت مقتنعاً عا أقول، ولعل هذا هو الذى علمنى ألا أغضب من غضب الآخرين، بل أعتبره دليلا علي أن نقدى لهم كان صائباً.

فلو أنهم إعتادوا فن إستيعاب نقد الآخر، والنظر النقدى للأفكار والمسات باعتباره عنصر حياة، وقوة دفع وليس مظهر عداء، لو أنهم فعلوا ذلك لكان نقدى لهم غير صائب. الانهم سيكونون قادرين بذاتهم وبالنظر الانتقادى من ذاتهم لذاتهم، على تصويب الاخطاء التي إنتقدتها. وحتى قبل أن أنطق بها.

لكنهم لم يفعلوا، لاتهم لا يريدون، ولا يؤمنون بذلك. ومن ثم فمن

الطبيعي ان يغضبوا غضباً شديداً لأى نقد.. لأنه يضع الملح في جرح مفتوح ورعًا متقبح، لكن أصحابه يعتزون به، ويرفضون علاجه.

وأنا أفهم ذلك وأتفهمه، أتقبله دون غضب، وأرثى له.

وهناك تساؤل طبيعى قاماً حول إمكانينة أن تكون الكتابة في موضوع كهذا محايدة.

ولعل القارئ وفور إمساكه بالكتاب سوف يواجهني بسؤال كهذا.

وإجابتي..و منذ البداية، صدقوني، لاأريد أن أخدع أحداً ولا أن أخادع نفسى. وأسالكم وأسأل نفسى.. في موضوع كهذا هل يمكن أن تكون الكتابة محايدة؟

هل يمكن أن تغمض العين عن كل ما فات؟ .. أم تذكره وتتذكره؟ إن تناسيته فإنت غير محايد. وإن ذكرته وذكرت الناس به وإن بأخف الألفاظ فأنت تتبدى وكأنك غير محايد، في نظر البعض على الأقل.

ثم.. هل يمكن الحديث عن مستقبل تيار أنت تعارضه وتعترض على مقولاته، وتخشى وتتحسب على مصير العقل، والعلم، والفن، والرأه، والحرية، وحق التعبير، وحريه الاختلاف. أقول هل يمكن الحديث عن مستقبل تيار التأسلم السياسى مثلا بشكل محايد؟ أم إن نوازعك ، ومخاوفك، تحيزاتك، وتقييماتك، بل وحتى أمنياتك سوف تفرض نفسها، أو تلقى بظل من ظلالها على ما تكتب؟

الحياد هنا أمر صعب. وحتى القديسين لا يكتهم فعله. من السهل الادعاء به، ولكن هل الإدعاء كاف لتحقيقه؟ وهل يمكن أن يبدأ إنسان كتابة كهذه مدعياً ما يعلم هو أنه غير ممكن؟ البعض عن يستحقون التكريم يُدعون أو حتى يصطنعون كثيراً أو قليلا من التواضع فيمكن ذلك بذاته سبيلا لمزيد من الكبرياء والترفع. كذلك الحال في مثل هذه الكتابه قد يتنازل الكاتب عن رأى أو فكرة أو موقف يعتقد أنه صحيح، مقابل أن يصفه البعض بأنه محايد. وهنا تدفع الحقيقة الشمن، فأنت تخاتل، وتحاول أن تكتسب بعضاً من رضاء البعض مقابل التخلى عن بعض عا تعتقد أنه رأى صحيح أو موقف مبدئي.

وأنا وبصراحة شديدة لا أنوى أن أفعل ذلك. فذلك نوع من خداع القارئ وخداع الذات. وأنا لا أريد ذلك، ولو أردت لفعلتها من البداية، وتحليت بالصمت، بدلا من القول الذي جلب على وإلى الكشيس من المتاعب والعداوات.

هنا أستعيد قول شبلى شميل «الحقيقة أن تُقال لا أن تُعلم» فما قيمة أن تعرف الحقيقة - دون أن تنطق بها؟

وأتذكر هناك قمول الامام أبي حنيفة: «إذا كان العالم يصمت، والجاهل يجهَل، فمتى يعرف الناس؟ ». لكننى لا أنوى أن أكتب كتابة إنتقامية، لا أنوى أن أستخدم القلم مشرطاً أستثير به دماء الخصم كى تتدفق. ولا أقوى أن أتجاهل حقائق إيجابية، أو أنغمس فى حقائق سلبية، أو أبالغ فى التركيز عليها، أو أصطنع أو أفتعل أو أغير إتجاهات الكاميرا، وزواية الرؤية لتبرز أشياء على حساب أشياء أخرى.. وبإختصار أعد بأن أقدم كتابة موضوعية. تقول ما يجب أن يقال بشكل ومحتوى وأسلوب موضوعي.

وهذا حق القارئ، وحق الكتابة، وحق الموقف.

أو على الأقل هذا ما أنتويه.. و ما أطمح إليه..

د. رفعت السعيد

1..1/1./11

الماركسية المصرية

عبرأكثرمن ولادة

إذا وقعت واقعة عظيمة

لاتضحك ولاتبكي ولكن فكر

سبينوزا

.. ولم تكن ولادة واحدة، بل أكثر

فهذا الكائن الحى.. المنطلق أحيانا، والقزمى النمو في أحيان أخرى، ينمو، يزدهر، يصبح ملئ السمع والبصر، ثم يتراجع. وقد يتبدد، لكنه يبقى في كل الأحوال مقيماً وإن في خيمة صغيرة.

ولأنه مصمم علي التواصل في عناد قد يعتبره البعض مثيراً الدهشة، فإن رجاله يحلو لهم ان يعلقوا في صدر بعض أدبياتهم أيقونه فرعونية لعلها تمثل حالتهم وحالته، كحلم يأتى من بعيد ليعود فيذهب إلى بعيد،

لكنه يبقى، يبقى واو كحلم.

إنهم يقواون عنك يا أوزوريس

ولو أنك ترحل إلا أنك تعود ثانية.

وال أنك تنام إلا أنك تستيقظ ثانية.

واو أنك تموت إلا أنك تبعث مرة أخرى.

قف..

حتى يمكنك أن تسمع ما فعله، حوريس لأجلك.

أن حوريس يجمع لك أضلاعك حتى يلم شمل أجزائك

دون نقص فيك.

يا أوزوريس..

إنهض

إن حوريس يحبك

من تصوص الأهرام.

هوامش ما قبل البداية:

و أعله من المفيد قبل أن نبدأ أن نوضح سمات خاصة ومميزة لحركة الشيوعيين المصريين وأسلوب فهمهم للماركسية. وطرائق عملهم. وهي مميزات لعلهم يختصون بها دون ما هو محيط بهم من شيوعيين (عرب أو أفارقة) .. أو هذا ما نعتقد.

السمة الأولى هي:

أنهم كما فعل أجدادهم يستقبلون الواقد أناساً كانوا أم فكراً، يتفحصونه، يتمثلونه (عملية التمثيل الغذائي هي هضم الشيئ وإمتصاصه) يتناقضون معه، ويتخللونه في أن واحد.

أنه ما يمكن تسميته فلسفياً، «بالتناقض المتداخل»أو حتى «التداخل المتناقض» (لاحظ أنهم فعلوها بوما سواء مع الماركسية كنظرية، أو مع التطبيق، أو حتى مع القرى السياسية الطيفة أو العدوة، مع الوفد حيث أنبتوا داخل جدرانه الطليعة الوفدية اليسارية الاتجاه، ومع عبد الناصر حيث صارعوه، وصرعهم أحيانا، لكنهم تسللوا إلى خلايا الجسد والفكر الناصري رغم أنفه، وريما دون أن يشعر»(١)

أما السمة الثانية: فهي إتخاذ المظلة الجماهيرية الأكثر إتساعاً

أ - راجع في هذا الصند: د. رفعت السعيد كلام في السياسة - دار الأمل -القاهرة - (عام ٢٠٠١).

سبيلا للتلاحم مع الجماهير، فدائما كان الشيوعيون الممريون أو التيار الأكثر حركية فيهم، يقيمون أبنية ديمقراطية واسعة لا تتبدى عليها سمات الماركسية، ليتحركوا من خلالها ويحركوا جماهير أوسع بكثير من طاقتهم كحزب شيوعى، هكذا فعلوا عندما أسسوا اتحاد نقابات العمال عام ١٩٢٢ ليصبح قوة جماهيرية كبيرة ومؤثرة وقادرة على قيادة إضرابات شامخة هزت أركان النظام.. وهكذا فعلوا عام ١٩٤٦ عندما أسسوا «اللجنة الوطنية الطلبة والعمال» التى هزت مصر شعباً وحكما ووجداناً، ونجحت عبر مظاهرات كاسحة في أن تطرد قوات الاحتلال البريطاني خارج المدن المصرية.. وهكذا فعلوا عندما أسسوا عام ١٩٥٠ حركة أنصار السلام، وعام ١٩٥١ كتائب الأنصار لوضع شعارهم القديم: «الكفاح المسلح طريق الخلاص» موضع التطبيق، وبهذا الفهم أسهموا أيضا في بناء تنظيم الضباط الأحرار. وهكذا...

أما السمة الثالثة: فهى وجود كثير من الاجانب واليهود فى صفوقها.
فهى أولا حركة أممية، بمعنى ان النظرية الماركسية تستند إلى بعد
نظرى يعتمد على وحدة الطبقة العاملة العالمية فى مواجهة الرأسمالية.
العالميه.. وشعار «يا عمال العالم إتحدوا» وجد صداه منذ تأسيس
«الامميه الاولى» ، فالثانية ، وتجسد فعلا، وفعلاً مضاداً فى معارك

دموية.. «كوميونه باريس»، «الحرب الاسبانيه»، «الحركات الجيفارية فى أمريكا اللاتينية». ولأن فكرة الولادة المتجدده تتجدد هى أيضا على نطاق عالمي، نعود الآن لنراها فى التحركات ضد العوله فى سياتل ثم تداعياتها.

ولقد أفسح الوضع المصرى بتميز خاص جداً مساحةً واسعةً من التواجد والفعل الاجنبي.

فقد أتت موجات الأجانب في دفعات عديدة منذ عصر سعيد باشا، ثم إتسعت مساحة هذا الرجود في عهد اسماعيل.(٢)

وفى هذا الوقت تجسدت حقيقية أسميت بالامتيازات الاجنبية وكانت تكفل للأجنبي أيا كانت جنسيته، أو حتى لو كان بلا جنسية حقوقاً قانونية وقضائية ومالية وإجتماعية تكاد أن تكون غير محدودة، وتسمو به فوق مرتبة أعلى المصريين مرتبة (1)

۲ – لزيد من التفاصيل حول أعداد الجاليات الاجنبيه فى زمن الخديوى إسماعيل وحول دورهم الاقتصادى والاجتماعى راجع: دافيد لاندز – بنوك وباشوات – ترجمة د. عبد العظيم أنيس – دار المعارف – القاهرة.

٣ - على رفاعه الانصارى -- في طريق المرية -- مطبعة الاشاء -- (د.ت) مر١٤/ وما بعدها . ويتضمن نصوص مشاريع الاتفاقات بين مصر ويريطانيا حول قواعد معاملة الاحاني.

وهكذا تمسك الأجانب بأجنبيتهم جيلا بعد جيل.. حتى ولو كانوا بلا جنسية فقد كان تمسكهم بكونهم غير مصريين يكفل لهم مزايا بغير حصر .

والارقام والاحصاءات عن أعداد الاجانب ومدى سيطرتهم، وبورهم في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية توجى بممكنات واسعه لتداخلهم في الواقع الاجتماعي، ولإنفلات بعضهم - غير المقترض من ناحية المستوى الاجتماعي والتميز المجتمعي - نحو الحركة الماركسية بالذات باعتبارها الحركة الأممية الوحيدة المتاحة(٤)

هذه الجاليات الاجنبية شكلت في واقع الأمر مجتمعات أجنبية كانت تمتلك صحفها، ومدارسها، وأنديتها، ومطابعها، وثقافتها الخاصة وكانت تمتلك قنوات ممتده بينها و بين، اوطانها الاصلية، ومن ثم تواجدت في صسفوفها مكونات حـزبية تنتمى إلى الحـزب الموجـود في الوطن

غ - لزيد من الارقام والاحصاءات والتفاصيل راجع:

⁻ P.M HOLT - POLITICAL AND Social change in modern Egypt. london -oxford (1963) -p.157

Afaf lutfi AL-sayyid - Egypt and cromer - john Murray - London -(1968)P.140

⁻ مورو بيرجر - البيروقراطية والمجتمع في مصر الحديثة - ترجمه د. محمد توفيق رمزي - مؤسسة فرانكاين (1959) ص21.

الأم وهكذا تواجد فى صفوف الجالية الايطالية مثلا شيوعيون وإشتراكيون وفاشيون يرتبطون بالاحزاب المثيلة فى الوطن الأم، وفى صفوف الجاليه الرؤسية فى صفوف الجاليه الرؤسية فى مطلع القرن تواجدت مجمـوعات بلشفية، ومجموعات معادية البلشفية. وهمكذا. وقد أصدرت المجمـوعة البلشفية فى مصر نشرة إسمها «مارياك» أى «البحـار» كانت تطبع فى مطبعة روسـية بحلوان. وكان طبيعياً أن ينضم الكثير من هؤلاء الشيوعيين إلى الحركة المصرية بشكل أو بآخر.

بل إن بعض هؤلاء الاجانب تداخل بشكل عميق مع مكونات الحركة الوطنية المصرية.. ففى وثائق الثورة العرابية نكتشف علاقة حميمة بين رجال الثورة والمسيوكامينى رئيس إتحاد العملة [العمال] الطلبانيين(٥). وفى ثورة ١٩١٩كان مسيو ليون كاسترو [وكان يهوييا من أصل فرنسي] صديقاً حميماً لسعد زغلول باشا وواحداً من مسشتاريه فى الشئون الخارجية، وقد أصدر إبان الثورة مجله ذات توجه وفدى واضح أسماها [الحريه].

ووسط هذا المناخ الاجنبى والمتأجنب عن عدمد [حدف اظا على الامتيازات الاجنبية] تواجدت أعداد كبيرة من اليهود. الذين كانت لهم

ه - لمزيد من التفاصيل راجع: د. رفعت السعيد - الاساس الاجتماعي للثورة العرابية - غمس طبعات.

وضعية خاصة في مرحلة الثلاثينيات.. عندما تصاعد النفوذ النازي والفاشي ووجد له إمتدادات مؤثره وسط الجالية الإيطالية، ووسط مراكز النفوذ الاقتصادي الالمائي، ثم تواجد وبصخب مرتفع في تنظيم مصر الفتاه. وصاحبه تصاعد نفوذ جماعة الاخوان المسلمين وحملاتهم ذات الطابع الديني المعادى لغيرالمسلمين، وأنت فيما بعد تداعيات الحرب العالمية الثانية ومعارك العلمين لتضاعف من هواجس اليهود، وتدفع الكثيرين منهم إلى فعل سياسي معاد الفاشية، ومعاد للتطرف الديني، ومعاد للاستعمار فأتوا بأعداد ليست قليلة إلى الحركة الشيوعية. كانوا في البداية رافعة [كانوا أكثر معرفة باللغات الاجنبية فاسهموا في نقل النظرية الماركسية، وقدموا خبرات تنظيمية وفكرية ذات قيمة. لكنهم مالبثوا بسبب تطور الاحداث ان أصبحوا عبئاً .. ثم إن عضويتهم العادية كانت أمراً مقبولا، أما إصرارهم على القيادة فكان عبئاً ثقيلاً.

اما السمة الرابعة فهى «الانقسامية». فريما بسبب المكون البرجوازى الصغير. وريما بسبب إفتقاد المعرفة النظرية المتعمقة، وريما بسبب السبب المرية المطبقة عليهم دوماً، تفشت الانقسامية فكانت وياءً وويالا ..

هذه السمات الاربع تواجدت.. وأثرت بالضرورة في ممكنات وقدرات وفعالية هذا الحركة.

* * *

البدايات:

.. وهذا البلد الفريب.. محسر، يتلقف هذا الفكر الصاخب منذ
بداياته الأولى .. يتحدث عنه، ينبهر به ، يتمثله، بل ويمارس معه لعبته
المفضلة دوماً «التناقض المتداخل» وإذا كانت حركات شيوعية عربية
وإفريقية قد توادت على مهد إنتصار الثوره البلشفية، وقيام دولة
الاشتراكية الاولى [١٩٩٧].. ففي مصر وجدت الماركسية قبل قيام ثورة
أكتربر بأكثر من ربع قرن.

ولنحاول أن نطالع معاً بعضا من صفحات صحيفة واحدة هي الاكثر محافظة. «الأهرام»، في عام واحد هو عام ١٨٩٢، ونقرأ.. وندهش.

فى الصفحة الأولى (٢١مارس ١٨٩٢) مقال بعنوان «الاشتراكى المحض» يتحدث عن الكونت ليون تواستوى ويقارن بين إشتراكيته والاشتراكية الأوربية، ويحدد الفوارق بينهما، ثم ينحاز إلى تواستوى، ويختتم المقال بعبارات موحية تقول « ولاندرى هل يبلغ تواستوى أخيراً نهاية النجاح والفوز أم لا، ولكنا نعلم أنه الرجل الاشتراكى الصادق، الذى خدم الناس أجل خدمة بماله وسواه، وأصبح لا يمتاز فى سيرته الحاضرة عن الأولياء من رجال الخير والمعروف، والله لا يضيع أجر من أحسن عمالا». وفى عدد تال(١) مقال – فى الصفحة الأولى إيضا – يسجل حواراً ممتعاً ورصيناً بين واحد من قادة الاشتراكين الفرنسيين

(٦) الأهرام - ٢ سيتمبر ١٨٩٢.

«هو المسيو جول هورث وبين المسيو خرستفل الشهير ولى زمام البنك العقارى الفرنسوى ويؤكد هورث فى البداية «أن الاشتراكيين يرون فى حشد رؤوس الأموال الواسعة بين أيدى أفراد أو جماعات من مستثمرى الأموال أول خطوة إلى مبادئهم، على أن تتبدل تلك الافراد أو الجماعات بالحكومة، بحيث تعود المنافع على عموم الناس، لا علي بعض من المساهمين نوى الأفضلية» ويدور السجال الذى تنقله الأهرام على صفحاتها.. ويعترف ممثل الرأسمالية فى هذا الحوار: « وإنى لا أنكر أننا مختى الأن قاصرون دون الغاية فى تحسين حال الفعلة، وتسهيل المعارف على أبناء الصميم من الشعب، فان بذلك صلاحاً عظيماً للأمة تستفيده بما تحيى من قوى مجهولة تحت أستار الفقر، ويوسها باقدام الاغفال»

وفي الأهرام أيضا نقرأ مقالا لانعاً بعنوان «اشتراكية الفعلة» يقول: قرأنا في الطان ما معناه: هاج الفعلة الفرنسيون في مناجم لانس وليافين على الفعلة البلجيكيين الذين قدموا إلى هناك للعمل معهم ومزاحمتهم في أبواب المعاش. فظهر لنا أن الاشتراكية بين الفعلة شئ والمصالح المختصة بكل منهم شئ آخر».

ثم يدلى الأهرام برأيه «والذي نراه نحن أن مطالب الفعلة الأن عادلة حقة لأنهم يطلبون من حكوماتهم أن تضمن لهم الأعمال، أي أن لا بشاركهم فيها سواهم حفظاً للحياة، ومنعاً للمزاحمة بين الشعوب»(٧)

٧ - الأهرام - ٦ سيتمبر ١٨٩٢

وفي عدد أخر نقرأ حواراً بين المسيو هورث وبين قائد عمالي إشتراكي، ونسمع القائد العمالي قائلا: نعم من الصحيح أنه لا يمكن أن يكن الكل مثرين، ولكن يجب ألا يمت البعض جائعين متباغضين، إذ لا باعث على البغضاء إلا الشقاء، ولكننا لا نضتص بتقريعنا أرباب الصناعة، بل نلوم الحكومة لأنها أولى بتولى مصلحتنا، والنظر في أمرنا» (^)

ثم ينشس الأهرام في صسفتت الأولى أيضا مقالا بعنوان «الاشتراكيون» يتحدث فيه عن إنشقاق الاشتراكيين الألمان « إنقسم الاشتراكيون الألمان إلى قسمين عظيمين قديم وجديد» ويتحدث عن ليبنخت ويصفه بأنه «معتدل في كلامه شريف في مبادئه» وتنقل الأهرام عنه قوله «أننا نكره الحرب ولا نساعد عليها» ونقول بل هو يحارب مع فرنسا إذا كانت ألمانيا هي البادئة بعدوانها وقتائها، وهو كلام يدل على شرف المبادئ وحرية الخطاب» (أ)

وبعدها نقرأ أول مقال موقع ومنسوب لصاحبه وهو «نجيب الحداد» وعنوانه «الاشتراكية» ونقرأ فيه ما يوحى بأن الحوار حول « الاشتراكية» قد تحول إلى صحف عالى الصوت في مصدر:«ضربت الاشتراكية أطنابها على ممالك أوريا حتى كادت تظلل منها كل مكان.. وقد إتصل

٨ - الأهرام - ١١ أكتوبر ١٨٩٢.

٩ - الأمرام - ٢ أكتوبر ١٨٩٢.

بنا في الشرق لمعة من بريق آثارها، وعن لنا عارض من سحائب أخبارها، فشغل أعمدة الجرائد وأقالام الكتاب وجرى على ألسنة المتحدثين في كل محفل جدال، ونادى علم وآداب، فرأيت أن أقتطف من مجلس بعض الأدباء عنينا ما دار من الكلام فيها (١٠)

ثم يورد عبر الموار شرحاً وافياً ودقيقاً للمبادئ الاشتراكية. أنه الأسلوب الماكر في شرح أفكار تحاول أن تتسلل عبر موانع عده.. أولها الدهشة التي إستقبل بها المصريون هذا الفيض من الحديث المتكرر عن الاشتراكية.

لكن الكتابات والدردشات في مجالات المتقفين لم تلبث أن تحوات إلى عمل منظم. إلى بدايات تنظيم، وهكذا ومبكراً جدا يوزع في مصدر منشور شيوعي أو كما أسمته الصحف «إباحي» (من لفظ إباحة أي إباحة تملك الأموال للجميع) ويقرأ المصريون في دهشة عبارات لم يسمعوا بمثلها من قبل، المنشور وزع في ١٨٨ مارس ١٨٩٤ وقرأ المصريون عبارات مثل: أيها العمال إذكروا إن هذا اليوم هو تذكار نهضة الكومون في باريس، فهلم أيها العمال المظلومين نتحد جميعا، ونهتف معا، فليهلك الموسرون الضواري، ولتحيا الثورة الاجتماعية، واتحيى الشيوعية» (١١)

١٠ - الأهرام - ٩ توقمير ١٨٩٢ -

١١ - الهلال - ابريل١٨٩٤.

وما أن يأتى مطلع القرن حتى تكون مصر قد وصلت إلى درجة الغليان.*

ولم يكن «اللورد كرمور» المعتمد البريطاني في مصر، شاعراً بل كان إستعمارياً متوحشاً، ومع ذلك فقد وصف مصر في هذه الفترة قائلا «أن مصر تنوب شوقاً إلى الثورة» وقد كان الأمر كذلك فعلا..

فالعمال الذين لم يمض على تعاملهم مع الآلة إلا وقت قصير جداً، يختلطون أمام الآلات مع عمال إيطاليين ويونانيين وأرمن وينقلون عنهم ويشكل مباشر تجاربهم النضالية.. نقابات عمال، وحتى روابط سرية

« الجمعية السرية لبؤساء السكة الحديد» (۱۱) ويخوضون إضرابات عنيفة.. فقد شاهدوا بأعينهم إضرابات العمال الأجانب سواء إضراب «لفافى السجاير» أو إضراب العمال اليونانيين فى شركة قناة السويس عام ١٩٨٤ (۱۲). ويضرب عمال الترام إضرابهم الشهير وتتضامن معهم الجماهير. ويرسون تقليداً غريباً وجديداً، حيث كانوا يطوفون على المقاهى وهم يحملون صناديق حمراء اللون يجمعون فيها تبرعات

وسنتحدث من الآن بايجاز شديد. فالمعلومات السابقة لم يسبق نشرها، بينما تحدثنا طويلا عن الفترات التالية فى د. رفعت السعيد. تاريخ الحركة الشيوعية المصرية – خمسة مجلدات.

١٢ - الأمرام ٣ -٨ -٨٠١٠.

۱۳ - دار الوثائق القومية - محفظ ۱۰۰ داخلية افرنكى - تقرير محافظ عموم القنال عن بيان الحوادث التى وقعت بين شغالى الكراكات، وقومبانية القنال من أول أكتوبر ۱۸۹۶ لغاية ۱۰ منه.

تمكنهم من إعانة العمال المضربين. بل شهدت القاهرة والاسكندرية مظاهرات حاشدة العمال المتعطلين الذين تظاهروا حاملين لافتات «نريد خبراً أو عملاً»(14)

ومع تصاعد الحركة العمالية وقبل إضراب عمال الترام بدأت الرجعية والاحتلال في التململ..

«فالقطم» وهي إحتلالية الهوى تكتب غاضبة «أنه إغفال شديد لا يقبل فيه عذرا لمعتذر، ولا يدعو الناس للاطمئنان. أن قيام العمال بالاتفاق السرى قيما بينهم على الاضراب دون علم الحكومة وبوليسها العلني والسرى وعيونها وأرصادها لأمر خطير.. فماذا يمنع أن يدبر العمال المكايد والمؤامرات ليضرموا في البلاد نيران الثورات قبل أن تعلم الحكومة بأمرهمه(٥٠)

وإذا كانت «المقطم» لسان حال الاحتلال قد ركزت هجومها على الحكومة متهمة إياها بالاهمال، فأن صحيفة «الجريدة» لسان حال اليمين المصرى (حزب الأمة) قد صبت غضبها على العمال كطبقة، وأنذرت بأن إضراباتهم تمثل توجهاً إشتراكيا خطيراً: «تسرى عدوى الانكار كما تسرى عدوى العلل والأنواء من فرد لفرد ومن بلد لبلد»

١٩١٨ من عـز الدين - تاريخ الطبقة العاملة منذ نشاتها حـتى ١٩١٨ - ١٣٥٠ مر ١٣٦٠.

١٥ – لزيد من التفاصيل راجع: د. رفعت السعيد . تاريخ الحركة الشيوعية
 المصرية ، المجلد الأول ، ص٥٠٦

وبعد أن تتهم العمال بأنهم يقلدون العمال الأجانب دون وعى بالمخاطر «كتقليد القردة» تقول «أن ما يجرى هو نفحة من تلك الرياح الاشتراكية التى تجوب المعمورة «٢١١)

وإذا كانت «الجريدة» ترفع سبابة التحذير من الاشتراكية ، فان «اللوا»» جـريدة الحسزب الوطنى تعلق على إخسراب عـمال السكة الحديد (١٩٠٤) قائلة «أن الاعتصاب هو خير درس لحكامنا يوقفهم على تطور الفكر المصرى ويظهره لهم بثوبه الجديد، ثوب العليم بمصلحته، الحريص عليها، المتفانى في المطالبة بها. ويتعبير آخر أننا قد رأينا اليوم مظهراً من مظاهر الاشتراكية، لا يبعد أن يصدير هلاله على توالى الأيام بدراً كاملاه(١٧)

لكن «الجريدة» تتخذ موقف الهجوم على العمال وعلى الاضراب كأسلوب «أن التشبه بالمتطرفين الأوربيين في مقاومة الحكومة وبال على العامل وعائلته «^(۱۸)

وقد حاول القادة النقابيين أكثر من مرة تأسيس حزب عمالي، وفي ٢١ يوليو١٠٨ تنشر الصحف بيانا يقول:«أن محمد أحمد الحسن أحد مؤسسي, حزب المقاصد المشتركة للعمال سيلقي خطية عمومية في

۱۱ - الحريدة - ۲ - ۸ - ۱۹۱۱

٧٧ – اللواء – ٢٢ – ١٠ – ١٩١٠

۱۸ - الجريدة -- ۲۲ - ۱۹۱۰ - ۱۹۱۰

حديقة الأزبكية موضوعها وجوب إنضمام أصحاب الحرف المصرية والأجنبية علي إختلاف طبقاتهم إلى حزب مشترك المنافع.. وإقامة جريدة يومية إسمها «الوضاح» لسان حال الحزب»(١٠)

ويعدها بعام نقراً في الأهرام بيانا بتوقيع محمود أبو عثمان يعلن فيه تأسيس حزب للعمال ويقول «أن الجلسة الأولى إنعقدت وحضرها جمع غفير من العمال والوجهاء وأن الحزب إنتخب السيد أفندى على مدراً له. ومحمد أحمد الحسن رئيسا «(۲)

بل أن العمال إذ يشاركون في معارك ثورة ١٩١٩، فقد خاضوا غمار الثورة مؤيدين لزعامة سعد زغلول ومتمسكين في نفس الوقت برايتهم المستقلة.

وعندما أعلنوا إضرابهم العام إحتجاجا على نفى سعد ضمنوا بيانهم الداعى للاضراب مطالب إجتماعية مثل «جعل الأجرة اليومية خمسة عشر قرشا. وأن تكون مدة العمل ثمانى ساعات يومياً. ويوم عطلة كل أسبوع. وعدم إضطهاد العمال النقابيين «(۲۱)

۱۹ - الأهرام - اللواء ۱۲ - ۷ -۱۹۰۸

٧٠ – الأهرام – ١٦ – ٧٠ – ١٩٠٩ ونالحظ أن محمد أحمد الحسن هو صاحب المحاولة الأولى، وأنه اسمه قد عاد الظهور من جديد كصاحب لجلة يسارية التوجه هى «النظام» التى كان يرأس تحريرها رفيق جبور عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى فيما بعد.

٢١ - عبد المنعم الغزالي - تاريخ الحركة النقابية ١٨٨٩ - ١٩٥٢ -. ص٧٥.

ویعود سعد من المنفی یوم ۷ ابریل ۱۹۱۹، ویعود المصربون من الموظفین وغیرهم، لکن العمال یصعدون من إضرابهم مطالبین بحقوقهم الاجتماعیة، وتشهد آیام ۸. ۹. ۱۰ ابریل مواجهات دامیة بین العمال المضربین والبولیس، ویستمر الاضراب العام العمال حتی یوم ۲ مایو. المضربین والبولیس، ویستمر الاضراب العام العمال حتی یوم ۲ مایو، وثمة إحصاء یقول انه خلال الفترة من دیسمبر ۱۹۱۹ وحتی نهایة عام ۱۹۲۱ نظم العمال ۸۱ اضرابا کبیرا شمات مختلف فروع الاقتصاد من بینها ۱۳ إضراباً شل کل منها فروعاً متکاملة من أفرع الصناعة» (۳۳) ویصل الأمر إلی أن إحدی الصحف ذات التوجه الیساری وصفت ما یجری بأنه «حرب شدیدة قائمة بین العمال وأصحاب الأعمال» (۳۳) ویسبب تصاعد الدور العمالی المتمیز یری بعض المورخین أن ما کان بحری فی مصر عام ۱۹۹۹ ثورتان ولیس ثورة واحدة.

* * *

وهي مجال المثقفين تصاعدت كتابات إشتراكية تمثل مختلف المدارس التي كانت متجلية في أوربا ذلك الزمان.. فهناك الاصلاحيون

1928 - Iondon - 1980 p54

77 - IVALL, -71 - A - 1/1/

^{22 -}Suliman Bashear - Communism in the arab east -1918 -

الذين ينعون على الرأسمالية تعنتها ويكتفون بمطالبتها باصلاحات محددة.

ومنهم ولى الدين يكن الذى يكتب محدثا العمال: أيها الأخ العامل.. لبيك ألفاً، هذا يمين الاخاء أمده إليك فان كنت خاطبا وداً، الود لك، وإن كنت شاكى ظلم فيراعى لسانك، وبيانى ترجمانك، وأنا وحياتى دريثة لك من المخاوف (٢٤)

وكذلك عباس العقاد الذي يكتب متأثراً بمن حوله من المثقفين
«الحقيقة أن نظام مجتمعنا الحاضر مشتمل على نقائص ومثالب لا
ينفرد بالسخط عليها ويطلب تبديلها الاشتراكيون.. إن الاشتراكية
الصحيحة ليست أسطورة من الأساطير.. أنها تدعو إلى المساواة بين
الاجر والعمل، وتطلب أن نعطى كل عامل ما يستحقه بعمله.. فاذا كانت
الدنيا قد حل أجلها وقارب يومها لأن جائعها يريد أن يشبع، ومنهوكها
يتمنى أن يستريح، ومظلومها يود أن ينتصف ، فاشد ما هزك هذه
الدنيا (٥٠)

والفابية هى الأخرى وجدت من يدافع عنها .. ففى عام ١٩١٣ أصدر سلامة موسى كتابه الشهير «الاشتراكية» وفي المقدمة يقول «يدعونى إلى كتابة هذه الرسالة الوجيزة كثرة السخافات والغباوات التى تحكى

٢٤ - ولى الدين يكن - الصمائف السود - ص٥٧

٢٥ - عباس العقاد - القصول - ص٥٥١

عن الاشتراكية، فغرضى الأول تنوير الرأى لعام عن ماهيتها.. عسى أن تكون خميرة تختمر بها الأفكار إلى حين تستعد البلاد للاشتراكية «[٢٦] ونزعة سالامة موسى «المفابية» واضحة جدا: «فان غاية ما يطلبه الاشتراكي أن تتدرج البلد من إمتلاك توزيع المياه والضوء كما هو حاصل عندنا الآن إلى إمتلاك الترامات والمخابز والتياترات والمعامل والمساكن»(٢٧)

ثم: «ويطلب الاشتراكيون ذلك عن سبيل التدريج الوئيد لا الطفرة السريعة «/٢)

ولعل لجوء سلامة موسى إلى «الفابية» كان مرجعه الخوف من ضغط الحكومة والقوى الرجعية..

ففى كتاب «تربية سلامة موسى» وقد كتبه فى أواخر أيامه يقول «ومع أنى فى كتاب «هؤلاء علمونى» قد ذكرت نحو عشرين من الأدباء والعلماء والمفكرين الذين وجهوا نشاطى الذهنى.. فإنى لم أذكر منهم كارل ماركس، وإنما كنت أتفادى ذكر إسمه خشية الاتهام بالشيوعية» ثم: «ولى كنت قد وجدت الحرية أيام الحكومات اللوكية لألفت عن الاشتراكية بما كان يوجه ويرشد»(٢١)

٢٦ -- سالامة موسى - الاشتراكية (ط٢) - ص٥

۲۷ – المرجم السابق – ص۲۲

٢٨ -- الرجم السابق --ص ٢٢

۲۹ -- سلامه موسى - تربية سلامه موسى -- ص٠ ٢٩

أما إشتراكية النولية الثانية فقد وجدت سنداً لها في «الحزب الوطني» تحت قيادة محمد فريد.. الذي أسهم في العديد من أنشطة الدولية الثانية، وحضر العديد من مؤتمرات السلام التي كانت تدعو لها... وأسس «جمعية السلام العام بوادي النيل» وقد حضر محمد فريد بنفسه في موتمر السلام العام الذي عقد بجنيف عام١٩١٢ وموتمر لاهاي عام١٩١٢، ومؤتمر الأجناس المضطهدة الذي عقد في لندن

ويرسل فريد من الخارج إلى عبد الرحمن الرافعي مؤنباً «لم أسمع من مده بتشكيل نقابات جديدة أو جمعيات تعاون» (٢١)

وفى الجمعية العمومية للحزب الوطنى التى عقدت في ١٩١٢/٣/٢٢ جاء فى خطاب فريد «لابد لكم من العناية بنقابات العمال وبث مبدأ التضامن بينهم والدفاع عن حقوقهم»(٢٣)

وتحت قيادة فريد تكتب «اللواء».. أما الاشتراكية من حيث تعاليمها الاجتماعية فإننا أول من يدعو اليها.. لأننا نرى فيها الضمان لحفظ التوازن ما بين غنينا الجاهل المتكبر وفقيرنا المجد البائس (٢٣)

ومن هذه المدرسة تخرجت مجموعة من الشبان اليساريين منهم

٣٠ – عبد الرحمن الراقعي – محمد قريد – ص ٢٧٨

٣١ - عبد الرحمن الرافعي - مذكراتي -ص٥٦

٢٢ – عبد الرحمن الرافعي – محمد فريد – للرجم السابق ص٢٦٦

۲۲ - اللواء -۱ -۷ -۱۱۲۱

عصام الدين حفنى ناصف، ومجد الدين حفني ناصف، ونور الدين طراف الذين تصادموا مع سعد زغلول ضاغطين عليه كى يتحالف مع اليسار الأوربى ضد الاحتلال الانجليزى، وهذه المجموعة الطلابية هى التي إشتقت علما متميزا لصر الثورة..

فقيم كان الوقد يكرس علما ذا رقعة خضراء فى وسطها هلال وثلاث نجوم، رمزاً الديانات الثلاث).. دعا الطلاب اليساريون (أبناء الحزب الوطنى) إلى علم ذا رقعة حمراء .. وهلال وثلاث نجوم. [هكذا فسرها عصام الدين حفنى ناصف فى حوار معى، وان كان البعض يفسرها بأنه مجرد تطوير للعلم العثمانى]*.

وهناك كذلك د. على العنانى الذى يعلن أنه يدعو إلى «اشتراكية علمية عملية معتدلة «^{۲۱)} وكان يدعو فى كتاباته إلى أفكار الهيجليين اليساريين.

وقد قام محمود حسنى العرابى - (أصبح بلشفيا متشدداً بعد ذلك لفترة من الوقت) بترجمة كتاب «الحركة الاشتراكية» لرامزى مكاونالد زعيم الدولية الثانية. وهناك كذلك محمد عبد الله عنان الذى كتب كثيراً ليفرق بين الاشتراكية والشيوعية. مؤكداً أن «الاشتراكية لا تريد سوى القضاء على النتائج السيئة التى تؤدى إليها الملكية الشخصية بشكلها الحاضر»(٥٠)

^{*} راجع: د. رفعت السعيد عصام الدين حقتي ناصف.

^{37 -} الأمرام 19 - N - 1971.

٣٥ -- الأهرام ٢٥ - ٨ -- ١٩٢١

أما الماركسية فقد وجدت كثيرين يتحدثون عنها ويدافعون عنها ..

فالمؤيد تنشر مقالا في عام ١٨٩٠ لأحد الفضلاء القراء (لم يذكر اسمه) ويتحدث الرجل عن «مسألة إقتسام الأموال» ويورد بحثا مفصلا عن مختلف المدارس الفكرية.. ثم يتجه مباشرة إلى الماركسية (دون أن يذكرها بالاسم) ليلخص مقاطع كامله من كتاب «رأس المال» ثم يختتم بحثه قائلا « فهلموا بنا إلى أن نجعل القاعدة التي تحاولون العدل بها هكذا.. لكل انسان بقدر ما ينتج .. وهذا هو العدل الذي لا يمكن أن يتصور العقل أكمل منه»(٢٦)

وهناك شبلى شميل الذى تحدث صريحا عن الماركسية كمخرج الأزمات العالم أجمم.. ^(٢٧)

بل إنه حاول عام ۱۹۰۸ تأسيس حزب اشتراكى «غرضه كبع جماح الغنى العاتى ليكف عن دوس الفقير بقدميه،(۲۸)

وهناك كذلك مصطفى حسنين المنصورى الذى أصدر كتابا ماركسيا ناضجا ومتكاملا فى شرح الماركسية أسماه «تاريخ المذاهب الاشتراكية» (١٩١٥) وقد دفع المنصورى ثمن هذا الكتاب باهظاً فقد طورد ، ثم طرد من عمله كناظر مدرسة.

٣٦ - منتخبات المؤيد العام ١٨٩٠ - ص٢٩١.

٣٧ - وشبلي شميل - الأعمال الكاملة - المجلد الثاني-

٨٧ -الاقدام - ٢٠ - ٢ ٨٠١٠

وكعادة الماركسية المصرية (التى كان المنصوري أول من أرسى أسسها الفكرية) تحدث المنصورى ماركسياً، ولكن بلهجة مختلفة عن المناخ السائد فقد رفض الاستسلام للنصوص، ودعى إلى ضروره التلاؤم مع الواقع. «فالبيان الشيوعى هو أقدم برنامج وضع للأحزاب الاشتراكية، ولايزال يرجع اليه في بعض الأمور، وإن كانت بعض مبادئه قد أصبحت عتيقة، (۲۹)

بل هو يقول «ان من الخطأ أن نتصور أن للاشتراكية مبادئ ثابتة غير قابلة المتعديل أو التحوير، والقول بأن دعاتها يظهرون بمظهر واحد، ورأى واحد في جميع الأمم، فهم وان كانوا متفقين على الفرض الذي يريدون الوصول إليه، إلا أنهم يختلفون في الطرق التي تؤدي إلى ذلك الفرض باختلاف شكل الحكومات والنظام الاجتماعي في بلادهم» (٤٠) .. وهناك أسماء كثيرة .. نقولا حداد ، رفيق جبور وغيرهما لكننا

نكتفى بما سبق كنماذج ، مجرد نماذج.

- 10

تُحدثنا .. عن العمال والمثقفين المصريين. فماذا عن الأجانب؟ كانوا كثيرين في مصر، من جنسيات مختلفة. نظموا أنفسهم في جاليات قوية إمتلكت أندية وصحفاً، ومدارس، وكذلك تنظيمات سياسية

٣٩ - مصطفى حسنين المنصوري - تاريخ المذاهب الاشتراكية.

٤٠ – المرجع السابق – ص٩

خاصة بكل جالية. وكانوا موزعين علي مختلف الفئات الاجتماعية عمال، حرفيين، موظفين، تجار ، ملاك وكبار ملاك.

ولعل أكبر الجاليات الأجنبية عدداً، ونشاطا كانت الجالية اليونانية وقد تزعم النشاط الشيوعى فيها أنذاك تاجر إسفنج إسمه ياناكاكس (ظل اليونانيون محتفظين بتنظيم شيوعى خاص بهم.. حتى الستينيات) ويتحدث واحد من المشاركين الأول في هذا النشاط قائلا «كانت المجموعة اليونانية الماركسية تعيش فى قلب الحياة الثقافية اليونانية، أسست دار الكتب الشعبية اليونانية، وعدداً من الصالونات الأدبية.. وكان ياناكاكس يحاضرنا فى الماركسية فقد قرأ كثيرا عن الثورة الروسية ومؤلفات لينين وماركس وانجلز وقدم لنا محاضره عن كتاب الروسية ومؤلفات لينين وماركس وانجلز وقدم لنا محاضره عن كتاب "غنياء مصر هو زربيني وقد أنفق كثيرا من أمواله دعما للحركة الشيوعية، وعندما مات كانت وصيته أن يشرف على ادارة أمواله من يحدده الرفيق ستالين، ولم ينفذ أقاربه الوصية متهمين إياه بالجنون، (١٤)

^{41 -} petit Resume du Mouvment Politique Grec En Egypte
وهو تقرير بالفرنسية كتبه نيقولا بابار يدوتي [أحد النشطين القدامي في
المجموعة الشيوعية اليونانية بمصر] بناء على طلبي – مكتوب على الآلة الكاتبة
الفرنسية في إثنان وخمسون صفحة.

٤٢ – الرجع السابق.

وكانت هناك أيضا مجموعة نشطة من الروس البلاشفة منهم مجموعة من بحاره المدمره «بوتمكين» هربوا إلى محسر بعد فشل ثورة ١٩٠٥. وكانوا يصدرون – كما أشرنا من قبل – نشرة شيوعية باللغة الروسية إسمها «مارياك» (البحار). وكانت أعداد الايسكرا التي طبعت في الفترة من مارس وحتى أغسطس ١٩٠٢ ترسل من ليبزج إلى الاسكندرية ويجرى تخزينها في مطعم سباستويل وكان يمتلكه روسي بلشفي إسمه يوزيفوقتش ثم من الاسكندرية إلى ميناء باطوم» (١٤٢)

وكانت هناك شخصيات روسية حظيت باهتمام سياسى وأمنى شديد منها روزنتال. تقول تقارير الأمن عنه «روزنتال معروف كفوضوى سياسى خطر، مدرج فى القائمة السوداء أ، له علاقة بكل الحركات النقابية الموجودة بالاسكندرية، يمكن القول أنه اشتراكى ثورى نو ميول شيوعية» (أأ). وهناك شخصية أخرى هى إدوار زايدمان (من مواليد أوديسا) وقد ألحت لندن كثيرا فى مراسلاتها مع رجالها فى مصر على ضرورة متابعته. ويقول أحد التقارير عنه «أنه يمتلك مكتبة بشارع أنيستاسى بالاسكندرية ويقوم بتوزيع منشورات بلشفية وسط الجالية الروسية .. وقد قام بالاشراف على ترجمة كتيب لينين «نداء إلى اللغة العربية» (مؤ) وهناك كذاك تبويور روزنشتن الذي عمل

۲۶ – رسائل لينين وهيئة تحريراسكرا إلى منظمات الحزب فى روسيا من ١٩٠٠ إلى ١٩٠٠ (المبعة الروسية) موسكر ١٩٠٩ - رسالة رقم ٤٦١ . من ١٨٥٥

٤٤ -- تقرير مرفوع استشار وزارة الداخلية المصرية مؤرخ فى ١٠ مارس ١٩٣١. مود م بالأرشيف العام لوزارة الداخلية البريطانية.

ة - " - " قومندان بوليس الاسكندرية . مَنكرة مؤرخة في ٢٨ سبتمبر ١٩٢١ (أرشيف وزارة الدلخلية الريطانية)

كمصرر في صحيفه ليتندار التي اصدرها الصرب الوطني باللغة الفرنسية، واصدر كتاباً ضد سياسات الاحتلال البريطاني اسماه «دمار مصر» ثم عاد إلى روسيا بعد الثورة ليعمل سكرتيراً للينين ثم أصبح وزيراً مقوضاً في طهران (13)

وكان هناك أيضا الشيوعيون الايطاليون الذين نشطوا في القاهرة والاسكندرية نشاطاً واسعاً إلى درجة أن لورد لويد كتب يقول «أن الحزب الاشتراكي الايطالي كان نشطاً في مصدر نشاطاً لا يقل عن نشاطه في ايطاليا «^(۷))

وثمة رسالة قديمة موجهة من مهردار خديوى مؤرخة فى ٨ جمادى ثانى عام ١٣٠٠ هجري موجهة إلى ناظر مجلس النظار تلفت النظر «إلى خطورة نشاط جماعة الانترناسيونالى الايطالية فى الاسكندرية»(٤٨)

كذلك كان هناك نشاط اشتراكي واسع الجالية الأرمنية الكبيرة العدد(٠٠٠٠).

* * *

وخلال ذلك كله. وطوال فترة العقدين الأولين من القرن العشرين ظلت مصر على علاقة وثيقة بما يجرى في روسيا .. ونراجع على سبيل المثال

٢٦ - تيوبور روزنشتين ـ دمار مصر . ترجمة على أحمد شكرى - مقدمة المترجم.

⁴⁷⁻ Lord lloyed - Egypt Since Cromer - P.353 24 - دار الوثائق القومية - محفظة ٨١ داخلية أفرنكي.

مراسلات محمد عبده مع تواستوى، والاهتمام الكبير بالأنب الروسى، وكذلك المتابعة السريعة لما يحدث في روسيا من تحركات ثورية.. فبعد إنطفاء لهيب ثورة ١٩٠٥ بقليل يصدر في القاهرة كتاب عنها. (٤٦)

وعندما تلتهب ثورة ١٩١٩ ويلجاً عدد من الثوار إلى إعالان جمهوريات مستقلة في مدن صغيرة أداروها بأسلوب ثوري مثير للدهشة، إعتبر بعض الباحثين أن هذا تقليد لتجربة السوفيتات عند البلاشفة(٥٠)

والحقيقة أن هذه التجارب لإعلان جمهوريات مستقلة في زفتى - المطرية - فارسكور - المنيا والتي لم تدرس بعد دراسة كافية كانت تمثل تطوراً ثوريا هاماً. و لو أخذنا كمثال جمهورية زفتى نجد أن الذي أعلن الاستقلال شاب متحمس ذا ميول يسارية (يوسف الجندي) وقد دعا الفلاحين في إجتماع عام إلى إنتخاب «لجنة الثورة» التي تولت قيادة الجمهورية الصعفيرة. والجمهورية تمتلك مطبعة صغيرة تصدر بيانات يقول أحداها «لابد من حماية الأمن من كل عابث، ولابد من تحقيق لعدالة لكل ساكن» وتحت إشراف لجنة الثورة قام الفلاحون المتطوعون بردم البرك والمستقعات وتقوية الجسور، وتكونت فرق من

٤٩ - خليل بك سعاده - أسرار الثورة الروسية (القاهرة - ١٩٠٥).

^{50 -} W.laqueur - Communism and Nationalism in the Middle
East.

الطلاب لحماية الأمن، وتنظيم بوريات لمراقبة الحدود. وعندما أرسلت سلطات الاحتلال كتيبة إسترائية لمحاصرة. «الجمهورية» المتمردة طبعت لجنة الثورة منشوراً بالانجليزية وزع على الجنود الاسترائيين يقول لهم: «أيها الجنود إنكم مثلنا، نحن نثور على الانجليز لا عليكم أنتم، أننا نثور من أجل الخبر والحرية والاستقلال»(10)

وكان كل عمر هذه الجمهورية تسعة عشر يوما لم يترك قادتها حلماً من أحلامهم لم يحققوه خلالها ..

حتى أنهم أقاموا كشكا تعزف فيه الموسيقى بعد ظهر كل يوم، وفى خضم ثورة ١٩١٩ تحركت المجموعات الماركسية.. لتلعب بوراً بارزاً.

ويرسل سعد زغلول رسالة سرية غاضبة من باريس إلى قيادة الثورة في الداخل تقول «الوقد غير راض عن المنشورات التى تفيد إعتماد المصريين علي الألمان، أو تتضمن الانتصار للبلشفيك فإن هذه المنشورات يستفيد منها أعداؤنا للقول بأن الحركة المصرية لها إتصال بالألمان وبالحركة الملشفية» (٢٥)

ويالغت المسحف الانجليزية المساسرة في ممسر في الهجوم على الخطر البلشفي الزاحف⁽⁰⁾، وتنشر المسحف المسرية، وتعيد نشر

١ ه - صلاح عزام - مارس ١٩١٩ الدامي والفلاحون - ص٣٩.

٥٢ – محمد أنبس – براسة في وثائق ثورة ١٩١٩ –ص٢١

۵۳ -- اجبیبسیان میل ۱۹ --۶ -۱۹۱۹

الفتوى التى أصدرها شيخ الاسلام بالأستانة والتى تقول «يشتما الدين الاسلامى من الأحكام الأساسية ما يناقض جميع المسالك الاشتراكية وخصوصا البلشفية»(⁽¹⁰⁾

.. وبرغم ذلك فقد كانت مصر جاهزة اولاده حزب من نوع جديد.

* شهادة الميلاد الأولى

اسم المواود: الحزب الاشتراكي المصري،

تاريخ الميلاد: ٢٨ أغسطس ١٩٢١

محل الميلاد: القاهرة

اسم الوالد: محمود حسنى العرابي – محمد عبد الله عنان – سلامه موسى -- د، على العناني.

وفي ٢٩ أغسطس تنشر الأهرام وثبقة الميلاد..

«بيان الحزب الاشتراكي المصري..

في تلك الآونة التى تعصف فيها النظم الرأسمالية الفردية بحياة بنى الانسان وأرواحهم وعقولهم وجهودهم تبث النظم والمبادئ الاشتراكية فى الأفئدة المعنبة الدعوة لاتحاد الانسانية واغاثتها من بطش القوى الظالمة، وتحقيق غايات العدالة الطبيعية من تأييد عواطف التأخى والسلام فى المجتمع الانساني.. ولقد إمتدت يد الاستعمار والأفتيات إلى مصر، فاسـتلبت حـريتها عمـلا بسياسة تلك النظـم الرأسمالية، وسعيا

عه - الأخبار - ۲۰ - ۹ - ۱۹۲۰

إلى إستثمار أرزاقها وإستغلال جهود بنيها، وكذلك تسيطر تلك النظم علي المجتمع المصرى سيطرة سحقت معها دولة العمل، وبطش بها رأس المال بطشاً شائناً مرهقاً، أدى إلى خلق الغنى الفاحش والبأساء البالغة جنبا لجنب، وإنساع الهوة بين الرفاهية والفاقه، (٥٠)**

ولابد لنا من أن نتوقف لنتأمل حيثيات هذا الميلاد الجديد لأول حزب اشتراكي في البلاد العربية وكل أفريقيا.

ونلاحظ:

۱ – المؤسسون جميعاً مصريون. اقد تابعنا التحرك الأجنبى الواسع والمتشعب بإتجاه الاشتراكية، لكن المؤسسين صمموا على ضرورة مصرية القيادة.. ويشكل كامل وواضح وكان ذلك منطقياً تماماً.

فالأجانب بمثلون في بلد محتل، خارج لتوه من ثورة وطنية عاتية نقطة ضعف. والانجليز كانوا يبررون إحتلالهم بالدفاع عن مصالح الأجانب. وكان الأجانب يتمتعون بإمتيازات كثيرة تمنحهم تعالياً على المواطن المصرى. وقد تورط البعض منهم في مواجهة الثورة لحساب الانجليز.. وعلى سبيل المثال قام بعض الأرمن باطلاق الرصاص علي المتظاهرين المطالبين بالاستقالال في حيى عابدين((٥) .. ولولا حكمة

٥٥ - الأهراء - ٢٩ - ٨ - ٢٢١١

^{**} لمزيد من التفاصيل حول تدقيق النص البرنامجي الكامل، وحول وجهات النظر المختلفة راجع :د. رفعت السعيد - تاريخ الحركة الشيوعية المصرية - المجلد الأول.

٥٦ - د. سعيده محمد - يور الأرمن ضد ثورة ١٩١٩ - بجث غير منشور.

قيادة الثورة اوقعت مذابح ضد الأجانب المساندين للاحتلال.

٢ - المؤسسون يمتاون تجمعاً من مختلف الاتجاهات الاشتراكية.. (لاحظ فكرة حزب التجمع كتكرار) فالموقعون على بيان التأسيس إختيروا عن عمد ليقدموا هذا النموذج الفريد، كى يصبح الحزب مظلة لكل الاتجاهات الاشتراكية.

وهم:سلامه موسى (قابى) محمد عبد الله عنان (إشتراكي ديمقراطي) د.على العناني (هيجلي يساري). محمود حسني العرابي (شيوعي).

انها الحكمة المصرية الحكيمة التي تنتسب إلى الماركسية من باب التناقض المتداخل.

٣ - المولود الجديد أساماه آباؤه «الصرب الاستراكي» رافضين تسميته بالحزب الشيوعي. ولم يكن ذلك تعبيراً عن حقيقة التكوين العضوي فحسب، وإنما محاولة النفاذ عبر الاطار القانوني، فاليمين المصري وهو لم يزل لم يصل إلى الحكم بعد ، وخلال إعداده لدستور المعتمل خصص كثيراً من المذكرات التفسيرية وصياغات الأعمال التحضيرية (وهي تمتلك حجية قانونية) للتأكيد على ضرورة محاربة البشفية والشيوعية.

3 - الاحترام الكامل للدين.. ففى مواجهة حملات كبار رجال الدين وفتاواهم بأن «ملة الشيوعية كفر وإلحاد» أعرب مؤسسوا الحزب عن كامل إحترامهم للدين، والمثير للدهشة أن عدداً من الأزهريين قد إنضموا الى الحزب منذ بدابات تأسيسه.

وفي مواجهة حملات ضارية شنها أزهريون كبار مثل الشبخ محمد الغندمي التفتازاني الذي كتب عديدا من القالات يهاجم فيها الحزب هجوما شييداً ويسمى الاشتراكية بأنها «شرع جيب بهن طبقات المجتمع هزات عنيفة، ويوشك أن يقوض صرح النظام ، ويقضى على الدين في نفوس المتدينين» ثم يواصل هجومه قائلا: «أي سادتي الاشتراكيين، بثوا سموم دعوتكم في بلد غير مصر أن كنتم مولعين بالدعوة لذاتها، وإذا حَسنُ لديكم، فلتذهبوا جميعاً ومع السلامة وفدا إلى روسيا، إلى معبودتكم البلشفية» (٥٧)، وبالاضافة إلى فتوى مفتى الاستانة، يصدر مفتى السار المصرية فتوى تقول «أن طريقة جماعة البلشفية طريقة تهدم الشرائع السماوية وعلى الأخص الاسلام»(٥٨) في مواجهة هذا الهجوم الشرس شن رجال الدين الاشتراكيين حملات مضادة مؤكدين ألا تعارض بين الدين والاشتراكية، وقائلين أنها هي الأقرب إلى الدين، ويتحدث واحد من الأعضاء الأوائل في الحزب (عبد الرحمن فضل) عن عملية التثقيف التي كانت القيادة تقوم بها للأعضاء فيقول: «كان الشيخ صفوان أبو الفتح يتحدث عن الإشتراكية كأن النبي محمد نادی بها»(۱۹)

٧٥ - الأهداء - ٧ -١ -١٢١١

۸ه - د، محمد أنيس – المرجع السابق – ص٢١٠

٥٩ – عبد الرحمن فضل: محضر نقاش . منشور بالكامل في د. رفعت السعيد
 المرجم السابق ص٣٢٨

لكن هذه المميزات هي بذاتها التي جعلت «موسكو» التي أسماها الرفاق المصريون «أمل الدعوة وحصن الاشتراكية» تتشكك في الرفاق المصريين، وتتمنع، أو حتى ترفض الاعتراف بهم. وظلت موسكو تستحث الرفاق علي ضرورة التخلص من العناصر الانتهازية، وظلت تستحثهم أن يتخنوا اسم «الحزب الشيوعي». وكالعادة، حاول الماركسيون المصريون أن يجنوا لانفسهم مخرجا، بين إلحاح الواقع، وضغوط «حصن الاشتراكية» القائم في موسكو.

فبدلا من طرد «الانتهازيين» أى «غير الشيوعيين» قرروا نقل مقر الحزب من القاهرة إلى الاسكندرية حتى يقللوا من نفوذ سلامة موسى ومحمد عبد الله عنان..(١٠) أما مسألة تغيير اسم الحزب فقد حاولوا أن يجدوا لها حالاً ذكياً بالفعل.. بأن يصبح إسم الحزب.. «الحزب الاشتراكى المصرى - الشعبة المصرية للدولية الشيوعية» أن هذا الحل يرضى كل الغايات الماقلة، فهو يفلت أمام القانون المصرى الشرس والمتربص، وهو يرضى الرفاق في موسكو إذ يعترف بأنه عضو في دوليتهم.

ولكن مــتى كــان رفــاق الكومنتــرن يقــبلون مــثل هذه الحلول «الانتهازية»..؟

ويسافر محمود حسني العرابي السكرتير العام ليحضر مؤتمر

^{60 -} Murius Deeb -Party politics in Egypt, Wafd and its Rivals - (1919 - 1939) P.86

الكومنترن الرابع.. وهناك ألقى خطاباً حماسياً قال فيه «أننا نؤمل بالرغم من معارضة الاستعمار الانجليزى، والرأسمالية المصرية أن نرى الأعلام الحمراء تخفق يوماً ما فوق ربى الأهرام»(١٦)

وحاول حسنى العرابي إقناع الرفاق في الكومنترن، دون جدوي.

وتشكلت لجنة من الكومنترن لفحص الطلب المقدم من الحدزب الاشتراكي المصرى للانضعام رسميا الكومنترن. وترأس اللجنة - وباللدهشة - ياباني هو الرفيق كاتاياما. وحاول العرابي أن يشرح لكاتاياما ظروف الواقع المصرى دون جدوى.

وتصدر اللجنة تقريرا عرف في أدبيات الكومنترن باسم «تقرير كاتاياما» وجاء فيه «أن الحزب الاشتراكي لمصرى يمثل حركة ثورية عارمة تسير على نهج الدولية الشيوعية .. ومع هذا فاللجنة تقترح تأجيل قبول الحزب الاشتراكي المصرى في الدولية الشيوعية إلى حين: ١ - يطرد الحزب العناصر غير المرغوب فيها.

٢ - يعقد مؤتمرا ينضم فيه أي عنصر شيوعي في مصر يمكن أن
 يكون حاليا خارج الحزب، ويقبل الشروط الواحد والعشرين للدولية
 الشبوعة.

٣ – أن يغير الحزب إسمه إلى الحزب الشيوعي الممرى، وإشترط
 التقرير أيضا أن يتم ذلك كله في موعد أقصاء ١٥ يناير ١٩٢٣ ..

^{71 -} الأمرام ١٠ - ١٩٢٢.

والقرار صادر في ٢٦ فبراير ١٩٢٢(٢٢)

وخف على القرار الرفيق كاتا ياما الذي تبناه الكومنترن قرر«الشيوعيون المصريون» أن يستحموا من أجمل ما ميزهم..

وتدافع «الآخرون» منسحبين من الحزب، وإتخذت اللجنة المركزية قراراً بضرورة أن يوافق كل عضو علي الواحد وعشرين شرطاً.. وامتلأت سفينة الحزب - إلى حد الاقتراب من الغرق - بالأجانب فقد كان السيد كاتاياما دقيقاً وحاسماً إذ قرر ضرورة أن ينضم إلي الحزب «أى عنصر شيوعى فى مصر» وليس «أى عنصر شيوعى مصرى»

ولعله من المهم أن نسسال هل أخطأ الشبيوعيون المصريون في رضوخهم لهذا التشدد الأحمق؟ وأكاد أقول جازما «لا».

كان هذا هو المناخ العام. والاستثناء المصرى كان استثناء يتعين زواله. والرفض معناه وببساطة أن يصدر ضدك قرار حرمان كنسى .. فتبقى خارج الحظيرة.. وتصبح «إنتهازياً» و «معادياً» و «ثورة مضادة» ولا طريق النجاة سوى بالرضوخ لما هو غير عاقل .. وما هو غير معقول، بأمل أن يسترد العقل أنفاسه يوماً ما.

ويرغم هذا كله واصل الشيوعيون مسيرتهم،

1923) P.21

^{62 -} International Press Correspondence - V.3.NO.2 (5 - 1 -

بدأوا حملة واسعة لترجمة الأدبيات الماركسية. وأسسوا مدرسة الكادر بالإسكندرية(٦٣) ويدا الحزب نشاطا عماليا واسعا. وأسس العديد من النقابات ثم أسس إتحاد عام للعمال (...ر٢٥ عامل). وفي أواحر عام ١٩٢٢ إنضم الاتحاد المصرى إلى الاتحاد العالمي للنقابات، وتقول مجلة (مرتبطة بالكومنترن) «أن اتحاد العمال المسرى تحت قيادة الشيوعيين قد أصبح في طريقه إلى أن يصبح حركة جماهيرية حقاً (11). وكان . المحامي الشيوعي البارز أنطون مارون هو المستشار القانوني للاتحاد .. وخاض الاتحاد معارك إضرابية عارمة.. كان أخرها إعتصام عمال عديد من عمال مصانع الاسكندرية في مصانعهم .. ورفعوا فوقها الأعلام الحمراء مطالبين بايقاف عملية طرد أصحاب المسانع لنصف العاملين، وقد سجل رجال البوليس بغيظ شديد في محاضرهم الرسمية انه بينما كان من الصعب عليهم إقناع العمال بفض الاضراب، قان إشارة واحدة من طرف أصبم أنطون مارون كانت كافية لانهاء الاضراب (٦٥) وإتسم النشاط في أكثر من مجال.. وأوشك الحزب أن يصبح كياناً جماه يرياً حقاً .. وإستعد لاصدار جريدة أسبوعية إسمها «الشبيبة». وإفتتح عديداً من المقرات.. وكان إحداها - كمثال -

٣٣ – رؤوف عباس – الحركة العمائية في مصر ١٨٩٠ – ١٩٥٧ – ص٢٥٤ ١٤ – تقرير مرفوع لمستشار وزارة الداخلية المصرية مؤرخ في ١٠ مـارس ١٩٢١. مودع بالأرشيف العام لوزارة الداخلية المريطانية

^{65 -} THE Labour Monthly - may 1924

في المنصورة قد تحول إلى نقطة تحرك جماهيرى واع.. ففي المقر فصول لمحو الأمية، وفصول اتعليم اللغة الفرنسية وفصل اتعليم الموسيقي لأبناء العمال، ومن طلاب هذا الفصل تشكلت فرقة موسيقى تابعة للحزب كانت تحيى أفراح العمال مجانا، وفتح الحزب مقره لاقامة أفراح العمال مجانا أيضا، وأسهم الحزب في إنشاء جمعية الاسعاف... وتصاعد هذا النشاط الاجتماعي إلى درجة أن المجلس البلدي قرر إعفاء مقر الحزب من ثمن المياه والكهرباء نظراً لقيامه بخدمات إجتماعية جليلة.(٢١)

لكن الأخطاء المتمثلة في الرضوخ لتعاليم السيد كاتاياما، كانت قد كشفت الحزب قانونياً ووضعته في مهب الريح، وإذا كان التصعيد في المجال العمالي، والتشجيع بل والترتيب للعديد من الاضرابات والاعتصامات محاولة لتعويض إنسحابات المثقفين المعارضين للكومنترن، وغير القابلين لشروطه الواحدة والعشرين.. فقد كان هذا التصعيد بذاته بدانة النهابة.

البلشفية آتية. كانت هذه الصيحة إعلانا لمعركة ضارية، بارجتان إنجليزيتان أقامتا في ميناء الاسكندرية كإعلان لأن الاستعماريين غير راضين.. وسعد زغلول (رئيس الوزراء آنذاك) بكل ثقله ومسهابته الجماهيرية يعلن – هو أيضا – الحرب على الحزب الشيوعي.

٦٦ – محضر نقاش مع السعيد المحبرى – منشور بالكامل في د. رفعت السعيد – المرجع السابق.

وبدأ العد التنازلي باعداد دراسة قانونية ..

فالمادة ١٥ من الدستور تقول «الصحافة حرة في حدود القانون.. وإنذار الصحف أو وقفها أو الفاؤها بالطريق الادارى محظور، إلا إذا كان ضروريا لوقاية النظام الاجتماعي».

والمادة ٢٠ تقول المصريين حق الاجتماع في هدوء وسكينة غير حاملين سلاحا .. لكن هذا الحكم لا يقيد أو يمنع أى تدبير يتخذ لوقاية النظام الاجتماعي (٧٠)

ونلاحظ أن عبارة «وقاية النظام الاجتماعي» قد أضيفت بناء على طلب الحكومة «ووضعت مذكرة حددت على سبيل الحصر ما تقصد إليه عبارة وقاية النظام الاجتماعي، وذكرت أن المقصود هو وقايته من الدعامة البلشفية»(١٨)

ثم أوفدت وزارة الداخلية أحد كبار رجالها وهو إنجرام بك إلى انجلترا لدراسة طرق محاربة الشيوعية (١٩)

وقبل أن تبدأ المواجهة يجب أن نسجل أن الحزب الشيوعى كان قد أصبح ذا نفوذ فعلى.. فقد إمتدت فروعه في كثير من المدن، وتركز نشاطه في عدد من المدن الريفية كخطوة أولى نحو القفز إلى الريف.

٦٧ - دستور الملكة المصرية الصادر في عام ١٩٢٣. راجع مجموعة الأعمال

التحضيرية في: «الدستور» مجلدان أصدرهما مجلس الشيوخ عام ١٩٤٠

٦٨ - د. محمد حسين هيكل وآخرون - السياسة المصرية ولانقلاب الدستوري

⁻ ص۲۹

^{79 -} إلأهرام 29 - 9 - 1978

وزادت عضويته إلى درجة كبيرة.. ولنتأمل المقارنة التى أوردتها النشرة الرسمية للكومنترن

عدد أعضاء الأحزاب الشيوعية عام ١٩٢٤ (٧٠)

العدد	اثبك
٧	مصر
١	فلسطين
٨٠٠	الصين
٦	تركيا

فقط نتأمل الارقام، ونقارن بين مصر. والصين مثلا.

وإن كانت محكمة جنايات الاسكندرية قد أوردت في حيثات حكمها في أول قضية شيوعية أن تقارير البوليس أكدت أن عدد أعضاء الحزب

.. لكن تزايد النشاط كان بذاته مبرراً لهجوم العدو.

وبالفعل تحركت مجموعات من رجال البوليس في وقت واحد .. لتلقى

 ^{70 -} International press Correspondence - 1924 - no.102
 ٧١ - راجع النص الكامل الحيثيات في د. رفعت السعيد . المرجع السابق.

القبض على قيادات الحزب وكوادره الأساسية فى عدة مدن: القاهرة - الاسكندرية - المنصورة - بور سعيد - أبو كبير - الزقازيق - طنطا - كفر الزيات - المحلة الكبرى - سمنود - العطف - شبين الكوم..... الغ

وقال حسنى العرابي «أنا سكرتير عام الحزب الشيوعي المصري» وقال «أن علاقتنا بالأممة الثالثة في علاقة أخوية (٢٠)

وقمل أن نفادر هذه المردلة يتبعين أن نقدم تديية إجلال لأنطون

٧٢ – تقرير إنهام مقدم من النيابة العمومية لحضرة قاضى الاحالة بمحكمة
 الاسكندرية فى قضية الجناية رقم ٣٩٣ محرم بك ١٩٧٤.

٧٧ - الأمرام ١ - ٩ -١٩٢٤.

مارون الذى إستشهد مضرباً عن الطعام فى السجن.. وكان البداية فى سجل شهداء الشيرعية المصرية المتعدد الأسماء.

الاغتيال بأكثر من سيف

وما أن ألقى القاده المؤسسون في السجن حتى حاول الحزب أن يتنفس، وأن يواصل المسيرة سراً وإلى حد كبير نجحت الكوادر الوسطى في تجميع العضوية وإستعادة حيوية الحزب. بل وأسرعوا فأصدروا جريدة علنية (لعلها تعوض بعضاً من إختناقات العمل السرى) إسمها «الحساب» وتولى رئاسة تحريرها عضو باللجنة المركزية الجديدة هو رفيق جبور، الذي كتب عديداً من المقالات البالغة الثراء سواء من الناحية النظرية، أو عمق التلامس مع الواقع المصرى.. وكان يوقع مقالاته باسم سرى هو «محمد صديق عنتر»

وكانت الحساب تدعو إلى تأسيس حزب للعمال والفلاحين، وتعلن في صدر صفحتها الأولى أنها تصدر «الدفاع عن حقوق العمال والفلاحين»، لكن الرجمية المصرية والاحتلال الانجليزي لم يتوقفا عن الهجوم...

والكومنترن إنتهز فرصة سجن القيادات المؤسسة ليفرض نفوذه ورجاله .. ويدأت أسماء مثل بهيل كوسى، أفيجدور، كونستنتين فايس، جوزيف بيرجر تظهر على السطح لتلعب دوراً أساسياً في تسيير الأحداث..

ويداً الدور الأجنبي في البروز ليزيد من عزلة الحزب عن الجماهير الشعبية .. وليفرض على الحزب توجهات تليق بأصحابها، بل أن «الرفاق» الذين سافروا إلى «مدرسة كادحى الشرق» ليتلقنوا الماركسية من منابعها، مالبثت ماركسيتهم أن تصادمت مع ماركسية «الكرمنترن»..

ونتسمم إلى شهادة واحد من هؤلاء الطلاب.. هو محمد نويدار (مساعد سائق قطار «عطشجى») «كان كثير من الطلاب القادمين من البلاد العربية من اليهود، المصريون فقط لم يكن بينهم يهود. كان معظم موظفى القسم من الاداريين والمترجمين من اليهود العرب. وأعلنا نحن المصريين أن هذا التكوين لا يتالاء مع طبيعة وظروف البلاد، واقد حرصنا علي تعلم اللغة الروسية بسرعة، وساعتها أدركنا أن المترجمين لا يعرفون العربية جيداً وأن ترجمتهم ردئية، وغير دقيقة، وبإختصار دخلنا نحن المصريين صراعاً، ورفعنا شعار «أرابيزاتسيا» أى «التعريب»، لكننا هوجمنا بشده ونظمت لنا محاكمة بصجة أننا شوفينين وأعداء للسامية»(١٧)

وكان القرار بعد المحاكمة أن الذين رفعوا شعار «التعريب» شوفينييون وبرجوازيون صغار ولا يصلحون لدراسة الماركسية إلا بعد أن يصبحوا بروليتاريين حقا . (نلاحظ أن الطلاب المصريين كانوا في أغلبهم عمالا) وأرسلوهم للعمل في مصانع بعيدة عن موسكو لعام أو أكثر كي يكتسبوا أخلاقيات البروليتاريا، الأمر الذي أعاق عودتهم.

وإستمر التدخل في شئون الحزب المصرى إلى درجة أن مسئولى الكرمنترن قد فرضوا على الحزب سكرتيراً عاماً، إختاروه هم، وفرضوه

٧٤ – محضر نقاش مع محمد دويدار -- راجع النص الكامل في د. رفعت السعيد. المرجم السابق – ص١٥٠٠

علي الحزب فرضاً. ومن سوء حظ الجميع أن هذا الرجل واسمه «محمد عبد العزيز» كان عميلا للأمن ، وظل يخرب في الحزب ويسلم كوادره للبوليس حتى تم إغتياله لسبب غير معروف(٥٠)

.. ويتواصل التدخل في ساحة الفكر..

ففى عام ١٩٢٥ تحدث ستالين طويلا عن قضية المستعمرات قائلا انها تنقسم إلى ثلاثة أقسام مؤكدا ضرورة معاملة كل قسم منها بأسلوب مختلف.. «وبالنسبة لبلد كمصر والصين (أى مستعمرات الدرجة الثانية) يتعين على الشيوعيين السعى لتأسيس كتلة ثورية من العمال والبرجوازية الصغيرة (أى الفلاحين) «(٢))

وكان الحزب المصرى يرى فى ذلك الحين ضرورة السعى لتأسيس جبهة وطنية.. والفارق كبير بين الجبهة الوطنية، والكتلة الثورية.

ثم مالبث الكومنتانج في الصين أن خان العملية الثورية.. وكان من الضرورى القول بخيانته.. وهكذا كان الموقف الجديد الذي تبناه مؤتمر الكومنترن السادس (١٩٢٨) والذي يعلن أن البرجوازية الوطنية قد إنتقلت نهائيا إلى معسكر الخيانة وانها ألقت بعلم الحريات إلى الوحل.. وبصورة تلقائية إرتبط الأمر بمصر، وطولب الشيوعيون المصريون

٧٥ – أكد لى أكثر من مصدر أن محمد عبد العزيز قد سجل مذكراته فى عدة كشاكيل وقد إعترف فيها أنه كان عميلا للأمن منذ بداية إنضعامه الحزب، وأن رجال الكرمنترن أعجبوا به لأنه كان مطيعاً. وقد أودع هذه المذكرات لدى محاميه الأستاذ حنفى عبود.. ومات المحامى راغلق المكتب، وفشلنا فى العثور على هذه الكراسات. joseph Stalin - Marxism And The national and colonial question (london - 1947) p216

بإعلان خيانة الوفد^(٧٧) هذا فى الوقت الذى كان الوقد يخوض فيه معركة ضد حكومات الأقلية، ومن أجل المستور.

وحاول الحزب الشيوعى المصرى أن يتحايل علي التحليل الملزم .. وفى المؤتمر السادس الكومنترن كانت وجهة نظره واضحة تماماً: فقد رفض المقارنة بين الوضع فى مصر والوضع فى الصين. ورفض المقارنة بين الوفد والكومنتانج ثم قال بصراحة «يتصور بعض الرفاق أن الدور الثورى لحزب الوفد قد إنتهى تماماً، وأنه قد أصبح الآن قوة مناهضة للثورة .. ولم يعد هناك ثمة مجال للحديث عن التحالف معه.» وكعادة الشيوعيين المصريين حاولوا أن يصلوا إلى حل وسط «أننا نصدد واجباتنا فى مصر على النحو التالى:

لا إعلان التحالف مع حزب الوقد، ولا أقامة لأية تنظيمات مشتركة معه، ولكن من الحتمى الاستمرار في إقامة إتصال دائم مع الوقد، إتصالات مع قواعد الوقد القيام بأعمال مشتركة محددة»(١٨٨)

.. وكالعادة رفض الكومنترن هذه المساومة ، وفرض على الحزب موقفا بضرورة إعلان خيانة الوفد وكل البرجوازية الوطنية، ورفض الحزب هذه المرة أن يلتزم به، ويواصل الحزب معركة شرسة. ضد

^{77 -} M.S.Agwani - communism in The arab East (bombay) -p.6

^{78 -} International press correspondence - the Discussion on camarad bukarine report.no.72 - 17.10.1928 p.7311

الأمن الذي يوجه ضربات متلاحقة لا تتوقف، وفى كل مرة تحمل الصحف خبر القبض على آخر خلية شيوعية.. ثم يكتشفون أنها ليست الأخيرة .. وضد سكرتيره العام العميل للأمن، وضد تدخل الأجانب فى شئونه التنظيمية، وضد الخط الأيديولوجى المتطرف.

.. وتصاعد الخلاف.. وجاحت الطعنة الأخيرة عندما طرد الكومنترن الحزب الشيوعى المصرى من جنته. وصدرت الأنسكلوبيديا السوفيتية طبعه عام ١٩٣٥ وهى تحتوى قائمة بأسماء الأحزاب الشيوعية فى العالم .. وليس من بينها إسم الحزب الشيوعى المصرى . إنها شهادة وفاة لكائن لم يزل حياً صدرت فى موسكو.

لكن الشيوعيين المصريين لم يصادقوا علي شهادة وفاتهم. وتحدوا الكومنترن.. وواصلوا نضالهم حتى ألتقوا بطلائع الموجه الجديدة.

* * *

لكنهم يولدون من جديد

وإذ كان الخطر النازي يتصاعد على نطاق العالم.

وإذ يقترب من مصر حيث جالية إيطالية كبيرة جداً.. أفرزت وعلي وجه السرعة وبترتيبات من روما حركة فاشية إرتدى شبابها قمصانهم السوداء يزهون بها شوارع المدن المصرية. وإنهالت مقالات في كثير من المصحف لتمجيد الفاشية «لقد سمعنا الكثيرين يعربون عن الأسف على أن لا يكون عندهم موسوليني من أهل بلادهم ليسير دفة البلاد إلى

العمل والنجاح»^(٧٩)

وإذ ينعكس التوجه النازى فعلاً حزبياً في مصر .. حركة مصر الفتاة. وإذ تقوم جماعة «الاخوان المسلمين». فان الأجانب وعلي الأخص اليهود منهم، بدأوا يستشعرون خطراً داهماً. ومن ثم ظهرت الوجود تمعادية للفاشية، أو داعية للديمقراطية، أليس مخيفاً لكل أنصار الديمقراطية أن تكتب جريدة مسئولة مثل «السياسة» لسان حال حزب الاحرار الدستوريين قائلة «ولعلنا لا نخطئ إذا قلنا أن الروح الفاشتية تليدا أشد حرارة من الروح البرلانية»(.^)

بل أن مجلة شيوعية دولية تؤكد «أن القاهرة قد أصبحت أحد المراكز الرئيسية للدعاية للفاشية، أن كتاب «كفاهي» يوزع وكأنه قرآن حدد»(٨١)

وكرد فعل أسس الديمقراطيون الأجانب (اليهود أساساً) جماعات مناهضة للفاشية منها «المحاولين» es-sayistes التي أصدرت مجلة

٧٩ – ملحق مجلة الفلاح الاقتصادى ، سبتمبر ٢ أكتوبر ١٩٣٨ (وهي مجلة كانت تصدر فى مصر لحساب الحركه النازيه، بدعوى ترويج الاسمدة الألمانية الصنم).

٨٠ - السياسة ٢١ - ٨ - ٢٢٢١.

^{81 -} The Communist international - vol.xvll -no:6 (1939)p.476.

بالفرنسية أسمتها المجهود l'efforte، ثم مجلة يسارية أسمتها الحرمة la gerbe ثم تأسست جماعة مكافحة العداء السامية Lai.s.c.a التى إتسع نشاطها ليمتد بقوة فى مدارس الليسيه، ومن ثم ليصل إلى أبناء النخبة الأجنبية والمصرية على السواء. وكإمتداد لهذه الأنشطة بدأت تجمعات يسارية فى الوجود مثل إتحاد أنصار السلام والاتحاد الديمقراطى(٨٠).. ومن هذه التجمعات والأندية التى تكاثرت إلى درجة كبيرة جداً .. نشأ تيار ماركسى جديد.

.. وكان هناك الشباب المصرى الذى عصفت به أحداث جسام.. الوفد أتى إلى الحكم على حراب الانجليز (غفبراير ١٩٤٢) عازلا نفسه عن قرى هامة رأت في موقفه خيانة للكرامة المصرية.. والاهتمام العام يتجه إلى صدمود ليننجراد وستالينجراد. وعلى ضبجيج طلقات مدافع الجيش السوفيتي إستيقظ الكثيرون ليتذكروا .. الشيوعية.

والشيوعيون القدامى لم يزالوا ينحتون فى صخر صعب.. كانوا لا يزالون هناك.. ونقرأ تقريرا مثيراً للدهشة كتبه الرفيق سبانو (أحد قادة الحزب الشيوعى الايطالي) خلال زيارة سريعة له لمصر..

والتقرير عبارة عن ملاحظات سريعة .. نقرأ منها « L.is. c.a تضم

۸۲ – لذيد من التفاصيل راجع: مارسيل اسرائيل (تشييريزي) – تقرير باالغة الفرنسية مكتوب بالآلة الكاتبة الفرنسية. مودع أصله في أرشيف الحزب الشيوعي الإيطالي (كتبه صاحبه ليقدم نفسه للحزب عقب هجرته إلى ايطاليا وانضمامه للحزب).

17. عضو - أسس الشيوعيون مدرسة لتعليم الاسبرانتو. الحزب يعمل، واجنته المركزية من سبعة أشخاص تضم شيخاً من الزقازيق يعمل سكرتيرا للجنة السلام، وأخر هو سكرتير نقابة عمال السكة الحديد. ومدير الشركة التعاونية للأتوبيس وأخر من اللجنة المركزية لنقابات عباس حليم، هناك أيضا إثنان من المحامين الوفديين المشهورين أعضاء في الحزب، نشاط الحزب موجود في القاهرة - الاسكندرية - بورسعيد - الزقازيق، (٨٣)

وهكذا موجات ثلاث.. القدامى - مصريون جدد - أجانب قادمون من حركة العداء للفاشية.

ويبدأ الميلاد الجديد.. ليتميز أو ليعاني من صفات محددة...

* الأجانب يلعبون النور القيادى. وهو الأمر الذى فجر إنقاسامات عده إحتجاجاً على إستمرار القادة الأجانب

* أكثر هؤلاء الأجانب من اليهود (وهذا طبيعى فهم أكثر من تحمس للعداء للنازية). وقد تسبب هذا في مشاكل لاحقة خاصة بعد أن أيد الشيرعيون المصريون قرار تقسيم فلسطين في وجه معارضة شعبية حارفة.

* الانقسامية فقد نشأت الموجة الجديدة منقسمة (ولم يجد أحد

۸۲ - تقرير بالايطالية مودع في أرشيف الحزب الشيوعي الايطالي . موقع «سبانو» مؤرخ عام ١٩٢٥.

منهم فى البداية المبرر للتوحد. ولم يكن هناك من يصدر أمراً بالتوحد فالعلاقة مع الكومنترن مقطوعة تماماً)

* لا علاقة مع الأممية.. وظل الشيوعيون (بعد الدرس القديم المرير) يغازلون الأممية من بعيد، ويطبقون معها المثل الشعبى المصرى الذى يخاطب النحلة متنازلاً عن عسلها ورافضاً أن تلدغه.

ولم يكن هناك مواوداً واحداً بل أكثر لكنهم ليسو توائم..

* الحركة المسرية التحرر الوطنى حم (سكرتيرها العام هنرى كررييل – اسمه الحركي يونس)

* إيسكرا (سكرتيرها العام هليل شوارتز - اسمه الحركي شندي)

* تصرير الشعب (مؤسسها مارسيل إسرائيل – اسمه الحركى مرسى)

* القلعة (سكرتيرها العام مصطفى هيكل - إسمه الحركى الباشا)

* الفجر الجديد.. ظلت تياراً تقوده مجموعة محكمة السرية يتزعمها ثلاثة (ريمون دويك - يوسف درويش - سارتيل سلامون [فيما بعد تسمى بنحمد صادق سعد بعد أن أشهر إسلامه]. وأصبحت فيما بعد تنظيم طليعة العمال. هذا بالاضافة إلى مجموعة تروتسكية لمعت كالشهاب واختفت مثله.

ويرغم حداثة التجربة.. ويرغم الانقسامية، وأجنبية القيادة في أغلبها، فان التربة المصرية المشتاقة دوما للفعل الثورى قد تلقفت هذا الموج الجديد لتجعل منه سيلاً عارماً .. أندية ودور نشر وصحف وإضرابات عمالية وتحركات جماهيرية هزت مصر من أعماقها .. فقط نذكر الأسماء: الفن والحرية. الخبز والحرية. الجبهة الاشتراكية. نحن أنفسنا . إتحاد أنصار السلام، جماعة البحوث، جماعة الشباب للثقافة الشعبية. الاتحاد الديمقراطي، المركز الثقافي الاجتماعي، ثقافة وفراغ، لجنة نشر الثقافة العيمقراطي، المركز الثقافة الثقافة. دار الأبحاث العلمية . الجامعة المحدية. الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية. حركة الجيل الجديد . رابطة خريجات الجامعة . اللجنة التحضيرية لاتحاد نقابات العمال. لجنة العمال التحرير القومي، أما الصحف فهناك: التطور، المجلة الجديدة، الفجر الجديد، حرية الشعوب . أم درمان، الضمير . الجماهير، وبور نشر عديدة : دار القرن العشرين، دار النشر السودانية. دار الفجر ، وهناك فوق هذا كله اللجنة الوطنية للطلبه والعمال التي فجرت في مصر فعلا ثورياً لم تشهد مثيلا له منذ ثورة والعمال التي فجرت في مصر فعلا ثورياً لم تشهد مثيلا له منذ ثورة القائل. (١٨)

وإستطاعت المنظمات الأربع الأولى في القائمة السابقة أن تتوجد في الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني..

التي عادت للتشرذم .. في نهاية الأربعينيات ثم توحدت من جديد ..

٨٤ – لزيد من التفاصيل راجع: د. رفعت السعيد . تاريخ الحركة الشيوعية المصرية . المجلد الثاني.

وأيضًا د. رفعت السعيد ، تاريخ الصحافة البسارية المبرية، الجزء الثاني

وأخيرا توحد الجميع في حزب واحد في ٧ يناير ١٩٥٨.

ولم يدم هذا الحزب موحداً الكثر من أشهر ثم أنقسم الى حزبين.. الحزب الشيوعي المصرى (حدتو) والحزب الشيوعي المصرى. ثم كانت الحملة الناصرية الشرسة ضد الشيوعيين حيث سيق الآلاف إلى معسكرات إعتقال مورس فيها تعذيب وحشى يليق تماما بأن يوصف بالنازية.

.. وبقى الجميع فى السجن من ١ يناير ١٩٥٩ وما تلاه حتى ابريل ١٩٦٤ (تجدر الاشارة أنه ومنذ ١٩٥٢ وحتى ١٩٦٤ كانت السجون الناصرية تستضيف وبشكل دائم ألافاً من السجناء الشيوعيين لكن مرحلة ١٩٥٩ – ١٩٦٤ كانت الأكثر وحشية(٨٥)

هاري کاري

وأخيرا.. فعلها الشيوعيون.. تماما مثل النبلاء اليابانيين الذي

٨٥ – لزيد من التفاصيل عن سجون هذه المحلة راجع: د. طاهر عبد الحكيم .
 الأقدام العاربة.

د. فتحى عبد الفتاح . شيوعيون وناصريون
 مصطفى طيبة، رسائل سجين شيوعى إلى حبيبته.
 د. رفعت السعيد، الجريمة . وثائق اغتيال شهدى عطيه الشافعى.

يريدون بالموت أن يثبتوا أنهم فرسان، فبعد كل ما كان من قتل وتعذيب وحشى، تسامى الشيوعيون على جراحهم وأعلنوا جميعا تأييدهم لعبد الناصر (كانت حدتو تؤيده حتى في لهيب التعذيب)..

ثم.. وكأن الجميع يرددون قول شاعر أراد أن يتهكم على نفسه من فرض عشقه لمحبوبته..

خليلي هل عشتما ورأيتما

عشيقا بكى من حب قاتله مثلى؟

وهكذا – وبعد الخروج من المعتقلات والسجون راوح الشيوعيون مكانهم أسرى منبهرين بما يجرى حولهم.

.. كانت جماهيرية عبد الناصر عالمياً وإقليمياً ومحلياً في السماء.. سماء لا يطاولها أحد. والرفاق السوفييت بمجدون عبد الناصر، بل كانوا يمجدونه حتى وهو يقتل الرفاق المصريين

وعندما أقرج عن الشيوعيين تعرضوا لضغوط عديدة من أجل حل تنظيماتهم.. بعضها أتى من الخارج (السوقيت الذين صوروا الأمر على أن مجرد وجود تنظيم شيوعى في مصر يفسد العلاقة مع عبد الناصر ويضر بمجمل التجربة الاشتراكية) وبعضها أتى من رفاق – أو بالدقة رفاق قدامى – أصبحوا منذ فترة سابقة على الافراج أسرى لدى «الأهرام» فيما أسمى بصفحة الرأى، ثم تحولوا بعد قرارات الحل إلى إصدار مجلة الطليعة. لكن الضغط الأكبر أتى من أعمق الأعماق.. من الذات، فالذين صحوا أمام التعذيب الوحشى ببطولة. لم يستطعوا الصمود أمام الواقع الذي صعد بعبد الناصر إلى مراتب الآلهة.. وعبد الناصر إلى مراتب الآلهة.. وعبد الناصر لا يريد أي تنظيم، ضارح عن تنظيمه الأوصد «الاتصاد الاشتراكي». والخارجون من السجن فقدوا أهم شئ «الراية المستقلة». فليس لديهم شئ واحد يميزهم عن عبد الناصر ، ولم يعد ممكنا إقناع الناس بالانضمام الى حزب سرى مطارد، من أجل تأييد منجزات الزعيم عبد الناصر.

وهكذا تسارع التنظيميان اللدودان إلى ساحة «الحل» لكن العبارات التي إختيرت كانت مصقولة.. «إنهاء الوجود التنظيمي من أجل وحدة القرى الاشتراكية».

وإنتهى الوجود التنظيمي ولم تتحقق - ولو بأقل قدر - وحده القوى الاشتراكية.

* * *

الميلاد الأخير

لم يقبل الجميع بقرار الحل .. فمن مجموعة حدتو قرر عدة أعضاء - دون أن يعلنوا ذلك - الاستمرار،، وأسس محمد عباس فهمى وطاهر البدرى (عضوا اللجنة المركزية) تنظيماً أسمى «التيار الثورى».. وكان ذا ميول صينية (قاذا كان السوفييت مع قرار الحل فلابد أنهم مخطئون، ولابد أن القطب الآخر على صواب، لكن هذه الجماعة لم تحقق أى تقدم يذكر، سوى انها غيرت إسمها إلى الحزب الشيوعى الديمقراطى الذى مالدن أن إختفى.

ومن المجموعة الأخرى رفض عدد من الكوادر الوسطى (أيضا نون اعلن المنطاوى هذه الكوادر المسلم أن المناسبة المؤلدر مؤسساً منظمة أسماها ٨ يناير تشبثاً بتاريخ توجد الشيوعيين.. وبعد نشاط واسم تفجر هذا التنظيم تماماً بسبب صراعات غير مبدئية.

وحتى الذين باشروا الحل، ويشروا به سالبثوا أن إكتشفوا حجم الفخ الذي وقعوا فيه، وأوقعو فيه رفاقهم.

ومن جديد بدأت جماعات صغيرة فى التكون.. بحذر شديد، وربما مفرط فى شدته. وأخفى الامر على الكثيرين، خاصة على السوفييت، فقد كانوا دائمي التحذير من التورط فى تأسيس حزب جديد*.

* * *

وكائت أحدى علامات الحنر .. عدم إعلان وجود تنظيم، عدم إختيار إسم له.. عدم إصدار مطبوعات .. فقط تحرك شديد الحنر لتجميع عضوية حرص الجميع على إختيارها من وافدين جدد حتى لا يسهل على الأمن إكتشافهم. ولأن التجمعات بلا أسماء فقد إتخذوا لها مسميات:

* مجموعة السمر (نوى البشرة السمراء) لأنها تضم ضمن قيادتها نوبيون.. زكى مراد ، سيف صادق، مبارك عبد فضل وكانت المجموعة

^{*} الغريب انهم بعد أن تصادموا مع السادات تحمسوا لاعادة تأسيس الحزب، بون أن يعلموا أن الحزب قد تأسس منذ زمن.

الأكبر والأقوى.

- * مجموعة الحمر (إشارة إلى قائدها نو الشعر الأحمر د. مختار السيد)
- * ومجموعة أخرى كانت بالا إسم هى أيضا وكانت تضم محمود توفيق وسعد كامل ومحمد شطا وآخرين.
- * مجموعة القلعة وقد تم إشهار وجودها بعد عملية قبض شملت مجمل قادتها وكان أحدهم خارج البلاد (ميشيل كامل) ويقى بالخارج وجاء اسم القلعة من إحتجاز القبوض عليهم من أعضائها في سجن القلعة.. وقد توحد الباقون خارج السجن وكانوا محدودى العدد بمباركة من رفاقهم في السجن والخارج مع المجموعات الثلاثة السابقة.

وفى ذلك الحين كانت مجموعات من الشباب الناقمين على مجمل القيادات القديمة (التي حلت الحزب) يتشكلون تحت مسمى «جماعة كتاب الغد» التي أصبحت فيما بعد «حزب العمال الشيوعى المسرى» والذي حقق توسعاً كبيراً في الأوساط الطلابية ولعب دوراً حاسماً في إعتصام الجامعة الشهير.. لكنه مالبث أيضا أن تلاشى تحت وطأة أحداث أكبر منه، ومجتمع لا يحتمل أفكاراً طلابية تكتفى بالحماس

ويسرعة توحد السمر والحمر والقلعة والمجموعة الأخرى.. ويسرعة بدأوا نشاطاً واسعاً، وأصدروا عديداً من المطبوعات تحمل أفكارهم في محاولة للتقارب، وسعوا لاعداد مشاريع أولية لبرنامج ولائحة.. وكانت المطبوعات توقع «أحمد عرابى المصرى» وكان أغلبها يطبع فى بيروت فى شكل كتيبات صغيرة الحجم ثم تهرب إلى مصر عبر بعض الاصدقاء.

وفيما الجميع منهمكون في ترتيبات داخلية لاعداد الوثائق. وفيما العمل الحزبي يتسع ليستوعب عشرات وربما مئات من أعضاء وكوادر منظمة الشباب الناصري الذين إمتلأوا غيظا من قرار السادات بحل المنظمة. والذين لم يجنوا سبيلا النضال سوى الانتساب الى المكن الوحيد... إنفجرت حركة جماهيرية عمالية في حلوان و إجتمع مجلس الوزراء وأصدر بيانا إتهم فيه الشيوعيين بالمسئولية عن المظاهرات، وألقى القبض على أغلب قياده التنظيم الذي بلا إسم، أو الذي كان يرمز اليه باسم أحمد عرابي المصرى أما من بقوا خارج السجن فقد إتخذوا قراراً باعلان تأسيس الحزب، وبالفعل وفي أول مايو ١٩٧٥ صدرت شهادة ميلاد جديدة وأعلن تأسيس الحزب الشيوعي المصرى (٨٦) ومالبث عدد من قائة أن إنقسموا مكونين «حزب الشعب الاشتراكي».

* * *

ولكن يبدو انه ليس ممكنا نمضى سراعاً دون ان نتوقف أمام بعض

٨٦ - لزيد من التفامعيل حول نشأة هذه الموجه الجديدة في نهايات السنينيات راجع:

DR. Tareq ismail, Dr. Rifaat Elsaid . The Egyptian communist movement 1920-1988.

النقاط العملية والنظرية.

* هناك أولا علاقة الشبيوعيين بثورة يوليو. وبورهم الفاعل فيها وتشابكهم معها، ثم صراعهم الحاد معها أيضا، وتتمثل في هذه العلاقة الحميمة والعدائية في آن، حالة التناقص المتداخل بأجلى معاينها..

فالشيوعيون [منظمة الحركه الديمقراطية للتحرر الوطنى -- حدتو] لعبت دوراً هاماً في صغوف الضباط الاحرار، وتحملت لفترة من الوقت عبئ طبع منشوراتهم، وتوزيعها بالبريد(١٨) ثم كان التأييد الطبيعي للثوره عندما قامت، وكان تأييداً صاخباً في وجه موقف أممي [الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية و كل الاحزاب الشيوعية في العالم تهاجم حركه الجيش وتعتبرها إنقلاباً موالياً لأمريكا] ثم كان التصادم في ساحة الديمقراطية، ودخل الشيوعيون معركة حادة ضد «الدكتاتورية العسكرية» تفتحت فيها مواهب الناصرية في تعذيب الخصوم السياسيين بصورة تقوق النازية...

ويدور الزمان قليلا.. وتفعل التناقضات المتداخلة فعلها، ويقترب عبد الناصر ولو شكلياً من كثير مما ينادى به الشيوعيون، وترتفع شعارات «الاشتراكية العلمية» و « التطبيق الاشتراكي» وحقوق «العمال والفلاحين». ويصدر «الميثاق الوطني» مردداً ذلك كله، بينما أصحاب

۸۷ – لزید من التفاصیل راجع: احمد حمروش – قصة ثورة یولیو – خمسة اجزاء . بیروت (۱۹۷۶)

هذه الشعارات رهن سجون بشعة..

وتجرى لعبة التناقض المتداخل في سرعة ليفرج عن الشيوعيين.. ليبهرهم بريق كاريزما عبد الناصر و. يصدرون قرار حل حزيهم في ١٩٦٥..

ويعوبون بعدها من جديد.

* وهناك ثانيا دور هذه الصركة في ساحة الوطن.. وبورهم في الثقافه والفن والشعر والمسرح والادب والصحافه والكاريكاتير والسينما.. الاسماء اللامعة في سماء مصر بغير حصر إبتداء من شبلي شميل – فرح انطون – مصطفى حسنين المنصوري – سلامه موسى – محمد عبد الله عنان – رمسيس بونان – جورج حنين – عبد القادر التلمساني – حسن فؤاد – صلاح حافظ – أحمد بدرخان – صلاح أبو سيف – أحمد كامل مرسى – جمال كامل – عبد المنعم القصاص – أنور كامل – يوسف إدريس – زهدى – عبد الغني ابو العنين – حسين فهمي – فؤاد حداد – عبد الرحمن الشرقاوي – عبد الرحمن الخميسي صلاح شاهين الاسماء كثيره بغير حصر، وهي تؤكد الدور الثقافي مالخلق للماركسيين المصريين في تخليق ثقافة هذا الوطن وهنه وفكره وإبداعه.

بما يؤكد ان الماركسية لم تكن مجرد ماكياج أحمر اللون صبغ مساحة من وجه الوطن وفقط.. بل هي مكون أساسي من فكره وثقافته وحضارته. ثكن الصورة لم تكن كلها ورديه.. كانت هناك أخطاء ورد بعضها في السياق .. ونريد ان نتوقف أمام البعض الآخر.

والحقيقة أن أكبر هذه الاخطاء لم يتم تصنيعة محلياً وإنما توريده [ولا أقول إستيراده] من الخارج، لكن ذلك لا يعفى أحداً من المسئوليه..

صحيح ان الشيوعيين المصريين تميزوا عن غيرهم .. اختلفوا مع [الاخ الاكبر] الاتحاد السوفيتي عدة مرات، عندما كان ذلك ضرورياً, أويالدقة ضرورياً جداً.

فعلوها عام ١٩٣٠ [مع ستالين] وعام ١٩٥٧ [دفاعا عن ثورة يوليو] وعام [١٩٥٥] كان السوفييت يمتدحون عبد الناصر والشيوعيون يختلفون معه طلباً للديمقراطية .. لكن الأمر الواقع انه كانت هناك في إعماقهم .. جرثومة سلفية إقتادتهم نحو عديد من الاخطاء..

ولهذا يتعين علينا ان نتوقف ، نتمهل، لنتحدث عن سلفية الفكر الماركسي، وسلفية الماركسيين المصريين.

ولقد يكون الحديث عاماً عن النظرية وعن أصحاب الكهنوت فيها [السوفييت] لكنه بالضرورة أثر ويشدة في المناخ الفكرى العام لدى الشيوعيين في كل مكان.. ومنهم الشيوعيين المصريين

والأمر لم يكن سهلاً. فهكذا تكون الأمور دوما عندما يترسخ في العمق الاحساس بأنك تمتلك نظرة صائبة تماماً، ونظرية علمية محكمة، وخالية من أي عيب، أو حتى إحتمال عيب.

كذلك لم يكن الأمر سهلاً، فهكذا تكون الامور دوما عندما يكون هناك

أب روحي وقعلى، بابا متمركز في فاتيكان الكرملين يملك وحده مفاتيح الصواب والخطأ .أو بالدقة مفاتيح الصلال والحرام، وأي نقد أو همس أولس أو مساس أو تردد إزاء ما يقول به من أفكار يعد كفراً .. ويخرج صاحبة من «ملكوت» الماركسية.

صحيح أن الشيوعيون المصريين فعلوها . عدة مرات فعلوها إختلفوا مع «البابا» وإن بوجل، الا أنهم كانوا دوما يقرون له بسلطاته البابوية، ويحقوقه في الهيمنة الفكرية على الاقل، وفي كثير من الاحيان الهيمنة على الافعال، وحتى ردود الافعال. ومع ذلك ويرغم تمردهم المخفف جداً، ويرغم أنه هادئ «جداً» ومحاط دوماً بهالات الاعتراف بقدسية الفاتيكان المقيم في الكرملين، إلا أنهم ظلوا وحتى اليوم الأخير من أيام السوفييت منظوراً اليهم كأولاد مشاغبين لا يؤمن جانبهم، بينما نال الأخرون الكاملي الطاعة والانصباع البركات والمجاملات بغير حدود.

ومع ذلك يظل شبح النظرة الخاطئة للنظرية، وشبح التوجه «السلفي» الماركسيين عموماً محلقاً فوق رؤوس الماركسيين المصريين، أو الكثير منهم، ربما حتى اليوم، وبرغم ما كان .. كل ما كان.

فلنحاول النظر في عمق بئر السلفية الماركسية .. بأمل ان نتفهم ما كان، - وريما - ما سيكون.

* * 1

والحقيقة أنه منذ أيام الشباب الأولى لفت نظرى أن الماركسية رغم كونها نظرية «علمية» تؤمن «بتطور الفكر» وتؤمن فوق هذا بحركة المجموع ودوره، إلا أنها تتسمى منتسبة إلى فرد.

لكن قدسية الفرد أبعدت هذا الهاجس، الذى عاد وبعد غياب طويل كي يطل من جديد.

فالمنظومة الفكرية لتحرير المجتمع من قيود القديم والانطلاق بكل هذا الكون نحو مستقبل أفضل عبر صراع تخوض غمارة طبقات عدة.. تتسمى باسم كارل ماركس، (ويرغم مشاركة بارزة جداً من فريدريك إنجلز إلا أنه قدمنح في أحسن الأحوال دوراً ثانوياً) ثم تمنح المنظومة قوة دفع جديدة فيضاف إلى قائمة من تنتسب إليهم إسم لينين. ثم تأتى محاولة لإضافة إسم ستالين، ثم ولأسباب سياسية يبعد الاسم.

نحن إذن ندور في مجال الانتساب إلى أفرادرغم أن الجوهر النظرى يعتمد على أن عملية تخلق الفكرة تجرى فى إطار جمعى أو بالدقة مجتمعى، وعبر تخلق لأدوات وقوى إنتاج جديدة، وعلاقات إنتاج جديدة هى أنضاً.

فهل ترك مثل هذا الانتساب أثراً على المكون الفكرى للملتحقين بالنظرية والسائرين على دربها؟

بالطيع تعم،

فإذا كان إنجلز يقرر أن الماركسية تتطور مع كل إكتشاف علمى جديد »، وإذ كانت الاكتشافات العلمية تتسارع بصورة مربكة ، فإن مجرد الانتساب إلى «صاحب» النظرية يجعل من الصعب إن لم يكن من المستحيل تطوير الأفكار أو تعديلها ناهيك عن النظرة إليها نظرة إنتقادية. إنتقادية بمعنى التفتيش، ثم معاودة التفتيش، عما يكمن في بنيتها من أخطاء تتكشف عبر جريانها في ممرات الواقع.

والتمسك اللاواعى بالقديم يمتزج هنا نفسياً، وفعلياً، بالتمسك بالفكرة ذاتها ومنحها قداسة قد تستمد أغلبها من محاولة الكيد لخصومها، أو محاربتهم، بما هو مطلق الصحة.

فالماركسيون تصوروا أن القول بأن أفكارك هي نسبية الصحة، وأن أفكار خصمك هي نسبية الخطأ، ينعكس بالضرورة - في مجرى الصراع العملي - إلى تراخ في المجابهة، فالأمور في نهاية الأمر نسبية. أو مكذا إعتقدوا.

ومن هنا وقف الماركسيون منذ البداية (ولأن نظريتهم صراعية) في مفترق طرق، ربما فرض عليهم القول بإطلاقية خطأ فكر الخصوم.

وظلت فكرة الاطلاقية هذه مخيمة على ذهنية الباحثين الماركسيين وتحول كل منهم إلى «مضخة ماصة كابسة» وهو نوع من المضخات يمتص الماء من العمق القديم لينقله كما هو (أكرر كما هو) إلى العمق الجديد.

وظلت الماركسية – أو أن شننا الدقة الماركسية اللينينية – تدور فى ذات الطقة المفرغة.. من الكلمات ذات النزعة الإطلاقية، وخلت من أية محاولة للتلاؤم مع الجديد.. مع الاكتشافات العلمية الجديدة وتحولت إلى أقانيم تردد، ويعاد ترديدها.. والويل لمن لا يجيد فن الترتيل المتقن.

وسأقدم بضعة أمثلة:

* فى موسكو وبالقرب من الميدان الاحمر وأمام فندق «راسيا» كان هناك مبنى متهالك لايكاد حجر فيه أن يستقر مع الآخر، وفوقه إعلان كبير جداً يقول «الشيوعية هى السلطة السوفيتية + الكهرباء – لينين» والمبنى بالطبع لمحطة توليد كهرباء.

ويمضى زمن، تقوم السلطة السوفيتية ، وتأتى الكهرباء، وتأتى الطاقة النووية، والطاقة البديلة، وكل الطاقات الأخرى، ولم يفكر أحد فى أن هذه العبارة قد فقدت مضمونها فالشيوعية لم تأت. (فهل يمكن لقول ليني أن يفقد مضمونه).

* وحتى إذا عدنا إلى الوراء لأيام ماركس الزاهرة بالعبق الأصيل للفكر الثورى، فقد أدهشنى تماما وأنا أطالع وبإمعان محاضر إجتماعات «الأممية الأولى» التى تحصن فيها ماركس وتحصن بها. إن الاجتماعات وفقاً لنصوص المحاضر خالية تماماً من أى نقاش نظرى، أو فكرى. فالمحاضر لا تتحدث إلا عن إجراءات «ارسال بريد بتكلفة كذا» «تلقى تبرعات»، «إصدار بيان للتضامن»، «توزيع البيان» الخ، ولاشئ أخر.

وكأن المنتمين إلى الأممية (رغم إختلاف نزعاتهم) قد أسلموا قيادهم، أو إستسلموا تماماً لفكر سابق التجهيز، لا مبرر لنقاشه، أو حتى لايجرؤ أحد على إجراء نقاش حوله.

* وكان ماركس وإنجلز يدركان ذاك، ويشعران بخوف طاغ من

«تجمد» الفكر عند حدود القداسة، وتحوله إلى أقانيم، وتراتيل، غير قابلة التكيف مع الجديد. وحذرا أكثر من مرة، وكررا التحذير، ومارسا قدراً كافياً من الممارسة الموحية بذلك، ولكن بلا جدوى.

فقد كتبا كتاباً ضخماً هو «الأيديولوجية الألمانية» ثم إكتشفا أخطاءً في بنيته الفكرية، ويقول إنجاز «فتركنا المخطوط لنقد الفئران المرير».. لكن أحداً لم يتعلم الدرس. بل ظل البعض يطبع ويترجم ويعيد طبع وترجمة كتاب «الأيديولوجية الألمانية» ليس من قبيل التعرف الانتقادى. وإنما لأنه يحمل «بركات» المؤلفين ماركس وإنجلز.

* وفي عام ۱۸۷۲ كتب ماركس وإنجاز مقدمة للطبعة الألمانية الثالثة عشرة للبيان الشيوعى (أى بعد خمسة وعشرين عاماً من صدوره تقريباً) وقد حرص المؤلفان على التأكيد على حقيقة هامة للغاية «وبرغم أن المبادئ العامة الواردة في هذا البيان لا تزال بالإجمال محافظة حتى اليوم (لاحظ دقة التعبير في: بالإجمال و.. حتى اليوم) على صحتها، فإنه يجب (لاحظ يجب) إدخال بعض التعديل علي عدد من الفقرات. إن البيان نفسه بوضح أن تطبيق هذه المبادئ يتعلق دائماً وفي كل مكان بالظروف والأوضاع التاريخية في وقت معين، ولهذا فلا يجب أن تعلق أهمية خاصة على التدابير الثورية الواردة في نهاية يجب أن تعلق أهمية خاصة على التدابير الثورية الواردة في نهاية لاضلف الثاني. والحقيقة أننا لو أعـدنا كتابة هذه الفـقـرات اليـوم لاختلفت في أكثر من موضع عن الأصل. لقد شاخ (لاحظ شاخ هذه)

الكبيرة خلال السنوات الخمسة والعشرين الأمخيرة وما رافق هذا الرقى من تقدم الطبقة العاملة في تنظيمها الحزبي».

وأكدا أيضاً في ذات المقدمة «إن الملاحظات بشأن موقف الشيوعيين من مختلف القوى المعارضة ، وإن كانت صحيحة اليوم أيضاً من حيث مبادئها، إلا أنها أصبحت عتيقة من حيث تفاصيلها، لمجرد كون المالة السياسية قد تغيرت بتمامها».

إنها دعوة صريحة، واضحة ، صارمة للتجديد الفكرى والنظر الانتقادي.

سبق للرسول أن قال بمثلها «أنتم أعلم بشئون دنياكم».

لكن البعض من المسلمين يأبي إلا أن يتجاهل هذا التوجيه الحاسم، وبغضل أن يسميه ورخصة».

والفارق بين «التوجيه» و«الرخصة» واضح. فالترجيه ملزم. والرخصة إباحة لك أن تستخدمها أو.. لا. وكانت لا.. هى السائدة في الفكر الإسلامي على مر العصور باستثناءات استثنائية.

كذلك فعل «الماركسيون» بماركسيتهم، رفضوا الترجيه والرخصة معا وتمسكوا بالنص كما هو . ولقد يبدو مدهشاً أن «لينين» وهو المجدد الأول في الفكر الماركسي قد تناسى «الترجيه» الحاسم من مؤلفي «البيان الشيوعي»، وتمسك هو أيضاً بالصحة المطلقة للنص، دون إشارة إلى المجدد الذي أفسد مذاق الكثير من العبارات، وجعلها بعيدة عن نسيج الواقع الواقعي..

لينين يكتب وبعد سنوات من مقدمة ماركس وإنجلز للطبعة الألمانية، متناسبياً كل ما قالاه عن ضرورة مراجعة النص القديم وقياسه علي الواقع الجديد، بل لعله يوحى بكلماته الحاسمه بإطلاقية صحة نص «البيان الشيوعى يعرض بوضوح وبقة يتسمان بالعبقرية المفهوم الجديد للعالم. يعرض الملدية المتماسكة التي تشمل أيضاً ميدان التطور للحياة الاجتماعية، والدياليكيتك بوصفه العلم الأرسع والأعمق للتطور، ونظرية النضال الطبقى والدور الثورى الذي تضطلع به في التاريخ العالمي للبروليتاريا، خالقة المجتمع الجديد،

إن مراجعة متأنية للألفاظ مثل «المتماسكة»، «الأوسع»، «الأعمق»، «الأعمق»، «التاريخ العالمي» هذه الألفاظ توحى بالإطلاقية بل تكرسمها.. وتسد النوافذ أمام أي نظر إنتقادي.

ولعلها كان يمكن أن تكون صحيحة لو تدراكت فأضافت ولو بإشارة باهتة إلى إلحاح صاحبى البيان على ضرورة مراجعة النص بعد خمس وعشرين عاماً، فما بالك بعد عشرات أخرى من السنينوهما يتحدثان عن «التقدم العظيم في الصناعات الكبيرة الذي طرأ في الفترة من ١٨٤٧ إلى ١٨٧٧. فكيف يقاس هذا «التقدم العظيم» وما يتركه من أثر على الفكر النظرى، بل والمحتوى النظرى ذاته، إذا ما قورن بالتطور العاصف الذي طرأ ولم يزل على الصناعة. وما هو الصجم النسبي لمكنات التأثير والتأثر؟.

هل فكرنا في البحث عن إجابة لهذا السوال؟

وثعله يتعين علينا أن تُعمل الفكر ليس فى كيفية تطوير الفكر الماركسي، وإنما أن نتأمل

أولاً في تحديد حدود الماركسية ذاتها.

أن تحدد حدودها أولاً ثم نعمل على تلاؤمها مع الواقع.

فما هي الماركسية؟

أليس هذا السؤال سائجاً، خاصة عندما تطرحه بعد قرابة القرن والنصف من الحديث الصاخب، والانتماء الملتهب والواسع الانتشار لهذه النظرية؟

مرة أخرى نطرح السؤال الذي يبدو سخيفاً بقدر ما يبدو ملحاً.

وأنقل لكم إجابة أكاديمية سوفيتيه. (باعتبار أن الكتابات السوفيتيه كانت المرجم الوحد المسموح بالرجوع إليه لفهم النظرية):

«الماركسية – اللينينية هى نظام علمى متكامل من النظرات الفلسفية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية وهى عقيدة (لاحظ لفظ عقيدة) الطبقة العاملة العالمية المدعوة إلى تجديد العالم على أسس الاشتراكية والشيوعية. إنها علم معرفة العالم، علم تحويله تحويلا ثورياً، علم قوانين تطور المجتمع والطبيعة والتفكير البشرى، (٨٨)

٨٨ -- بوزويف، غرونوف -- ما هى الماركسية -- اللينينية؟ -- الترجمة العربية --دار التقدم موسكو -- ١٩٨٧ -- ص٠١

وانتأمل هذه العبارة بإمعان لنكتشف:

الإلحاح على عالمية النظرية. «الطبقة العاملة العالمية»«تجديد المالم»«معرفة العالم»، «التفكير البشرى». ويرغم صحة هذه الفكرة، وسيادتها – ربما حتى الآن – إلا أنها يمكنها أن تغلق الباب أمام أى تطوير للنظرية، أو النظر إليها نظراً إنتقادياً أو حتى إلباسها ثياباً محلية، فالنظر الانتقادي سيأتى حتماً من تلامس النص مع التطور «المطي». ولا مجال المحلى هنا إذ لا مساحة له.

لكن الاستكمال الحقيقى لهذا التعريف «السوفيتى» هو أن الثورة العالمية، والطبقة العاملة العالمية قيادة، هى بالضرورة الحزب القائد أو الحزب «الأم».. «الحزب الشيوعى السوفيتى» فعالمية النظرية من ثم تشل يد الصغار – عن النظر إليها نظراً إنتقادياً، أو حتى الحديث، أو القول بإمكانية تطويرها كى تتلاءم مع الواقع.

وقد أدى إحتكار السوفييت كقياده للحركة «العالمية» لعملية دراسة «النظرية العالمية» إلى تجميد الفكر النظرى عند حدود التجربة السوفيتية، التى أصبحت التجربة «النموذج» أو «المثال».

بل إن الدعوة إلى الاحتفاظ بالنص كما هو «مقدساً» وغير قابل التعديل كانت الهدف السوفيتي (ومن ثم الهدف البروليتاري العالمي) الأمثل.

فى ذات المرجع السوفيتى السابق نقرأ عبارة تقول: «وكل جيل من الناس يجد فى هذا المذهب أجوية عن القضايا التى تشغل باله،(٨٩).

۸۹ – ص٤

إنه ذات التعامل مع الكتب المقدسة التى تمتلك صحة أبدية، وإجابات مختزنة على كل ما يأتى في هذا العالم من جديد.

وبون إفاضة غير مطلوبة فقد أدى إحتكار السوفييت للنظرية إلى تضييق حلقة الاحتكار في يد حفنة من الأفراد، كانوا نوماً سلفيين، منفلقين، ليس فقط على النص القديم، وإنما على حدود مصلحة الدولة السوفيتية.

وإختلط ما هو «علمى» بما هو «مصلحى» ، وإبتكر السوفييت نماذج من « المفكرين المبررين» الذى يمتلكون موهبة تطويع النصوص، لتتلائم مع ما هو «مفيد» لسياسة الدولة الأم.

ومن هنا كان من المفيد إحتكار هذا الدور، وقيام ما يمكن تسميته «أهل الحل والمقد في الماركسية» وهم جميعاً من السوفييت.

ويمتد نفوذ «أهل الحل والعقد» من إحتكار تفسير، وشرح الماركسية، وتبرير مواقف وسياسات الدولة الأم تبريراً ماركسياً، إلى إحتكار حق تحديد ما هو صحيح وخاطئ (حلال أو حرام) في مواقف الأحزاب الشيوعية على نطاق العالم . ويعترف البعض لهم بهذا الحق دون ملل أو إنكار (حزب عربي شقيق تباهى بأن الخلافات في داخله كانت محل تحكيم «العلماء» (لاحظ العلماء هذه) السوفييت، ومعرفة أسماء هؤلاء العلماء تثير من السخرية أكثر مما تثير من الشجن).

وفوق هذا فأن «أهل الحل والعقد» يجهدون أنفسهم في إثبات أن التعرف على الماركسية هو مسالة صعبة ومعقدة وليس من السهل الوصول إليها، إستمع إلى هذه العبارة وتصور عاملاً مصرياً أو فلاحاً من موزمبيق (أليست النظرية عالمية؟) يطالعها وعلى ضوئها سيحدد إذا ما كان سيجازف بمحاولة التعرف علي الماركسية أم لا.. العبارة وهى من المرجع السوفيتى السابق تقول ولتفهم هذا العلم العظيم، لا يصح أن نضن بالوقت أو الجهد، ولا يتمكن من ذلك إلا من يتحلى بالصبر والرغبة الصادقة في التعرف على الحقيقة».(١٠)

إنه تكريس لفكرة «أهل الحل والعقد» وكنموذج أخر يستهدف إشعار المواطن العادى بالعجز إزاء محاولة فهم الماركسية أو تطويرها (بعد فهمهما طبعاً). يقول مؤلفا ذات الكتاب «توصل ماركس في السادسة والعشرين من عمره إلى نظرة جديدة، نظرة علمية حقاً للعالم أجمع ولحياة المجتمع وتطوره، وقد أمكنه ذلك من خلال تراكم عمل إبداعي هائل (لاحظ العبارة) فقد إستوعب ماركس ونجح في أن يدرس دراسة نقية مبدعة كل تراث الثقافة الأوربية في مضمار الفلسفة وسائر ميادين الفكر الاجتماعي» (١٩).

(نراجع العبارة. إنها تقدم لنا قديساً صاحب معجزات وليس إنساناً عادياً مثلنا، فمن هذا الذي يستطيع أن يحقق في السادسه والعشرين من عمره عمالاً إبداعياً هائلاً، وأن يستوعب ويدرس كل تراث - مرة أخرى - كل تراث الثقافة الأوربية في مضمار الفلسفة وسائر ميادين

۹۰ - ص۱۰

^{.40 .00 - 91}

الفكر الاجتماعي دراسة نقدية)؟.

لقد تعمدت التكرار لألفت النظر إلي دور الكهنة الفراعنة الذي لعبه
«أهل الحل والعقد السوفيين» بترويجهم لفكرة أن الماركسية معقدة
وصعبة.. وصانعها ليس بشراً عادياً. وفهمها يحتاج نوعاً خاصاً من
البشر.

مرة أخرى نعود إلى السؤال الساذج بعد أن إستدرجنا أهل الحل والعقد إلى ساحتهم ليقدموا لنا فهمهم الخاص والمصلحى الماركسية. فنسأل ما هي الماركسية؟

الإسلام ورغم أنه معتقد سماوى إلا أن الأمر سهل في ساحته: قرآن - سنة - فقه.

البعض يكتفى بالقرآن والسنة ثم يفتح باب الاجتهاد، والبعض يكتفي بالقرآن بمقولة أن كثير من الحديث مصنوع، لكننا نعرف للأمر حدوده. وكذلك المسيحية معلومه حدودها الاناجيل الاربعه ، الرؤيا ، قرارات

مجمع نيقية. أما الماركسية فقد تعمد «أهل الحل والعقد» إغماض الأمر، وتعقيده، وتعميمه. بحيث تقف أمام صفوف من الكتب بالمنات، ولا تعرف إذا ما

وتعميمه. بحيث تقف امام صفوف من الكت كانت هذه هي كل الماركسية أم ليس بعد.

فهل الأعمال الكاملة لماركس وإنجلز هي الماركسية؟ أم نضيف إليها الأعمال الكاملة للينين؟ أم غيرها أيضاً؟ وكيف نتعامل مع هذه النصوص؟ هل هي بذاتها المكون النظري؟ أى أن لكل سطر فيها ذات الحجية النظرية؟ أم أن فيها نصوصاً مرسلة ترتبط بكاتبها، وزمانها، ومكانها، ولا يمكن أن تقيدنا فتلزمنا بالالتزام بها. فإن كان فيها الملزم وغير الملزم، فما هى شروط الإلزام وموجباته، ومبررات عدم الألزام؟

أم إن كل هذه النصوص هي تفسيرات، أو شروح ، أو إستنتاجات، أو إفتراضات مبنية على أساس خبرة محددة بزمانها ومكانها؟

ومن ثم فإنه يمكن القول إن كل هذه النصوص هي من قبيل الشروح والتوجهات والتطبيقات التي قد نأخذ بها أو لا نأخذ؟

هذا السطر الأخير لو كتبه كاتب قبل عدة سنوات لا طيح به إلى غياهب التحريفية والانتهازية والانتقائية والثورة المعادية. رغم أن لينين نفسه يعترف «لم يترك مبدعاً هذه النظرية ماركس وإنجلز مؤلفاً شرحا فيه بالكامل منظومة آرائهما في الطبيعة والمجتمع والتفكير. وليس هناك غرابة في ذلك، فلم يحدث قط أن نظر ماركس أو إنجلز إلى النظرية إلتي وضعاها علي أنها منتهية. فالماركسية ليست نمونجاً نظرياً للكرن. وليست رسماً تخطيطياً ملزماً للجميع، وليست مجمادً للاستنتاجات التي لا تحتمل الخطأ. وإنما هي طريقة وأسلوب لإدراك كل ما هو موجود في حركته وتغيره. وهي برنامج لإعادة الترتيب الثوري للعلاقات الاجتماعية، وأدوات النضال من أجل تحقيق إعادة الترتيب الثوري للعلاقات الاجتماعية،

٩٢ - ليذين - يصدد الماركسية - الطبعة العربية - دار التقدم - ص٦

لكن كلمات كهذه ظلت دوماً أدوات للاستدلال، والترتيل، دون تمعن حقيقي في مضمونها أو وضعها موضع التطبيق.

لا يوجد إذن «نص» «محدد» له بداية وله نهاية يمكن القول عنه: «هذه هي الماركسية»

هذا النص لم يوجد، وإن يوجد ، ومع ذلك ظل الجميع يتوهمون وجوده.. ويحولون أدوات الاستدلال إلى نظريات، والإستنتاجات إلى حقائق، والافتراضات إلى قوانين ، والممارسات إلى عبادات واجبة الاتباع، وبعد أن نجهد أنفسنا في إستذكار، أو أستظهار نصوص لا نهاية لها، نكتشف إننا نقرأ مجرد رؤية [رؤية متأثرة بالزمان والمكان والشخصى والملابسات] يمكن أن تلهمنا الاهتداء، لكنها ليست واجبة الاقتداء.

ولعل جوهر المشكلة عند الماركسيين جميعاً هى أنهم خلطوا بين «الاهتداء» بنص أو رؤية وبين ضرورة «الاقتداء» الملتزم. لكن الأمر غاية فى البساطة ، الماركسية ليست نصاً محدداً جامداً أو قابلاً للتجمد. الماركسية منهج وأسلوب النظر إلى الأشياء والكون.. وكل الكتابات ، والممارسات، التي تواكبت، وتراكمت وتجمعت، هى محاولات فردية، شخصية، لفهم واقع محدد، فى زمن محدد، وفق هذا المنهج.

إذن هي كتابات ملحقة بزمانها، ومكانها ولا يمكنها أن تتمدد لتشمل تحت مظلتها القسرية واقعاً مغايراً زماناً ومكاناً.

والخطأ الذي وقع فيه الماركسيون هو أنهم حواوا الكتب إلى وثن،

والنصوص إلى أقانيم رتلوها ترتيلاً، وكان الأكثر معرفة فيهم هو الأقسر على البحث في بحار الكتب ليلتقط نصاً يرصع به كتابته، ويؤكد به صحتها حتى لو إقتضى الأمر تجاهل للواقع أو تشذيب له، أو تقليم لأظافره.

وكم قاموا بتقليم أظافر الواقع كى يتلاءم مع النصوص التى لم يلزمهم بها أحد، وإنما كانت لزوم مالا يلزم، وأسهم «أهل الحل والعقد في الماركسية» في تكريس إلتزامهم بها، كى يستمروا في إطار التزامهم بهم.. ويما يقولون، ويما يقعلون. لكن الأمر الأن سهل ويسير، لن نحمل مجلدات هذه الكتب إلى زاوية النسيان، فهى بالغة الأهمية لدراسة أسلوب تفكير الماركسيين، وأسلوب فهمهم، وأسلوب تطبيقهم المنهج الماركسي. وهي ضرورية ليتعلموا منها ذلك، دون أن يلستزموا لا بالنص ولا بالتقليد، فهم يمتلكون، أو بالدقة يتعين عليهم أن يمتلكوا أسلوب تفكيرهم الخاص، وفهمهم الخاص، وتطبيقهم الخاص لهذا

أسلوبهم الخاص، ليس لأنهم أولاد عاقون، أو مترفعون عن تقليد غيرهم، وإنما لأن لديهم واقعاً مغايراً زماناً ومكاناً، ومن ثم يتعين ان ينسجوا لانفسهم ماركسيتهم الخاصة بهم. التي تقوم على ثلاثة أقدام:

- التعرف على المنهج الماركسي من خلال القوانين العامة.
- الاطلاع على كتابات القادة الماركسيين للتعرف على أسلوبهم في التفكير وطريقتهم في الاستدلال وأسلوب معالجتهم لقضايا واقعهم..

بهدف التعرف والاهتداء وليس التقليد والاقتداء.

دراسة الواقع المحلي دراسة متأنية والتعرف على تضاريسه
 والانهماك في تحديد رؤية ماركسية مصرية، تطبق المنهج، وتستفيد من
 تراث الآخرين، وتلتزم بالواقع المحلى.

ومن هنا فإن المخرج المكن أمام الماركسيين المصريين هو إستنباط أو إستنبات ماركسية نابعة من التربة المصرية. تشترك مع الفكر العالمي في مشتركين: ذات المنهج . والاطلاع علي ذات التراث، وتتمايز عنه تمايزاً حاسماً فيما يختص بالتطبيق على الواقع المصرى. وهكذا ستكون الماركسية وستبقي كما كان يجب أن تكون دوماً.. نظرية عالمية التوجه تنفرع منها الماركسيات محلية المحتوى.

بهذا، وبهذا وحده، يمكن لفكرة ما أن تبقى وأن تتطور.. بممارسات البشر العاديين وليس بكهنوت «أهل الحل والعقد» ومن خلال إطلاق حرية الابداع المحلى، وليس من خلال إعمال فكرة الحلال والحرام.

* * *

ولكن يتعين علينا قبل أن نغلق هذا الملف - ولو مؤقتاً - أن نسال سؤالا أكثر تعقيداً.. هل إمتلكت الماركسية معايير محددة لتحديد «ما هى الحقيقة»؟ وما هي؟.

أكاد أقول أن ممارسة أسلوب «أهل الحل والعقد» قد أشفى هذه المعايدر، وهرض على الماركسيين أسلوبا سلفياً في التعامل مع «الحقيقة»، وفي تحديد معاييرها وحتى في أسلوب التعرف عليها.

فكل ما قاله السلف الماركسي الصالح «حقيقي» وكل ما رفضوه «غير حقيقي».

فقد فرض عليهم أن يرفضوا «دهرنج» لأن ثمة كتاب إسمه «نقد دهرنج». رفضوا دهرنج بون أن يقرأ أحد منهم، وحتى بون أن يقرأ «نقد دهرنج» وكذاك فعلوا مع «المرتد كاوتسكى» ومع «اللولية الثانية»... وهكذا تكرست فكرة «الحقيقة» المطلقة السابقة التجهيز في كتابات الغير.

ومن يستسلم لها مرة يستسلم لها دوماً.

وتتمدد مظلة الحقيقة السابقة التجهيز من الالتزام بكل ما قاله ماركس (رغم أنف ماركس الذى حذرنا ألف مرة من هذا الالتزام الوثنى، وأكد أنه هو نفسه ليس ماركسياً) إلى الالتزام بكل ما قاله وفعله لينين، إلى .. وهنا تأتي الكارثة الالتزام بكل ما قاله وفعله السوفييت.

وقد استمرأ الكتاب السوفييت إختفاء معايير علمية للحقيقة فراحوا يفرضون علي الماركسيين في كل العالم مقولات خاطئة، لكنها واجبة التصديق برغم أنها واضحة الخطأ على الأقل بالنسبة لهذا الطرف أو ذاك، وهذا الواقع أو ذاك.

وتحت يدى الأن كتيب محشو بأكانيب مرتدية ثياب الدراسة العلمية المستندة إلى الأرقام، الكتيب لمؤلف اسمه «تيخون باقلوف» أما العنوان الصاعق فهو «متى يلحق الاتحاد السوفيتى بالولايات المتحدة ويسبقها» (موسكو،١٩٦٠)

والكتباب ملى بالأرقام والمعلومات .. صدقها الجميع، ونسبهوا أحلامهم على أساس أنها «الحقيقة» ثم إكتشفوا - ويعد فوات الأوان --الزيف، ليس في المعلومات، وإنما حتى في الأرقام.

كنماذج نقرأ « وفي الوقت الحاضر يتخطى الاتحاد السوفيتي الولايات المتحدة في الإنتاج لا من حيث السرعة وحسب، وإنما من حيث المقادر المطلقة الزيادة السنوية في إنتاج المنتجات المناعية الهامة» (١٣)

وتقرأ: «تتقدم صناعة الولايات المتحدة علي كل حال إلى الأمام، وإن كان تقدمها هذا يجرى بسرعة تعادل علي وجه التقريب ربع سرعة تقدم الصناعة في الاتحاد السوفيتي».

ونقرأ «بناء على المعطيات المذكورة (وهي جدوال رقمية) يتضع أن الاتحاد السوفيتي بنتيجة تنفيذ مشروعات السنوات السبع، سيسبق الولايات المتحدة في بعض أصناف المنتجات من حيث مقادير الإنتاج المطلقة، وسيقترب من مستوى إنتاجها الحالي في بعض المنتجات الأخرى، وفي سنتى ١٩٦٧ - ١٩٦٨ سيتخطى الاتحاد السوفيتي الوليات المتحدة من حيث مقادير الإنتاج الصناعي» (١٩٤).

ولست بحاجة إلى تعليق، فالأيام أثبتت مدي ما تملك مثل هذه الدراسات (المدعومة بالوثائق والأرقام) من حقيقة فعلية.

۹۳ – ص۹۳

۹۶ – ص ۳۳

ويبقى أمامنا الآن أن نحدد معياراً للحقيقة. يستند إلى إعمال العقل وايس إلى سلفية الفكر والنقل، وأن نتلقن الدرس المرير من تصديق مالا نعرف، والالتزام بما لا نمثلك دليلا موضوعياً علي صحته. وإذا كان للحقيقة معيار محدد فهو ما يقول به العقل تطابقاً مع الواقع، ويهذا المعيار نلتزم، واسنا ملزمين بغير ذلك.

* * *

وكائت العلاقة غير الحميمة بين النظرية الماركسية وبين الديمقراطية محل مماحكات عديدة علي مدي المسار الصراعي بين الماركسية وخصومها وأنصارها على السواء.

وفي محاولة – متأخرة جداً – التعرف على حقيقة أفكار كاوتسكى (الرتد) وأقطاب الدولية الثانية (أفكارهم كما كتبوها هم وليس كما إنتقدها خصومهم) أكتشف – ومن وجهة نظرى – نزعة إصلاحية صارخة لا تتلام مع طبيعة الصراع الثورى الذي كان دائراً آنذاك في المجتمعات الأوربية، ومن ثم يتبدى لنا وكأن كاوتسكى ونظرائه كانوا مثل المورفين الذي يحاول تهدئة مشاعر الطبقات الكادحة، أو حتى تخديرها لتكتفى بتوجه إصلاحى مسطح تماماً. لكن الشئ الملفت النظر هو محاولته مناقشة مسائة الديمقراطية بمفهومها الحقيقي أو بالدقة بمفهومها «الليبرالي»، أو كما كان يتهمه لينين بمفهومها «البرجوازي». ولعل حجج كاوتسكى كانت مقنعة إلى الحد الذي دفع لينين إلى اللجوء

لإستخدام الشتائم التى لا تليق بحوار علمى (كاوتسكى يعوى ككلب صغير ضال - كلمات قذرة أقذر من تلك المستمدة من الاسطبلات... الخ).

لكن لينين كان في رفضه لكاوتسكى.. ماركسياً، بمعنى أنه كان يدافع بحماسه المعهود عن أفكار ماركس.. فما هى الفكرة الأولية للماركسية إزاء قضية الديمقراطية؟

قال ماركس «لايمكن لمملكة الحرية أن تبدأ إلا عندما ينتهى العمل الذي تفرضه الضرورة»^(١٥)

وكتب إنجلز في عام ٥٨٤٠ «الديمقراطية فى أيامنا تعنى الشيوعية. وأية ديمقراطية أخرى لا يمكن أن تتواجد إلا فى رؤوس الصالمين.. إن مفهوم الديمقراطية بالنسبة للجميع يستند على الطموح إلى التكافؤ الاج تماعي (١٦٠) ثم تتبلور الفكرة الأساسية واضحة فى «البيان الشسيوعي» «إن الخطوة الأولى في ثورة الطبقة العاملة هى رفع البروليتاريا إلى مركز الطبقة الحاكمة وكسب معركة الديمقراطية» ثم «وسوف تستخدم البروليتاريا سيادتها السياسية لكى تنتزع بالتدريج كل رأس المال من يد البرجوازية» ثم «ولا يمكن تحقيق ذلك في البداية إلا بواسطة عمل إستبدادي ضد حقوق الملكية».

۹۵ – كارل ماركس – رأس المال – المجلد ۳ – ص ۳۳۹
 ۹۹ – فريدريك انجلز – عيد الأمم في اندن. (مقال).

هكذا بوضوح صديح «عمل إستبدادى ضد حقوق الملكية» ويالطبع ضد المتمسكين أو المدافعين عن حقوق الملكية. لكن هذه الفكرة إرتبطت إرتباطاً وثيقا بفكرة غير دقيقة، أو غير واضحة، تمسك بها ماركس وإنجلا في كثير من كتاباتهما. ونمضى مع «البيان الشيوعى» انتعرف على جنور هذه الفكرة...

ووعندما تختفى الفروق الطبقية خلال مجرى التطور، ويتركز كل الإنتاج فى أيدى إتحاد عريض من الأمة بأسرها، ستفقد السلطة المامة طابعها السياسي».

هذا يكمن كل شئ نريد أن نقوله.

ماركس دعا إلى خطوة «إستبدادية» لتجريد المالكين من أدوات الملكية، وإقامة دولة «تختفى الفروق الطبقية». وعندما تختفي الفروق الطبقية.. ستفقد الدولة مبرر وجودها، تذبل، تتلاشى وسيقوم مكانها «إتحاد يكون فيه التطور الحر لكل فرد شرط لتحقيق التطور الحز للجميم»(١٧)

ويفسسر إنجلز الأمسر بشكل أوضع في رسسالة منه إلى بيبل «إِنْ البسروليستساريا تحستساج إلى دولة من أجل القسمع، من أجل أن تقسم معارضيها، ويعدها يصبح في الإمكان الحديث عن الحرية، فإن الدولة

٩٧ - ماركس، انجاز - المؤلفات الكامله - الطبعة الانجليزية - جـ١ - ص١٢٦.

فى حد ذاتها سبتكف عن الوجود»، وتظل هذه الفكرة، وذات الكلمات عالقة فى الأذهان، راسخة فى الصدور، لتفرض نفسها فى التعامل مع « الخصوم» ناسية أو متناسية أمرين أساسيين:

 أ - أن الخصوم قد تغيرت طبيعتهم فى نظر الحكام السوفييت فبدلاً من كبار الملاك والرأسماليين، أصبيح الخصيم هو المخالف الرأى حتى داخل صفوف الحزب.

ب - أن فكرة الاستبداد المؤقت الوقتى المحدد المدة.. حتى نقهر الخصوم، ثم تذبل الدولة وتعم الحرية، لم يتحقق شقها الثانى فالدولة لم تذبل (فالصراع الطبقى وإن إختفى محلياً أو ذبل أو أسدل عليه الستار، قد حل محله صراع طبقى عالمي شرس تطلب إشتداد عود الدولة، وزيادة سطوتها لحماية المنجزات الاشتراكية في مواجهة التأمر الامبريالى).

وعلي أية حال فما أن وصل لينين إلى السلطة (١٩١٧) حتى تذكر تماماً كلمات ماركس وإنجلز في شقها الأول على الأقل أي (الاستبدادي).

وفى رسالة وجهها لينين إلى عمال أوربا وأمريكا (عام ١٩١٩) يقول:
«إن كل دولة، بما فيها الجمهورية الأكثر ديمقراطية ليست فى الجوهر إلا
أله قمع فى يد طبقة ضد طبقة أخرى، والدولة البروليتارية هى آله قمع
فى يد البروليتاريا ضد البرجوازية، وهذا القمع ضروري لمواجهة

القوي المسعورة والشرسة، والتى لا تتورع عن إرتكاب أى شئ.. عندما نبدأ في نزع ملكيتها «^(۸)

ومن هنا رفع لينين ويحسم وإطمئنان شعار «كل السلطة للسوفيت» مؤكداً «إن مجالس السوفيتات هي شكل أرقى من الجمهورية الديمقراطية»(٩٩)

ومن هنا أيضاً نحى لينين كل نظرية «الحق» الليبرالية، أو كما تمسك بتسميتها هو «البرجوازية»، وأرسى دعائم نظرية جديدة للحق تقول «إن مصدر السلطة ليس هو القانون الذي يقره برلمان منتخب، وإنما هو المبادرة المباشرة للجماهير الشعبية من القاعدة، (۱۰۰۰).

ويوضح لينين فكرته قائلا «دولة البرجوازية هي دولة ديمقراطية الاستغلاليين، أما دولتنا دولة الذين عانوا من الاستغلال، فهي ديمقراطية لأصحابها وأداة قمع لخصومهم، وقمع طبقة يعني إنعدام

٩٨ - لينين - للؤلفات الكامله - الطبعة الانجليزية - جـ٣٧ - ص٥٥١ [مقال نشر في البرافدا في ٢٤ - ١ - ١٩١٩].

٩٩ - لينين - رسائل من بعيد - المؤلفات الكاملة - الطبعة الانجليزية - جـ٢١ - ص٨٦.

١٠٠ - لينين - المؤلفات الكاملة - الطبعة الأنجليزيه - جـ ٣١ - ص١٤٦.

المساواة لتلك الطبقة، وإستبعادها من إطار الديمقراطية(١٠١)

لكن لينين بإعتباره منظماً ممتازاً لم يترك الأمر بلا تحديد فقال: «تمارس البروليتاريا المنظمة في السوفيتات دكتاتوريتها، ويتولي حزب البلاشفة قيادة البروليتاريا "(١٠٢/)

ثم تتمدد الفكرة مرة أخرى، فيقول لينين أيضاً «تعلمنا الماركسية، أن الحزب السياسى للطبقة العاملة، أي الحزب الشيوعي، هو وحده القادر على توحيد وتدريب وتنظيم طليعة البروليتاريا هى وكل جماهير الشعب العامل.. وأن يقودها سياسياً، ومن خلالها يقود كل جماهير الشعب العامل، (١٠٣)

وهكذا.. تقوم الدولة الاستراكية، وتمارس «القمع» ضد خصومها الطبقيين. لكنها لا تذبل. بل تتكرس. وتواصل القمع ضد خصومها (خصوم....ها) وهذه كلمة مطاطة جداً. فمن الذي إعتبر خصماً للدولة الاشتراكية.. في البداية كبار البرجوازيين والملاك العقاريين، ثم التصريفيين والانتهازيين والتروتسكيين، ثم المتالفين في الرأي.. ثم..).

وإذ تكرس الدولة سلطتها «القمعية» ينشأ لها مفكرون ببررون لها ما

۱۰۱ - لینین - الثورة البرولیتاریة والمرتدکاوتسکی - المؤلفات الکامله - الطبعة الانجلیزیة - چـ ۲۸ - ص ۲۵۰.

١٠٢ – لينين – الشنوعية النسارية عيث أطفال.

١٠٢ - لينين - المؤلفات الكاملة - الطبعة الانجليزية - جـ٣٧ - ص٢٤٦

تفعل. وتظهر نظرية جديدة للحق.. ويقول أحد هؤلاء المفكرين (أو المبررين كلاهما صنعيحة) «إن الحزب الشيوعي هو طليعة الطبقة الأكثر تقدماً، ولهذا فهو في ذات الوقت طليعة جميع الكادحين. وهذا يعني أن المصالح الجذرية للطبقة العاملة تتطابق مع المصالح الاجتماعية لسائر الكادحين، وإن الحزب الشيوعي يعبر ويدافع في المقام الأول عن هذه المصالح، ولهذا السبب يصبح الحزب الشيوعي هو الطليعة الشعب يصبح الحزب الشيوعي هو الطليعة الشعب

ولأن الدولة لا تذبل بل يتعزز دورها فإننا نجد من يقول: «إن الحياة نفسها تطرح متطلبات جديدة وأكثر صرامة هذه) لمستوى نشاط الصزب في المجالات السياسية والأيديولوجية والتنظيمية «(۱۰۰)

بل نجد أن السيد ستراشون يبشر وصراحة بفكرة غريبة تقول: «إن إنتخابات الهيئات التمثيلية تؤدى قبل أى شئ في ظل الدولة الاشتراكية مهمة ضمان تحقيق الأغلبية في هذه الهيئات لمثلى الشعب الكادح والحيلولة دون إستيلاء أعداء الثورة على هذه الهيئات، (١٠٦٠).

والفكرة وإضحة تمامأ

١٠٤ متراشون - التمثيل الشعبى الاشتراكي - دار التقدم - موسكو (١٩٨٧)
 - حـ ١٤

١٠٥ - معجم البناء الحزبي - دار التقدم - موسكو - (١٩٨٧) ص٦٦٦

١٠٦ ~ ستراشون - المرجع السابق - ص٥٥.

لكننا بحاجبة إلى أن نقوقف لنتأمل الفكرة في مجملها وفي تداعياتها..

ماركس قال أن النولة، أى نولة هى أداة قمع تمارسه طبقة ضد
 طبقة.

- إعترف بأن النولة الاشتراكية ستمارس القمع مؤقتاً ضد خصومها الطبقيين.

- مؤقتاً .. لأن الدولة سوف تذبل بالضرورة.

- الدولة لم تذبل بل تدعمت أكثر. وهذا يعنى أن ماركس الذي فهم ويشكل ممتاز المجتمع الرأسمالي وحلل معطياته ونتائج ممارساته. لم يمتلك ذات القهم العميق المجتمع الاشتراكي وألياته وممكنات تطوره، وهذا طبيعي تماماً ففارق كبير بين الانغماس في الممارسة والمعايشة، وبين التصور والتوقع أو الاستنتاج، وكل ما إمتلكه ماركس من تصور وبين التصور والتوقع أو الاستنتاج، وكل ما إمتلكه ماركس من تصور للمجتمع الاشتراكي إستمده من ممارسة تجربة كوميونة باريس وهي تجربة فرضت عليه الكثير من الافتراضات والتصورات نظراً لمحدوديتها الزمنة والمكانية.

- وعندما قامت الدولة الاشتراكية مارست القمع ضد العدو الطبقى، لكن الماركسية ذاتها لا تضع فاصلاً كبيراً بين الفكر والموقع الطبقى، فهي تعتبر أن الموقف والفكرة هما ثمرة للموقع الطبقى.. أو دفاعاً عنه وعن متطلباته. ومن هنا وعندما تصادمت السلطة الاشتراكية مع خصوم فكريين أو حتى معارضين سياسيين أو مختلفين في الرأى أو في الرؤية

إعتبرتهم - ويبساطة - أعداء للثورة، ومن ثم خصوماً طبقيين وطبقت عليهم حد.. القمع،

- إن التطبيق اللينيني زاد علي الفكرة الماركسية إزاء الدولة مسالة التفويض المتمركز والتصاعدى فالشعب تتمحور مصالحه في إطار جماهيره الكادحة، والجماهير الكادحة طليعة هى الطبقة العاملة (أكثر الطبقات ثورية) والطبقة العاملة طليعة هى الحزب الشيوعي (آكثر طلائعها صلابة في الدفاع عن مصالحها)، والحزب الشيوعي يمثله ويحدد إرادته هرم متصاعد ومتمركز من المؤتمر إلى اللجنة المركزية إلى المكتب السياسي إلى.. المسكرتير العام.

وهكذا يقف السكرتير العام للحزب الشيوعي الحاكم.. في قمة هرم يعطيه سطوة لا حدود لها، فمن يقف ضده يقف ضد الثورة، ومن يعارضه يعارض الثورة، ومن ينتقده ينتقد الثورة.. ويما أن هناك مفاتيكان، قائم في الكرملين، حيث الاتحاد السوفيتي العظيم – وكان عظيماً حقية - وحزبه القائد، فأن السكرتير العام للحزب السوفيتي، أصبح في ولقم الأمر سكرتيراً عاماً لعموم الاحزاب «الشقيقة».

إن تشدد [ستالين] تشدد الجميع، إن لان [خروتشوف] لان الجميع. أن إنهار [جورياتشوف] الجميع.. إن إنهار [جورياتشوف] إنهارااجميع .. أليس هذا ما حدث فعلاولم ينج من ذلك إلابعض من اعتادوا على بعض من التمرد.

إنها ذات المحاولة التي يفرضها المتأسلمون أو يفترضونها، محاولة

الخلط بين الدين والمتحدثين باسم الدين، فالثورّة الاشتراكية إشتبكت في تلاحم لا ينفصيل وغير قابل للانفصال مع ممثلها العام والوحيد السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفيتي. تماما كما يحاول «الأمير» أو «الفقيه» أن يدعى تمثيل الإسلام ذاته.

- إن الفكرة الماركسية كانت فى بدايتها محدودة جداً عند تصورها للمجتمع الاشتراكى، وأنها إعتمدت على تجرية الكوميون، الأمر الذى حاصرها وحصرها فى إطار أفكار قادة الكوميون الذين كانوا فى أغلبهم برجوازيون صغار يقورون بصماس زائد، وكانوا يمارسون تجربتهم فى حى واحد من أحياء مدينة واحدة هى باريس، ومارسوا ذلك كله لأيام أو أسابيع مجدوده.

وينتج عن ذلك أفكار مثل:

- إنتخاب المندويين من القاعدة مياشرة.

كل المندوبين يحكمون لبعض الوقت بعد أن يعملوا ثمانى ساعات
 فى عملهم الوظيفى أو المهنى المعتاد، وذلك لكي لا يوجد من يحكمون كل
 الوقت فيتحكمون.

كل المندوبين يشاركون فى التنفيذ وفى التشريع فى أن واحد.
 فالسلطة الكوميونية لم تعرف الفصل بن السلطات.

وبغض النظر عن مدى صحة أو مدى إمكانية تطبيق مثل هذه الافكار في دولة كبيرة وعلى مدى طويل.. فقد إستفادت القوة المتحكمة في الدولة السوفيتية من هذه المارسات وحققت لنفسها نفوذاً طاغياً..

* فالمندوبون (في مجلس السوفيتيات) يعملون في عملهم المهنى ثماني ساعات، ومن ثم يكون دورهم في الحكم محدوداً جداً. بما يترك سلطة الحكم الفعلي للمتفرغين، وهم قادة الحزب.

* وإنعدام الفصل بين السلطات يؤدى إلى إمتلاك السكرتير المام سلطات واسعة.. تنفيذية وتشريعية، ويضعه في قمة هرم السلطة بلا منازع ويلا سلطة تتوازن معه.

* ان نظرية التفويض المتمركز والتصاعدى قد إستخدمت على النطاق المحلى (سكرتير الحزب في أي مستوى هو المسئول الأول وهو الحاكم الأوحد) ثم على المستوى العالم. كذلك ففي خضم معارك الحركة الثورية العالمية ضحد الامبريالية العالمية، كانت همناك قيادة هي بالطبع الحزب الشيوعي السوفيتي، ومن ثم فدوره القيادي محفوظ، وغير قابل للمنازعة، والالتزام بما يقول هو قدر مفروض بل ومفترض، والخروج عليه خروج علي حركة الثورة العالمية وعداء لها .. وخدمة للعدو الأمبريالي.

(راجع ما حدث لتيتو وحتى لماوتسى تونج عندما إختلف كل منهما مع الحزب السوفيتي)

ولعله من الملائم ان أحكى هنا حكاية طريفة ومؤلة في أن واحد. في مرحلة السجن الناصري الصعبة تم تهريب قليل من الكتب الى السجن، وفي سجن القناطر كنا نجلس كل ليلة في الزنزانة لنستمع إلي رفيق يجيد الفرنسية، يقرأ من كتاب بالفرنسية ويترجم لنا بالعربية مباشرة .. الكتاب كان عنوانه « تيتومارشال الخيانة» وهو محشو بالان مما يقال انه وثائق أو أدلة دامغة على أن تيتو كان جاسوساً وعميلا للامبريالية منذ بداية نشاطه السياسي. تجاسرت وسالت.. وكيف أصبح زعيما، وبطلا شعبياً محبوباً. فأجاب «الملقن» إنها الامبرياليه التي قد تخدعنا بعض الوقت ، ولكن أن تخدعنا كل الوقت. وبعد فترة صعد نجم تيتو كواحد من أبطال عدم الانحياز. وجاء خروتشوف و«تقرر» رد الاعتبار لتيتو، وعاد من جديد بطلا إشتراكياً. وسالت كيف؟ فأجاب «الملقن» إنها الامبريالية خدعتنا فدست علينا وثائق مزوره ضد تيتو. لكنها لا تستطيع أن تخدعنا كل الوقت، وإمتئلت لأنه لم يكن أمامي إلا أمتثل.

* * *

لكننا الآن - والآن فقط - نرفض فكرة تناقض «الاشتراكية» مع «الديمقراطية» (بمفهومها الليبرالي).

وقد عانينا نحن فى مصر طويلاً (فى الزمن الناصري) من محاولة وضعنا فى موضع الاضتيار الذليل بين الخبر بلا حرية، أو الحرية بلا خبز. فنحن نعتقد أن الإنسان من حقه أن ينال قدراً كافياً من الخبز ومن الحرية معاً، وفى أن واحد.

ومن هنا فإن «الماركسية» يتمين عليها أن تعيد النظر وبشكل إنتقادى ليس فقط في «التطبيق» الذي مارسته السلطة السوفيتية وغيرها من السلطات المقلدة لها من أيام لينين و حتى الآن في مجال الديمقراطية، وإنما يتعين عليها أن تراجع مراجعة نقدية حازمة جوهر الفكرة التي نادى بها ماركس وانجلز عن الديمقراطية، مستندين إلى مقولة «أن الدولة أي دولة هي أداة قمع» وإلى الفكرة التي لم تزل تبدو خيالية وهي «ذبول الدولة» وإنتفاء دورها، مع إنتفاء مبررات الصراع الطبقي، ومن ثم يتحقق ما يقولون عنه «التطور الحر لكل فرد في إطار الحول الحر الجريع».

ومن ثم فإن علي الماركسية أن تتخلص ويشكل حاسم من فكرة «قمع» الخصم، ومن أفكار أخرى عديدة، مثل نظرية الاستنابة، أو تصور النيابة عن الشعب أو الطبقة أوالحزب.

وعليها أن تتخلص من التصورات «الكميونية» المحدودة الأفق، والتى مزجت كل السلطات معا لتسهيل وضعها جميعاً في سلة واحدة يقبض على عنقها جميعاً شخص واحد، فنفسح أمامه الطريق، وكأننا نتوسل إليه باسم النظرية، وباسم الشعب وباسم الطبقة، وباسم المستقبل:
تفضل من فضلك كي تصبح دكتاتوراً.

لكن ذلك كله سهل.. قهو مجرد قرار، أو إقتناع أو أقناع، أما المهمة الأكثر أهمية فهى محاولة تفهم الواقع المحلى تفهماً تفصيلياً يمكن الماركسيين من أن ينسجوا على أساسه رؤية ماركسية مصرية ويمنحها الصبغة المصرية.

والصبغة هنا لا تعنى مجرد طلاء، وإنما أن تتشكل من نسيج محلى النهكة، ومحلى المحتوى. ويتطلب ذلك فهما متأنياً للواقع وليس مجرد إلمام به.

ومن ثم تكون قادرة علي أن تقدم للجماهير المصرية مقترحاً مصرياً بتصور لمستقبل مصد على ضوء أفكارها وفهمها النظرى للواقع المحلى.

ومثل هذا المقترح سيكون مستنداً بالطبع إلى المنهج الماركسي وقوانينه العامة، وإلى قراءة الخبرات الماركسية الأخري، لكنه جوهره المصرى يبقى هو الأساس.

وهذه مهمة ليست سهلة بالنسبة لبلد كمصر، وبالنسبة لزمن كذلك الذى نعيش فيه حيث وقعت عملية حراك إجتماعى واسعة غيرت من تراتب العديد من الفئات في السلم الاجتماعي ومن مواقعها إزاء بعضها البعض، وغيرت من التركيب الاجتماعي لفئات عديدة في الريف والمدينة. الأمر الذي زاد من تعقيدات الواقم المسرى تعقيداً فوق تعقيد.

* * *

لكن صياغة رؤية نظرية كهذه يتعين عليها أن تضع فى الاعتبار المتفير الأساسى الذى أصبح سائداً فى قناعات الجميع أو أغلبهم علي الأقل . وهو ضرورة أن تلتزم الماركسية بالديمقراطية .. بمعنى أن تلتزم بفكرة التعددية الحزبية، وأن يكون الحزب خارج الحكم أو داخله واحداً من أحزاب عدة تعمل فى الساحة السياسية على قدم المساواة، دون أية أفضلية أو إدعاء وهى بأنه الممتلك الوحيد لمفاتيح تمثيل الشعب أو الجماهير الكادحة، ويتطلب ذلك بالضرورة التمسك بفكرة تداول السلطة

. فوصول الحزب إلى السلطة مرتهن بأصوات الناخبين وكذلك إبتعاده عنها،

والإلتزام بذلك سيتطلب بالضرورة بحثاً نظرياً دقيقاً ومدققاً في تحديد البرنامج ومساحة التغييرات التي سيطرحها.

ففى السابق كان وصول الحزب إلى السلطة بداية لا نهاية لها. ويستند ذلك إلى مفهوم التراتب المتواصل فى تطور المجتمعات، فالماركسية التى وضعت خريطة لتطور المجتمعات (شيوعى بدائى – عبودى – إقطاعى – رأسمالى – إشتراكى) لم تعرف أو تعترف بأى إحتمال لتراجع مرتبة أعلى من هذه التشكيلة إلى الوضع الأدنى. فهل رأيت مجتمعاً إقطاعياً يرتد إلى العبودية، أو مجتمعا رأسماليا يرتد إلى الإقطاع؟ لا. وكانت «لا» هذه قاطعة مانعة، إذن لا مجال لارتداد المجتمع الاشتراكي إلي الرأسمالية من جديد (ونسوا أن هناك فارقاً أساسيا هو أن الانتقال عبر المراحل الأربع الأولى إنتقال بين متجمعات تعترف جميعاً بالملكية الفردية لوسائل الانتاج .. ومن ثم فإلانتقال وإستقراره أيسر وأسهل.)

وقد أدى هذا الفهم بالطبع إلى طمأتينة زائفة إزاء الأخطاء التى تراكمت، ورآها الناس رأى العين، وتجاهلوها، فمسيرة التاريخ تسير قدماً إلى الأمام، ولا مجال للتراجع ولكن ها هو التراجع حقيقة واقعة مجسدة أمام أعيننا.

وفي السابق كانت الأحزاب المنتسبة إلى الماركسية تضع برامجا

راديكالية تطالب بتغيير شامل كامل، وجذرى في البنية الاقتصادية والاجتماعية وفي البني الأخرى، وفوراً.

والآن.. وإذ تقبل هذه الأحزاب بفكرة تداول السلطة فهل سيكون من المكن أو حتى من الجائز تصور إجراء مثل هذه المتغيرات الشاملة والكاملة والجذرية في البنية الاقتصادية والاجتماعية بواسطة حزب سيحكم لأربع سنوات، وربما فقد الحكم بعدها، وأتى بعده رأسماليون ليعيدوا إستعادة البنية القديمة كما كانت؟، فهل يمكن أن يركب المجتمع أرجوحة المتغيرات المتناقضة تناقضاً حدياً كل أربع سنوات؟ بل هل يحتمل؟

وثعل الأقرب إلى المنطق هو أن يطالب الصرب بمطالب التنفيذ الفورى غير راديكائية أقصد جزئية، دون ان يلغى ذلك إمكانية طرح برنامج حد أقصى كمطلب نهائى. أو بالدقة كطموح أو حتى حلم نهائى بحيث يسير الحرب – إذا ما وصل إلى الحكم عبر الانتخابات بالمجتمع في مسار التغيير بخطوات محسوبة ومحددة، بحيث يمكن بالمجتمع في مسار إلى الحكم أن يتراجع عن بعضها [لأنه سيكون من الصعب عليه أن يتراجع عنها كليا] دون أن يحدث إنهياراً مجتمعياً. ومكذا سيحتاج الامر إلى مرحلة إنتقالية طويله الامد.. وربما طويلة حداً.

أو هذا ما أعتقد

وفيها عندما مات الرسول وسرت همسات ترددت بهواجس التردد في صفوف المؤمنين خرج عليهم أبو بكر صائحا «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت».

فهل من أبي بكر يصيح هذه الصيحة؟.

إنتهى الاتحاد السوفيتى ولكن الشوق للعدل والمساواة والحرية لم يزل يجيش فى الصنور، الحاجة إلى الخبز والمسكن والعلم والتقدم والديمقراطية لم تزل تلهب المشاعر.

وأبو بكر الماركسى أت حتما، أن لم يأت من صفوف الماركسيين الصاليين، بحيث يلهب ظهورهم ويدفعهم إلى إعمال العقل والفكر وفهم الواقع المحلى ودراسة كل ما كان ، ودمج المعرفة النظرية بالواقع دمجاً غير قابل للانفصال..

إن لم يأت، أو أتى ولم ينجح، فسيأتى حتما من صفوف جيل جديد. فالشوق للعدل قديم..

ومتجدد نوما ..

ونعود لنلتو تلك الايقونه الفرعونية:

إنهض يا أوزوريس

ان حوريس يحبك،

- - التأسلم السياسي وروافده

 - الاخوان المسلمون

«وإن جادلوك فقل الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون»

قرآن كريم.

«لا تبردوا بريداً إلا مع حسن الوجه، حسن القول، حسن الفعل»

حديثشريف

«القرآن لا ينطق وهو مكتوب، وإنما ينطق به البشر، وهو حمَّال أوجه»

على بن أبي طالب

أنا إلاله لم آمر أحداً منهم أن يفعل السوء لكن قلوبهم هى التى أفسدت كل ما قلت. ورغم أن الانسان إعتاد إرتكاب الخطيثة فإن الرب يعرف دوماً الرحمة. لأن الإله فى طيبه لا يضيع يومه كل فى الغضب.

....

....

قوة المرء في لسانه والحديث الطيب أقوى من الحرب

القتل لا يفيد

لا تكن فظاً.

. . . .

إختلت الموازين

يــــ بوي إختفي الحق

إختفى الحق البعض يحاول حتى خداع الآلهة

يذبحون الأوز كقرابين

ويقدمونها للآلهة زاعمين أنها ثيرانا

من بردية فرعونية

* بدایه عن التسمیة

في كل محاولات تسييس الدين،أو تديين السياسة بيرن إتجاه لإتخاذ أسماء تستهوى قلوب العامة، وتمنح أصحاب هذه المحاولات مساحة من التستر بصحيح الدين لتضليل الناس، ولإستبعاد مخالفيهم من ساحة الإيمان.

ولهذا حرص الإعلام المصرى فى السبعينيات على ألا يستدرج إلى ترديد هذه المسميات هفالجماعة المسلمة « (شكرى مصطفى) أسميت إعلامياً جماعة التكفير والهجرة، و«جماعة شباب محمد» (صالح سرية) أسميت إعلامياً جماعة الفنية العسكرية.

ذلك أن الوقوع في فخ هذه المسميات يمنح هذه الجماعات مسحة من المهابة الدينية، بينما هي في حقيقتها لا تستحق ذلك.

كذلك فإن الوقوع في فخ إستخدام مسميات مثل «الاخوان المسلمون» أو «الجماعات الإسلامية» يعنى لغوياً (كما سنرى فيما بعد) أن كل من هو خارج الجماعة، خارج عن الإسلام، فكأننا إذ نقع في فخ إستخدام مسمياتهم نكرس مقولاتهم المنافيه للحقيقة، ولصحيح الدين.

ولقد أطلقت على هذه الجماعات مسميات عدة نعتقد أنها جميعاً خامائة:

ا - الأصوليون:

«معناها الراغبون في العودة إلى أصل الإسلام، والأصل جليل وهو كلى الصحة، وإعترافنا بإنتسابهم إليه، أو محاولتهم العودة إليه هو إقرار منا بصحة ما يُدعون.

٢ - السلفيون،

وتعنى المحاولين للإنتساب السلف والإقتداء به. وفى القاموس سلف الرجل هم آباؤه المتقدمون^(۱) فهم يريدون الانتساب إلى الرعيل الاول من المسلمين، وهم لا يستحقون ذلك، لانهم ليسوا كذلك.

٣ - المتطرفون:

والتطرف لغة هو الوصول إلى أقصى الشئ دون الخروج عن حدوده. والطرف هو الناحية أو الطائفة من الشئ، ويقال فلان كريم الطرفين أي كريم النسب لأبيه وأمه.(^(۲)

فكائنا إذ نسميهم بالمتطرفين نؤكد أنهم الأكثر إيماناً، والأكثر إقتراباً من صحيح الدين. فإن كان الأمر كذلك فلم لا نقتدى بهم؟ ونسير على دريهم؟

٤ - التيار الإسلامي أو الإسلاميون:

و«إسلامى» هنا صفة أو نعت، والصفة عند النحويين هى تمييز الشئ عما عداه، كأن تقول «مصريين» لتمييزهم عن غيرهم من الشعوب، فإن أضيفت إليها «ال» أصبحت تعنى إستغراق الشئ كله، فإن قلت «المصرين» فإن من عداهم لا يكون مصرياً.

فهل نردد ما يضمح لهم باعتبار أنفسهم وحدهم ودون غيرهم: «المسلمون».

١ - مختار المنجاح - طبعه ١٩٢٠ - ص٣٠٩، باب سلف.

٢ – للرجم السابق – ص٣٩ – باب طرف.

٥ - المتأسلمون:

والتاء هنا تعنى فعل شئ كأنت وتفعل»، فإن تأخرت عن الفعل كانت ضميراً، وإن تقدمت صارت علامة. فالتاء إذ تضاف إلى الفعل «أسلم» تعنى أن صاحبة يتشبه أو يدعى أن مقولاته هى صحيح الإسلام بينما هى ليست كذلك.

وهكذا تقول «تأسلم» كما تقول تأقلم، وتفلسف وتأمرك (أى أتخذ علامات الأمريكيين لكنه ليس كذلك) أو إتخذ سمات الفلاسفة دون أن يستحق،..وهكذا.

لهذا فإن التمسية الصحيحة لغوياً هى فى إعتقادى «المتأسلمون». وسياسياً يمكن أن تكون (إذ ماتحرج البعض من التسمية اللغوية) الجماعات السياسية المتسترة بالدين.

* * *

..وبداية أخرى عن تسييس الدين

يقول ابن المقفع «الدين تسليم بالايمان، والرأى تسليم بالاختلاف. فمن جعل الدين رأياً فقد جعله خلافاً، ومن جعل الرأى دينا فقد جعله شريعة».

وهكذا فإن تسييس الدين، أو تديين السياسة هو قعل خاطئ من الناحية المنهجية. ذلك أن السياسي يطرح رأياً أو موقفاً أو برنامجاً فإن إختلفت معه كنت معارضاً له، أو معترضاً عليه، لكن هذا الرأى إن جاء متشحاً بالدين، ومستخدماً رداءً دينياً يوحى اك، أو يفرض عليك أن هذا

القول هو الدين ذاته .. أو في أحسن الأحوال هو الرأى الصحيح في الدين وفي معطياته، فماذا لو خالفته أو إختلفت معه؟ أنت إذن تختلف مع صحيح الدين.

ومن هو هذا السياسي الذي يرغب أو يتجاسر فيختلف مع صحيح الدين؟

ومن هنا قإن فكرة إحتكار الدين لصالح جماعة سياسية يعطيها الحق في الاستقواء بالدين على جميع من عداها. أو وفق التعبير المستخدم لديهم «الاستعلاء بالإيمان» فهم الأعلى. الأجدر. الأقوى. المسكون بمفاتيح الصحة والخطأ، لأنهم المسكون بمفاتيح الصلال والعقد في الاسلام؟ ولنا في ذلك تفصيل

والمشكلة هنا تأتى من تعمدهم الخلط بين الرأى فى الدين، وبين الدين ذاته. فالدين معطى إنسانى نسبى ذاته. فالدين معطى سماوى كلى الصحة والرأي معطي إنسانى نسبى المسحة، فيهل يرضى واحد من «أمراء» أو «أئمة» التأسلم السياسى بمنزلة كمنزلة البشر العاديين فيكون رأيه أو رأى جماعته نسبى المسحة؟ فإن رضى فما جدوى «التأسلم» والإلتحاق بالدين، إنه يتأسلم كي يفرض علينا رأيه فرضاً.. فهو جماعه المسلمين، هو صحيح الدين، هو صاحب الحق في تحديد الحدود بين الحلال والحرام..

فماذا أو تجاسرت على مخالفته؟

الاجابة جاهزة ورائعة: من خرج على الجماعة فإضربوه بحد السيف.: ومن هنا وتحت ستار تسييس الدين أو تديين السياسة يكون العنف مفتر ضاً بل ومفروضاً.

* * *

أثنى العنف إلى ساحة السياسة منذ زمن الخليفة عثمان بن عفان. وجاء مرتدياً - وهذا طبيعى - ثياباً إسلامية، أى إذا شئنا التدقيق اللغوى أتى متأسلماً، طرفان أو أكثر إختلفا أو إختلفوا، ثم تحصن كل منهم بنصوص أو دعاوى أو حتى إدعاءات «متأسلمة» مؤكداً أن موقفه وحدده هو «صحيح الإسلام».

أو بالدقة هو الموقف «الحلال» وإن الآخر، كل الآخر هو «الحرام».

حتى مقتل عثمان، صاحب رسول الله، ورفيق معاركه.. وممولها ، وخليفته الثالث أتى «حلالاً» عند البعض. وإختاط «التأسلم السياسى» بالجاهليات القديمة فتبدى الأمر وكأن الناس قد نسوا إسلامهم أو بعضا منه، وعاودا إلى عادة الثار الجاهلية و العادات القبلية التى نبذها الإسلام.

وعندما إنتصر «الأمويون» تذكروا علي الفور ثأر بدر.. ونقموا علي أهل المدينة مساندتهم للرسول ضد جدهم أبى سفيان. وعندما زار معاوية المدينة وقف فى سكانها – المرحبين به – على مضض – خطيباً فقال: «أما بعد .. فإنى والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم، ولا مسرة بولابتى، ولكنى جالدتكم بسيفى هذا مجالدة».

أما مسلم بن عقبة قائد معاوية الذي ذهب إلى المدينة ليفرض على سكانها بيعة يزيد إبنه، فقد أشاع القتل والدمار والسبي في بنات المدينة، ويقال أن رجاله قد فضوا بكارة ألف بكر من بنات المدينة.. وصمم على أخذ بيعة الناس هناك كالعبيد ، فمن قال بايعته على كتاب الله وسنه رسوله قتله لأنها بيعة مشروطة، وقال: أريد بيعتكم كبيعة العبيد بغير شرط». وإبتهج الامويون.. إستعانوا الثار القديم.

قالأمويون - وحتى مع مضى الزمن - لم ينسوا ثأر هزيمة جدهم فى غزوة بدر على يدى الرسول وأنصاره من مسلمى المدينة، أى من الأوس والخزرج، فصاح يزيد بن معاوية قائلا:

ليت أشياخي ببدر شهدوا

فزع الخزرج من واقع الأسل

لأهلوا وإستهلوا فرحأ

ولقالوا لوليد لا فشل

ثم بدأت معركة أصطناع أحاديث منسوبة الى الرسول تبرر كل هذا العنف، وتمنح الأمويين حق إنتزاع الحكم لأنفسهم، فالصراع لم يكن سوى صراع سلطة، أو بالدقة صراع على السلطة.

معاوية قال في تواضع مصطنع «والله ما أردتها لنفسى لولا أنى سمعت رسول الله يقول يا معاوية إن حكمت فأعدل».

أما إبن عباس [وكان مواليا لمعاوية] فقال: «أتى جبريل إلى رسول الله فقال: يا محمد أقرئ معاوية السلام ، وإستوص به خيراً فإنه أمين الله على كتابه ووحيه ونعم الأمين».

ويالمناسبة فإن الشاطبي يقول: [ربما أيضا في خضم الصراعات] سمعت بأذني من الامام الشافعي: لم يثبت عن إبن عباس في التفسير

سوي حوالي مائة حديث»^(۲)

ونعلم ما فعلوه فى عبد الله ابن بكر إذتعقبوه حتى الفسطاط، طالب بشريه ماء فأبوا، ثم أحرقوه حياً وخاطوا عليه بطن أتان وهو لم يمت معد.

أنها تقاليد الجاهلية الأولى.. والانتقام القبلى بكل بشاعته تأتى مرتدية ثباباً جديدة..

متسريلة أيضا بالحلال والحرام. ومستندة كذلك إلى «أحاديث» نبوية مصنوعة،

ولم يكن الأموين وحدهم وضاعون للأحاديث فعندما أتى العباسيون على رماح فارسية وهزموا بنى أمية بحد السيف وباشروا ضدهم أبشع أنواع الانتقام، وفرضوا «فارسيتهم» لغة وتقاليداً وحضارةً على هؤلاء «البدو» فتبدى تحديهم وكأنه موجه لا إلى الأمويين وحدهم، وإنما إلى العرب جميعا.. وأصبح «الموالى» سادة في بغداد وسادت لغتهم فيها حتى صاح المتبنى غاضبا:

ويغدوا الفتى العربي فيها غريب الأهل والند واللسان

ملاعب جنة لو سار فيها

سليمان لسار بترجمان

٣ - الشاطبي - شطب الموافقات،

ولكى يتسسق ذلك كله مع المعطى الدينى الذى يظل دوساً المكون الفكرى الأساسى.. وضعوا هم أيضاً أحاديثاً نسبوها للرسول يبررون بها سلطانهم..

سئل رسول الله عن الآية الكريمة «وأن تتواوا نول قوماً غيركم» من هم هؤلاء القوم؟ فوضع بديه على منكبى سلمان الفارسي قائلا هذا الفتى ورهطه، والله أو كان الإيمان منوطاً بالثريا أناله قوم من فارس». وأسرع «العرب» بالرد بحديث مصنوع هو أيضا «إذا إختلف المسلمون فالحق في مضر».

وتبارت الأطراف المتصارعة في «وضع» الاحاديث حتى جمع البخاري ستمائة ألف حديث لم يصح اديه منها إلا ثمانية الآف بعضها مكرر بمعنى أنه روى بأكثر من نص مختلف.

ولقد أفسح هذا المجال لكثير من المنافقين مثل عبد الله بن سبأ الملقب بإبن السوداء، الذى قال بالرجعة أى رجوع الرسول، وقال «العجب ممن يصدق أن عيسى يرجع، ويكنب أن محمداً يرجع، وقد قال تمالى «إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد» ومحمد أحق بالرجوع من عيسى. ثم قال «إن كان لكل نبى وصبى، وعلى وصبى محمد.. محمد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصياء،(1).

وهكذا كان التأسلم السياسي أي إلباس الموقف السياسي أو

٤ - إبن الاثير - الكامل في التاريخ - جـ ٣ - ص٧٧.

المصلحة السياسية ثياباً دينية سبيلا للعبث بالمقدس وبالقيم والتعاليم.

وتتمادى عملية أسلمة السياسية فتتخلق من ثناياها مقولات وأقاويل...

مثل «جماعة المسلمين».. وهذا التعبير قصد به فى أيام الرسول التمييز بين «مجموع المسلمين » أى مجموع الناطقين بالشهادتين ويين «الكفار» الذين ينكرون علي الرسول دعوته ونبوته وما يدعو إليه.

وإذا يتمادى الصراع علي الحكم تلجأ كل جماعة إلى الأدعاء بأنها وحدها «الجماعة المسلمة» وأن الآخرين خارجون عن ملة الإسلام،

ثم أتى تعبير «أهل الحل والعقد فى الاسلام.. من والاهم فقد والى صحيح الدين، ومن خالفهم خالفه، ومفارقهم مفارق للإسلام» هذه العبارة لم ترد أبداً فى قرآن أو سنة لكنها وردت ولأول مرة علي لسان الأمام المواردى • (توفى عام ٤٠٠ هجرية) فى كتابه «الاحكام السلطانية).

. وتستخدم هذه المقولات حينا لدعم «الصفوة الحاكمة» وفي أحيان أخرى لدعم جماعة سياسية بعينها .

ويتكاثر فقهاء السلطان .. ليجعلوا من شخصه محطاً الخضوع والولاء المطلق وأحيانا التقديس فأبو بكر الطرطوشى صاحب كتاب «سراج الملوك» يعطى السلطان كل السلطة والسلطان «فالله سبحانه وتعالى جبل الخلق على عدم الانصاف . فمتى لم يكن لهم سلطان قاهر، لم ينتظم لهم أمر، ولم يستقر لهم معاش . ومن الحكم التي وردت في إقامة السلطان أنه من حجج الله على وجوده سبحانه ومن علاماته على توحيده.. العالم بأسره في سلطان الله كالبلد الواحد في يد سلطان الأرض».

الطرطوشي يقارن بين سلطان الله في الأرض، وبين سلطان الحاكم على بلده.

ومن ثم يعطى الحاكم سلطاناً ما بعده سلطان.

ويأتى المتأسلمون الجدد إذ ينكرون سلطان السلطة «الجاهلية» كى يعطوا الأنفسهم هذا النوع من السلطة التى تحدث عنه أمثال المواردى والطرطوشى.

بل إن الطرطوشى يمجد القهر .. والطغيان .. «كذلك السلطان إذا كان قاهراً لرعيته كانت المنفعة به عامة، وكانت الدماء في أهبها محقونه، والحرم في خدورهن مصونة، والأسواق عامرة والأموال محروسة»() .. ويسهولة ويسر ينقل المتأسلمون المحدثون كل هذا السلطان الطاغى بل والباغى.. إلى أنفسهم بإعتبارهم «المسلمين» أو «الجماعة المسلمة» أو «أهل الحل والعقد» سيان.

* * *

ومن أبواب التأسلم السياسي ما يسمى بالتفسير النصى للقرآن . أى عدم الاعتداد بأسباب التنزيل وبواعثه، وظروفه، والاستناد فقط إلى

٥ - أبو بكر الطرطوشي - سراج اللوك - الباب السابع - ص١٥١.

تفسير حرفي للنصوص..

وانا في ذلك تفصيل نأمل إلا يكون مملاً.

كان الخوارج ممن يأخنون بالتفسير النصى للقرآن، فلما عرضت عليهم الآية الكريمة التى تقول علي لسان نوح عليه السلام «وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً، إنك أن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً «فأفتوا بقتل الرجال .. والنساء وكذلك الأطفال حتى لا يشبوا كافرين، ويلدوا كفاراً مثلهم.

وأما الآية الكريمة: « فقاتلوهم يعنبهم الله بأيديكم وينصركم عليهم ويشفى صدور قوم مؤمنين» فأخنوا يعنبون خصومهم ويعملون فيهم القتل ويتمتعون بذلك.. إستناداً إلى فهمهم النصى الخاطئ؛

ولنا أن نتوقف الآن لنراجع ما يجرى فى الجزائر من مذابح إستناداً إلى هذا الفهم الخاطئ.

ويروى إبن حزم أن الصحابى الجليل عبد الله بن خباب كان يمضى هو وزوجته فى طريق به جماعة من الخوارج.. فعلق المصحف فى عنقه، فأمسك به الخوارج وقالوا: إن الذى فى عنقك يأمرنا بقتلك، فقال كيف؛ فقالوا له ما قولك فى أبى بكر؟ قال: خيراً. و ما قولك فى عمر؟ قال: خيراً. ثم قالوا ما قولك فى على وقبوله التحكيم؟ قال: على أعلم منى ومنكم بالقرآن.. فذبحوه» ويمضى إبن حزم قائلا «وكان إلى جوارهم

ضيعة صغيرة لأحد النصارى فقالوا لصاحبها: بعنا بعضاً من تمر، قال خنوه بلا ثمن، قالوا: ديننا ينهانا عن ذلك - فقال لهم: أتقتلون إبن خُباب وتحافظون على تمرى؟ ه\" وكان النصرانى محقا فى سؤاله.

وفي ذات الطريق سلك واصل بن عطاء فسأله الخوارج هو وجماعته، من أنتم؟ فقال إبن عطاء: مشركون نستجير بكم.. فقال الخوارج إبتعنوا. فرد عليهم واصل: ألم تسمعوا بالآية الكريمة «فإن أحداً من المشركين إستجارك فأجره حتى يسمع كلام الله» فأجلسوهم وأسمعوهم كلام الله .. ثم إكمل لهم واصل الآية «ثم أبلغه مأمنه» فأرسلوا معهم حراساً منهم حتى أبلغوهم مأمنهم.

وصارت مثلا لما يمكن أن يؤدى إليه التفسير النصى من خلل، فالذى علق المسحف في عنقه قتلوه، والذي قال أنه مشرك حرسوه حتى أبلغوه مأمنه.

والجماعات المتأسلمة الحديثة يقوم فقهها على التفسير النصي.. فحسن البنا عندما يتعرض إلى أول خلاف داخل جماعته (إختلف معه بعض إخوانه عندما قبل دعماً مالياً من شركة قناة السويس الاستعمارية .. أمر بالمخالفين فضريوا .. ويرر ذلك مستنداً إلى: «من خرج على الجماعة فإضريوه بحد السيف». والسؤال هو:أي جماعة..؟ هذا هو مصدر التلاعب النصى. جماعته هو، أي تنظيمه، أم جماعة

٦ – إبن حزم – القصل.

المسلمين أي مجموع المسلمين؟

.. وشكرى مصطفى أستاذ التشيث بالتفسير النصى.. فالاية الكريمة «وأعدوا لهم ما إستطعتم من قوة ومن رياط الخيل» يقول عنها فى كتابه الترسمات «هذا خطاب موجه المؤمنين فى أول الزمان وفى آخر الزمان، والقوة كما جاء فى الحديث هى الرمى، والخيل هى الخيل فإذا جاء من يقول إن الخيل لا تصلح الآن نقول له عندما نقاتل سيكون قتالنا بالسيف والرمى والخيل».

ويقول: «جاء فى الحديث الشريف الجنة تحت ظلال السيوف فالجنة فى الجنة، والسيف هو السيف ولم يقل الرسول تحت ظلال البنادق\(^) ونلاحظ أن جماعة (شكرى مصطفى كانت ترفض إستخدام المطبعة باعتارها عتاد كافر).

وهو يستخدم السيف «لأن وسائل المسلمين وسائل متكررة، والله برحمته وعزته قد برأ الجماعة المسلمة من وسائل الكافرين الجاهلية الحديثة «⁽⁴⁾ لكنتا نلاحظ أنه إستخدم المسدس وهو من وسائل الكافرين في إغتيال الشيخ الذهبي.

وشكرى مصطفى يستند إلى الحديث الشريف «قل أعوذ بالله من علم لا بنفم»

ليقول «كانت جماعة محمد تتعلم هذا الدين، لا تتعلمه لمجرد العلم

٨ - شكرى مصطفى - التوسمات - مخطوط . ص٥١٥.

٩ – المرجم السابق،

ولا تتعلمه للدنيا، ولكن تتعلمه للتطبيق والعمل والعبادة، العلم وسيلة لعباده الله، وكل علم يتعلمه الانسان لغير العبادة فقد تعلمه لنفسه، وتعلمه لغير الله .. وهذا شرك (١٠)

ويهذا أفتى ان تعلم العلوم الحديثة حرام.

ومن مخاطر التأسلم السياسى ما يسمى بالتفيقة. أي محاولة إعتصار مواقف «دينيه» حول مستجدات دنيوية لم ترد في أصول الشريعة ولا في فروعها.

ناسين قول الرسول «أوغلوا في هذا الدين برفق».

وناسين ان عمر بن الخطاب سئل عما هو «الأب» في الأية الكريمة «وفاكهة وأبا» فقال: لا أعرف »والتفيقة سمة في كل حركات التأسلم السياسي الحديث وعلى رأسها جماعة الاخوان..

ولا نريد أن نطيل في ذلك فقط نكتفى بهذه الواقعة: جاء جماعة إلى عبد الله بن عمر وكان من فقهاء عصره فسائوه: ما حكم قتل حشرة الفراش في الأشهر الحرام، فقال من أي البلاد أنتم؟ قالوا: من الكوفة قال: لعنكم الله أتقتلون الحسين وتسائون عن حشرة الفراش؟.

* * *

ولقد شريت جماعة الاخوان من كل هذه الآبار المريرة المياه، وتكونت عقليتها على هذه الأفكار وتلونت مواقفها وتوجهاتها بالوانها، لكنها أصافت إلى كل ما سبق كأساً أضرى أشد مرارة هي الخلط بين

١٠ -المرجع السابق - ٢٢.

«الدين» كمعطى سماوى ويين «الفكر الدينى» وهو بالضرورة معطى إنسانى. الدين مطلق المسحة، والفكر الدينى نسبى الصحة (الأنه رؤية إنسانية) لكن حسن البنا فعلها. وخلط بين الاثنين خلطاً متعمداً كى يعطى أفكاره قداسة، ويمنحها حصانة ضد النقد .. وضد الانتقاد.

وعندما قدم البنا ما أسماه «عقيدة الجماعة» المؤتمر الثالث للجماعة (١٩٣٧) أردفها بتأكيد أكد عليه المؤتمر كله يقول فيه «علي كل مسلم أن يعتقد أن هذا المنهج كله من الإسلام وأن كل نقص منه، نقص من الفكرة الاسلامية الصحيحة».(١١)

الأمر الذي دفع الاستاذ طارق البشرى في كتابه «الحركة السياسية في مصر 20 -- ١٩٥٧»، وفي طبعته الأولى، أي قبل أن يغير ما فيها بعد أن تغيرت مواقفه، إلى القول «ان الجماعة بهذا البرنامج تصادر الدين لمسلحتها، وبهذا لا تصبح مجرد جماعة تطبق الدين، وإنما تؤكد أن منهجها هو وحده الاسلام الصحيح، ومن ثم فإن من يقف ضدها كجماعة يكون خارجا على الإسلام، أنه مبدأ يسعى للسيطرة على الاسلام لا للاتصاف به «٢١)

وتتمادى عملية الخلط بين «الجماعة» و بين «الإسلام» فيكتب صالح عشماوى أحد قادة الإخوان في ثقة مثبرة للدهشة «إن أي إضبهطاد

١١ – حسن البنا – منكرات البعوة والدعية – مر١٢٨.

۱۲ - طارق البشری - الحركة السياسية في مصر ۱۹٤٥ - ۱۹۵۲ - الطبعة الأولى -- ص۱۸۲

للاخوان هو إضطهاد للإسلام ذاته»^(١٢)

وعندما قبض عبد الناصر على بعض الاخوان (مارس ١٩٥٤) خطب الاستاذ عبد القادر عوده في المتظاهرين قائلا: «الاسلام سجين».

والخلط المتعمد بين «الدين» و «فكر الجماعة» .. بين العقيدة والاخوان يقتاد الجماعة بطبيعة الحال إلى «الاستعلاء» على الجميع، وإلى وصم كل خصومها بأنهم ضد الإسلام.. أليس منهجها كله من الإسلام، وكل نقص منه نقص من الفكرة الإسلامية ذاتها؟

بل إن حسن البنا الذي إعتبر نفسه إماماً .. ولم يزل تابعيه وتابعى الجماعة يسمونه بالامام .. يقول ببساطة وبلا أي قدر من التواضع .. «إن الامام هو واسطة العقد، ومجمع الشمل، ومهوى الافئدة» ثم. «وظل الله في الأرض» (١٤٥)

فإن كان سيادته ظل الله في الأرض فمن يتجاسر بقول أو بفعل أوبموقف يختلف ولو بأقل قدر مع حضرة «ظل الله في الأرض»؟.

ويسرى ذلك من «الأمام» إلى «الجماعة»، ومن هنا فإن «المسلم» الذي
لا ينهج نهج الجماعة ينال من «الامام» سخطاً، وما هو اكثر من
السخط» أتحسب ان المسلم الذي يرضى بحياتنا اليوم ويتفرغ العبادة،
ويترك الدين والسياسة العبثة الآثمين يسمى مسلماً؟ كلا أنه ليس
بمسلمه(۱۰)

⁷¹⁻¹⁴⁻³⁻³⁷⁻³⁻¹⁰⁹¹

١٤ - حسن البنا - رسالة المؤتمر الخامس - ص٤٨

١٥ - الاخوان المسلمون - ٤ -٣ - ١٩٤٥

تأملوا العبارة مسلم يتفرغ للعباده .. انه ليس بمسلم.

ثم يكمل حسن البنا العلقة لتضيق على أعناقنا فيقول: «لا تحيا الدعوة الا بالجهاد وليس في الدنيا جهاد بلا تضحية، ومن قعد عن التضحية معنا فهو أثم ((()). فإما أن تكون «معه» وإما أن تكون أثماً. والحقيقة أن البنا قد رفض – من حيث المبدأ – قيام أي حزب سوى حزبه هو، فقد طالب صراحة بحل كل الأحزاب السياسية ثم «قيام حزب واحد على أساس برنامج إسلامي صحيح (())

* * *

وبعد هذه المقدمة التي نعتبرها ضرورية يمكننا أن نبدأ.

نتطلع نحو عمق بئر التأسلم السياسى هو وروافده سعياً وراء فهم حقيقى لجماعة الأخوان، ، نشأتها، تاريخها، فكرها، ممارستها.. ثم توابعها،

ولأن الجماعة إرتبطت برياط وثيق منذ يومها الاول وحتى الأن بالاستاذ الامام المرشد العام حسن البناء ولأنه هو نفسه حرص على هذا الرياط فعندما حاول أن يقدم نفسه عبر «مذكرات» أسماها «مذكرات الدعوة والداعية».

ولأن أحداً لايمكنه أن يذكر البنا دون الجماعة، أو الجماعة دون البنا. فلنيدا بمحاولة نطل فيها على «المؤسس». الاستاذ حسن البنا.

١٦ - حسن البنا - دعوتنا في طور جديد.

١٧ ~ راجع حسن البنا: مذاكرت الدعوة والداعية.

و بطاقة شخصية مطولة:

الاسم: حسن أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي.

تاريخ الميلاد: أكتوبر ١٩٠٦.

محل الميلاد: المحمودية - بحيره،

مهنه الوالد: مأثون الناحية وإمام مسجد القرية، وقد مارس أيضا مهنة إصلاح الساعات، ومن هنا جاء لقب «الساعاتي».

الاخوه: خمسه، وحسن هو الأكبر بينهم.

وإبتداءً نلاحظ أن كل من تحدث عن طفولة حسن البنا حرص على يضفى عليها هالات تقترب به من القداسة ، وتضفى عليه مسحة من التميز .. وقد أتى ذلك من حسن البنا نفسه ووالده، ومريدوه، ممن كتبوا عن أنامه الاولى ...

وعلى أيه حال فإن كانت هذه الهالات صحيحه، أو كانت مبالغاً فيها، أو هى حتى مخترعة فإنها تشى بشئ ما يحيط بالشيخ حسن البنا، أو حاول على الاقل هو وأتباعه أن يحيطوه به..

الأب يروى كيف سقط الطفل «حسن» في ملطم للمونه، وكانت وفاته محققة، ولكن «ينجيك الله يا ولدى لأمر يدخرك له » وقد «إستيقظت أمه وهو طفل لتجده نائما ويجواره ترقد في هدوء أفعى ضخمه لم تمسسه بسوء» ... «وجمح به فرس بما يؤدى لهلاك أي شخص لكنه نجا من الموت» .. الخ

.. وعندما بلغ الطفل الثامنة من عمره دفع به أبوه إلى كتاب القرية

حيث تتلمذ على يد أزهري متشدد هو الشيخ محمد زهران.

لكن الطفل غير عادى، أو يتعين أن يبدو كذاك فيما هو محكى عنه ، فالطفل إبن الثامنه لا يقبل بوجود تمثال لامرأة شبة عارية فوق أحد زوارق النهر في قريته فيلجأ إلى البوايس [وهنا لابد من علامه إستفهام تسال عن مقدرته في هذه السن، وأي بوليس في قرية صغيرة في مطلع القرن الماضي؟] المهم يلجأ الطفل إلى البوايس ويصمم على إزاله التمثال، وينجم في ذلك،(١٨)

وفى الثانية عشرة ينتقل حسن البنا إلي المدرسة الابتدائية، حيث إنضم إلى جماعة مدرسية رائدها أحد المدرسين المتدينين «جمعيه السلوك الاجتماعي» وهي جمعية إستهدفت ترويض نقوس أعضائها، ويفعهم للتحلى بالاخلاق الحميدة وتعاليم الدين عامة. وكانت الغرامات المالية المرهقة لتلاميذ فقراء هي سملاح الجمعية في إرغام أعضائها على الالتزام بتعاليمها..

.. وسريعا ما يصبح إبن الثانيه عشره، رئيساً لهذه الجمعيه، لكنه سرعان ما يكتشف أنها لا تفى بطموحه الدينى، وتطلعاته الأكثر شمولاً.. فيؤسس وهو فى هذه السن [وهنا علامه إستفهام أخرى] جمعية جديدة أسميت «جماعة النهى عن المنكر» كانت تستهدف [منذ هذا السن المبكر] إرهاب السكان وإرغامهم على الالتزام بتعاليم الدين

٨١ - المصور - ٢٩ - ٨ - ١٩٥٢ - مقال بقلم [والد حسن البنا] الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا، وقد أورد فيه العديد من الروايات المائلة.

عن طريق إرسال خطابات تهديد إلى من ترى أنهم لا يلترمون بهذه التعاليم.

.. ولكن الأمر لا يستمر طويلا، ويصعد الصبى إلى سن الثالثة عشرة ومعها ينتمى إلى جماعة إسمها «إخوان الحصافيه» وهى جمعية صوفية، جنبت الفتى إلى حلقات الذكر حيث وقف يهتز فى هذه الحلقات وسط رجال يكبرونه سناً.

وفى حلقات الذكر يلتقى بشريكه الأول فى كل ما فعل فيما بعد، ثم خصمه اللدود فيما بعد أيضا .. أحمد السكرى وإكتشف الاثنان معاً أن «التطوح» فى حلقات الذكر ليس بكاف لطموحهم الديني، ومرة أخرى يؤسس التلميذان جمعية جديدة فى «جمعية الحصافيه» ظلت تعتبر نفسها إمتداداً للجماعة الكبيره «إخوان الحصافية» لكنها تتميز عنها بالعمل الجدى المباشر، مستهدفة الحفاظ على تعاليم الدين، ومواجهة موجة التبشير المربية التى تسللت إلى مصر فى ذلك الحين، مثيرة، أو مستثيره مشاعر العديد من السلمين، ومرة أخرى يترأس الفتي إبن الثالث عشره جمعية ذات طابع دينى وتستهدف العمل المباشر لتحقيق أهدافها.

.. هما مجرد عامان تنقل فيهما الفتي سريعا من «جماعه السلوك الاجتماعي» الى «النهى عن المنكر» عبر خطابات تهديد للمضالفين، ثم الى جماعه صوفيه ومنها إلى جماعه للعمل المباشر..

وعام آخر ويصبح الفتى طالباً بمدرسة المعلمين الأوليه في دمنهور حيث ينغمس إلي مدى أعمق في نشاطه الديني، ويرتاد حلقات ذكر لحصافيين ليصبح في عام ١٩٢٢عضواً عاملا .. أخذ العهد على المخهم..

ويجهر الفتي بتميزه الديني عن تلاميذ مدرسته، فيرتدى ابعض الوقت عباءة بيضاء وعمامة ذات نؤابة وهو زى الحصافيين المتشددين، الكنه لا يلبث ان يعود إلى زيه العادى بعد حين.

.. وخلال قراءاته الدينيه إصطدم الفتى بأول عقبة حقيقية. فقد طالع كتاب أبو حامد الفزالى «إحياء علوم الدين» حيث صدمته مواقف الفزالى التى تقول ان التعليم إبالنسبة لفير الفقهاء] يجب أن يقتصر علي ما هو ضرورى «اتحقيق الواجبات الدينية وإكتساب الرزق». ويتوقف الفتى في حيرة من أمره، هل يواصل تعليمه مخالفاً رؤيه الامام الفزالى، أم يتوقف عن مواصلة التعليم؟

لكنَّه يغلب المصلحة، ويواصل التعليم وينجر دراسته في مدرسة المعلمين الاوليه، التي أسلمته بدورها إلى «دار العلوم» ليلتحق بها عام ١٩٢٢.

هكذا يصل الفتى الذي عمد نفسه، أو عمده بعض مريديه شيخاً عليهم منذ طفواته، يصل الى القاهرة .. وأية قاهرة، إنها قاهرة العشرينات التي كانت تموج بصراعات حزبية، وموجات ليبرالية، ونزعات علمانية، وكانت الثورة الكماليه فى تركيا تلهم الكثيرين بالمزيد من الشجاعة فى نزعاتهم التجديدية والليبرالية والعقلانية.. ورأي الفتى الشيخ فى ذلك كله إضعافاً لشأن الدين. جفل الشاب وإنتحى هو ومن والاه من أصدقائه جانباً، وإغترب عن حياة المدينة الصاخبة. ويسجل حسن البنا هذه الفترة قائلا.. «والله وحده يعلم كم أمضينا من ليال

لبحث حال الامة، نحلل العلة، ونفكر في وسائل العلاج الممكنة ، ولقد بلغ بنا القلق درجه أوصلتنا إلى حد البكاء (١٩)

إنها الغربة التى تقود الفتى من جديد إلى الصوفية، فيعود إلى ولائه «لاخوان الحصافيه» وينصت طويلا إلى محاضرات «جمعيه مكارم الاخلاق الاسلامية».

وهنا تبدأ القناعة الحقيقية لحسن البنا في تبلورها، لقد إكتشف أن
«تطوحه» في حلقات الذكر ، وإنصاته إلى مصاضرات جمعية مكارم
الاخلاق.. لا تغير شيئا مما يجرى حوله في هذه المدينة الصاخبة، وأيقن
حسن البنا أن «السجد وحده لا يكفي، فلابد من رجال يهبون حياتهم
للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر» وكون مع عدد من زملائه «جماعة»
يمكن إعتبارها النواة الاولى لجماعة «الاخوان المسلمين»، كانوا يخطبون
في المساجد والتجمعات الشعبية.

وقد حدد البنا لنفسه ولجماعته هدفاً .. هو محاوله سد الهوة التى تفصل بين الانسان المنغمس فى هموم حياته اليومية، وبين صحيح الدين وتعاليمه، ومحاولة حث المسلم على أن يكيف حياته، وأن يخضعها فى كل تفاصيلها لهذه التعاليم.

لكن القاهرة لم تكن عبناً فقط ، ففيها وجد المشوره والنصح ممن هم أكبر منه سناً ، وأكثر خبرةً..

فتعرف في المكتبة السلفية على مديرها محيى الدين الخطيب، وعن

١٩ - حسن البنا - رسالة المؤتمر الخامس. ص٧.

طريقه تعرف على الشيخ رشيد رضا وأحمد فريد وجدى وأحمد تيمور .. وجرت مناقشات عديدة حول كيفيه العمل من أجل الاسلام..

والتقى بالعديد من مشايخ الازهر فلم يعجبه منهم إستسلامهم أمام ما يجرى من أحداث،

فما هو السبيل للتصدى لما يجرى حوله؟. ولم يجد الفتى إجابة شافية.. لا عند من قابلهم فى صحبه الشيخ محيى الدين الخطيب، ولا عند الموظفين الدينيين.

ويسجل حسن البنا حيرته وطموحه معا.. كتابةً.

ففى السنه النهائيه بدار العلوم طلب إليه كتابة مقال مدرسى موضعه «تحدث عن الأمال الكبيره التى تراودك بعد إتمام دراستك، وين كيف ستعد نفسك لتحقيق هذه الآمال»

قال حسن البنا في إجابته «إن أفضل الناس هم أولئك الذين يحققون سعادتهم بتوفير السعادة للآخرين وبإسداء المشورة لهم»

وقال في مرارة «إننى أعتقد أن شعبى قد إبتعد عن أهداف إيمانه نتيجة المراحل السياسية التي مر بها، والتأثيرات الاجتماعية التي تعرض لها، وتحت تأثير الحضارة الغربية.. والفلسفة المادية والتقاليد الافرنحة»

وحدد الشيخ طموحه بأن يكون ناصحاً ومعلماً، وأن يكرس نفسه لتعليم الاطفال نهاراً، وآبائهم ليلا.. ويختتم مقاله قائلا «هذا عهد بيني وبين ربي».

بهذه الروح .وهذا المنطلق تخرج الطالب حسن أحمد عبد الرحمن البنا من دار العلوم

عام ١٩٢٧، وعين مدرساً إبتدائياً بمدينة الاسماعيلية. ويهذا .. نصل إلى نقطه البدايه، الفتى.. أصبح مدرساً، وأصبح مدركا لما يريد أن يفعل..

وقرر أن يبدأ*

* * *

وكانت سنوات ما قبل القرن العشرين ، هي سنوات الحيرة بالنسبة لمصر، فقد وقفت حيري أمام مفترق طرق كل منها يبدو شاقاً ومغرياً في أن واحد.

[«] لمزيد من التفاصيل عن نشأة وهياة حسن البنا يمكن الرجوع الى المصادر الآتية مع العلم بأنها تتضمن معلومات متقاربة نظراً لأنها تأخذ في الاغلب عن مصدر واحد..

⁻ حسن النئا - مذكرات الدعوة والداعبة.

⁻ موسى إسحق الحسينى - الاخوان المسلمون كبرى الحركات الاسلامية الحيثة،

⁻ مجلة الدعوة - [الأعداد الصادرة في ذكري وفاة هسن البنا] ١٣ -٧ - ١٥١٠, ١٧ -٢ - ١٩٠٧, ، -١٠ - ٢ - ١٥٠١, ١٦ - ٢-٤٥١.

⁻ المبور – ٢٩ – ٨ – ٢٥٩٧، مقال أحمد عبد الرحمن البناء

⁻ أتور الجندي - قائد الدعوة : حياه رجل وتاريخ مدرسة.

⁻ أحمد أنس الحجاجي - روح وريحان.

⁻ محمد حبيب أحمد - نهضة الشعوب الاسلاميه في العصر الحديث،

⁻ عبد الخبير الخولي - قائد الدعوه الاسلاميه، حسن البنا.

⁻Mitchel, R. - The Society of muslim Brothers.

⁻ Khaduri, M. - political trends in Arab world.

فالخلافة الاسلامية تتهاوى، والتحكم التركى المغلف بعباءة الخليفة، أمير المؤمنين ، حامى حمى الاسلام، خاقان البرين والبحرين.. الخ هذا التحكم يرحل، ليحل محله تحكم إستعمارى إنجليزى.

وتحاول مصر أن ترفض الانصياع للتحكم التركي في مواجهة رفض إسلامي متشدد يعان على اسان الشيخ عبد العزيز جاويش أن «إنكار الضلافه تضييع للذات»، ويرد محمد فريد عليه قائلا «إن حبه لللوله العثمانية أدى به إلى نسيان مصر وحقوقها، فقد أصبح يقول إن مصر للمسلمين لا للمصريين».

ويقول «إن جاويش لم يزل يحارب فكرة الوطنية في الاسلام، وقد قال أخيراً في برلين لأحمد بك ان يقلع عن فكرة الوطنية أو الجنسية المصرية، قائلا انه لا وطنية في الاسلام»(٢٠٠)

وقد إستمر «دعاه الاسلاميه» يتشبثون بالخلافة، ويدولتها ناسين – كما يؤكد أحد الباحثين – ان ضعف الخلافة العثمانية ثم إنهيارها «قد دمر الأسس الواقعية والجغرافية الجامعة الاسلامية، وشجع النزعات · الوطنية والقومية «('').

وهكذا يرتفع شعار «مصر المصريين» برغم مقاومة «إسلامية» ضعيفة. ولكن السؤال الأكثر إلحاحاً يبقى «مصر المصريين نعم.. ولكن إلى أين؟».

٢٠ - محمد صبيع - مواقف حاسمه في تاريخ القومية العربية - ص٢٨٦
 [نقلا عن مذكرات محمد فريد الخطية].

^{21 -} Berger, M. - The ARAB world today. (1964) P318.

وكانت الليبرالية والاتجاهات العقلانية والعلمانية تحاول جهد إستطاعتها أن تشق لمصر طريقاً في مواجهة صعاب حقيقية..

فمصر كانت تعيش فى حاله من التخلف الفكرى العميق الجنور.. إلى درجة أن مفكراً مثل رفاعة الطهطارى لم يستطع ان يذكر «إحتمال» أن تكون الارض كروية إلا منسوباً إلى فتوى لعالم إسلامي فى «تمكتو».

.. لكن الأمر إختلف في نهايات القرن التاسع عشر، ولم يعد التيار العقلاني بقادر على إحتمال إنكار العلم والعقل، فيكتب يعقوب صروف «إن موضوع دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس صار أشهر من نار على علم، وأوضح من الصبح لذى عينين، وتحققت صحته لكل ذي عقل سليم يطالم ويفهم (٢٣)

.. وعندما ينهمر السبيل فإنه من الصعب أن يوقف..

ويتجاسر شبلى شميل فيصدر كتابه «فاسفة النشوء والارتقاء» وتحدث «رجة» عنيفة وتكال التهم اشبلى شميل الذى يتقبلها هامئا..

معلناً «ان هذه الرجة التى حصلت اليوم هى المقصودة منى لايقاظ الافكار من نومها العميق، والحركة مهما كانت خير من السكون»^(٢٢)

ويحاول شميل أن يستميل الناس تجاه العقل فيخاطب قارئه قائلا «إليك أكتب أيها القارئ العاقل، العاقل المتأمل، وما أطلب منك علماً

٢٢ - المتطف - مجموعة عام ١٨٧٦ .

٢٢ – د. شبلي شميل – فلسفة النشوء والارتقاء – مقدمة الطبعة الثانية – مطبعة المقتطف (١٩١٠) المقدمة ص د

واسعاً وفلسفة بديعة وحكمة عميقة، بل أطلب منك عقلا حلت قيوله، وتفتحت منافذه، وأقام التفكير مقام الاعتقاد، والبحث مقام المقرر، يقدر مستنتجات العلم قدرها، ولا يبخس منتجات العقل حقها «(٢٢)

.. ويشتد الهجوم علي الرجل . ويأتى الهجوم على الاغلب من المحافظين ورجال الدين، لكن الرجل لا يتراجع معلنا «لست أخشى تخطئه الناس لى إذا كنت أعرفنى مصيباً، ولا يسرنى تصويبهم لى إذا كنت أعرفننى مخطئاً » وفي مواجهة الهجوم المتصاعد يعلن شميل بوضوح «نعم إن القول بمذهب النشوء يستلزم بالضرورة القول بمادية الكني»(٢٥)

.. ولم يكن شبلى شميل وحده. كان هناك رعيل متكامل .. فرح أنطون ومجلته الموسوعية «الجامعة»، وسلامه موسى، مصطفى حسنين المنصبوري صناحب أول كتباب مصبري وربما عبربي وأفريقي عن الاشتراكية..

ويتصدى المحافظون ورجال الدين لهذه النزعة.

يتصنون لها في ظل مناخ يميل إليهم هم، وإلى مقولاتهم، ويميل إلى التهام كل نزعة تجديد بالكفر والالحاد .. مناخ أرهق دعاه التجديد، حتى أيامنا هذه، ودفع كاتباً جليلا هو الشيخ محمود الشرقاوى لأن يكتب «أى شقاء فكرى وروحى يجده دعاة التقدمية الفكرية في عالمنا العربي

٢٤ - مجلة البصير - مجموعة ١٨٧٨ - شبلى شميل مقال والقضاء على
 القضاءه

٢٥ - شبلي شميل - فلسفة النشوء والارتقاء - المرجم السابق - ص٧٧

عندما يرون في بعض الكتب التي يطالعها الناس ويتناقلون ما فيها .. إن
«نوحاً» بنى سفينة من عظام حيوان يبلغ طوله مساحة ما بين السماء
والارض، ويبلغ عرضه مسيرة عام كامل؟ وأي شقاء الروح والعقل أكثر
من أن يقرأ دعاة التقدمية في الفكر الديني ما يقرأه الناس في كتاب من
كتب التفسير* إن ياجوح وماجوج أمة، وكل أمة أربعمائة أمة، لا يموت
الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح،
وهم من ولد آنم، يسيرون في خراب الارض... وهم ثلاثة أصناف:
صنف مثل شجرة الارز، وصنف طوله وعرضه سواء، عشرون ومائة،
ومؤلاء لا تقوم لهم الجبال ولا الحديد، وصنف منهم يفرش إحدى أذنيه
ويلتحف بالاخرى، لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه، ومن
مات منهم أكلوه، مقدمتهم في الشام وساقتهم في خراسان، يشربون
أبار الارض ويحيرة طبريا... (٢٧)

فى ظل هذا المناخ قامت المعركه.. ويتصدى رجال الدين بعنف بالغ لدعاة العقل والعلم، عنف يستدعى رداً من الشيخ محمد عبده يقول:

ولكته دين أردت صالحه

أحاذر أن تقضي عليه العمائم

.. ويرد العقلانيون علي الهجوم بهجوم مضاد، عنيف.

.. ونقرأ عبارات لشملي شميل تقول «فتري مما تقدم أن الدين نفسه

تفسير الخطيب الشربيني - جـ٢ - مر٢٢٨.

٢٦ مجلة الهائل -- مجموعة عام ١٩٦٨ -- مقال الشيخ محمود الشروقاي
 «محنه الفكر التقدمي في مصر».

ليس عقبة في سبيل العمران، بل رجال الدين أنقسهم»(٣٧) ويقول «ولكن الاديان تتحول من النفع العام حتى تصير وسائل للكسب في يد أولئك النين إتخنوها تجارة لجذب الدنيا واو بالقضاء على الانسان» وهو يصب هجومه ضد «رؤساء الاديان من كل دين ومله، الذين علموا الناس غير ما تأمرهم به الأديان، وكم قاموا يبيعون دينهم بدائق وفرطوا بمال الايتام، وكم خدموا به أغراض عتاة حكامهم ليقتسموا معهم، ولو داسوا الدين بالاقدام»(٨٦)

ولا يقف شميل وحده في المعركه بل يسانده كاتب وشاعر ملهم هو ولى الدين يكن.. الذي يصف رجال الدين بانهم « لا يرغبهم في الشورى شئ مما هم منقطعون إليه، فهم يحبون أن يظلوا متحكمين في الرقاب وأن يبقوا عيالا علي الامة، وأن يلثم الناس أيديهم ويملأوا أكياسهم»(٢٠) بل هو يصبح بأعلى صوته « يا أيها المسلمون.. أنا مسلم مثلكم .. يحزنني خسرانكم، ويشركني معكم مصرعكم، إن هؤلاء الرجال الذين يقتل الناس وينفيهم وينهب الخزائن.. وكل هذا حرام في دينكم فما قام في وجهه واحد منهم ناصحاً أو رادعاً، ولكنهم اليوم وقد وسعتهم بلاد الحرية يكرهون أن يروا حراً يتكلم، فهم يهاجمون كل من لايكون من الحرية يكرهون أن يروا حراً يتكلم، فهم يهاجمون كل من لايكون من

۲۷ - شبلی شمیل - مجموعة الاعمال -جـ۲ - ص٦٢.

٢٨ - الاخبار - مجموعة عام ١٩٠٩ - مقال: ضحايا الجهل.

٢٩ - ولى الدين يكن - المعلوم والمجهول - جد ٢ ص٥٥١.

فريقهم، يملأون الدنيا صخباً وضجة ، يكفرون الساعل ، والماخط، والآكل والشارب ، حتى لقد زهدونا بالحياة وهم أشد الناس بها تعلقاً، فلا تجعلوا لهم سلطاناً عليكم فيكسبوا من خسرانكم ويسعدوا بشقائكم وأنتم لا تعلمون»(٢٠)

ويصل الحد بالمعركه إلى الدرجة التى دفعت شبلى شميل إلى أن يقول يوماً هل قامت الانسانية في كل الدنيا ونسرت لحم رؤساء الاديان - الذين هم وحدهم المسئولون عن كل الفظائع التى إرتكبت ولا تزال ترتكب باسم الدين - نسرة نسرة لما وفت حق الانتقام لما جنوه اليوم على الانسان، (٢١)

ولم يكن بإمكان معركة كهذه أن تستمر بمثل هذه الضراوه .. طويلا. وأخيراً أن للمعركة أن تتوقف.

لقد أنجبت مصر من إستطاع أن يوقفها.. من إستطاع أن يوفق بين العلم والدين، بين العقل والايمان.. الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده. ورفع الشيخ محمد عبده لواء العقل مؤكداً أن العقل يجب أن يحكم كما يحكم الدين، فالدين عرف بالعقل، ولابد من إجتهاد يعتمد على الدين وعلى العقل معاً حتى يستطيع المسلمون أن يواجهوا الاوضاع الجديدة في المدنية الحديثة مقتبسين منها ما يفيد وينفم، وإذا كان

المسلمون لا يستطيعون أن يعيشوا في عزلة، فلابد لهم أن يتسلحوا بما

٣٠ - ولي الدين يكن - التجاريب - ص٢٣.

٣١ - الاخبار [مجموعة عام ١٩٠٩] مقال لشبلي شميل بعنوان «ضحايا الجهل».

يتسلح به غيرهم، وأكبر سلاح في الدنيا هو العلم»(٢٦)

ويبدأ الشبيخ الامام محمد عبده معركته بتجريد رجال الدين من كهنوتهم الذي يحاولون أن يفرضوه علي البشر فيقول دليس فى الاسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة، والدعوة إلى الخير والتنفير من الشر، وهى سلطة خولها الله لأدنى المسلمين يقرع بها أنف أعلاهم، كما خولها لاعلاهم يتناول بها أدناهم»

.. وكان محمد عبده مفتياً، ولكنه لم يقبع فى بيته منتظراً سائلى الافتاء ، بل تقدم فى عبقرية وشبجاعة محاولا أن يرسى دعائم فهم جديد للعلاقة بين الدين ومتطلبات الحياة. وكانت الحياة تلح بأسئلة عدة عن مدى تحريم أو عدم تحريم كثير من مستحدثات العصر إبتداء من التصوير الفوتوغرافى إلى التأمين على الحياة، إلى النظام المصرفى الخ.

ولقد رسم محمد عبده طريقاً جديداً.. يصعب أن نوفيه حقه من البحث بشكل جانبى ويتعجل، لكننا سنكتفى بعبارات لعلها تقدم صورة كافية عن مدى التقدم الذى أحرزته علاقة المين بالحياة على يديه...

محمد عبده يقول « إن الاسلام لم يتعارض، ولا يمكن ان يتعارض مع العلم، فالعلم مثله مثل العقيدة يكشف الناس أسرار الطبيعة».

ويقول «إن سر تفوق أوربا يكمن في تفوقها في مضمار البحث

٢٢ – الاخبار – ٢٧ – ٢ – ١٩٧٣ – مقال الشيخ أحمد حسن الباقورى بعنوان
 «هذا الرجل لماذا يظل هدفاً المهاجمين؟».

العلمي، وإلى تقدم نظم التعليم فيها».

ورفض الاستاذ الامام مبدأ «التقليد» الذي دعى إليه السلفيون ومازالوا يدعون إليه، وقد أكد أن الاسلام لا يمكنه، أن يرسخ أقدامه عبر الزمان إذا ما إستمر معتمداً علي التقليد، وأكد «انه بدون أستخدام العقل سوف يتعذر على المسلمين تحقيق أي تقدم أو تطور »

.. وتعالج فتاوى الاستاذ الامام الكثير من مشكلات العصر.. حتى مشكله الحجاب، إلى الحد الذى راجت فيه شائعات قويه أنه أسهم فى تحرير كتاب «تحرير المرأة» الذى أصدره صديقه الحميم قاسم أمين*

وإذ بلغ محمد عبده القمة، وإذ ينجح في إسكات صوت المحافظين الرجعيين والسلفيين .. إذ ينجح في إسكات ضجيج معركة مفتعلة ويلزم الجميم الصمت.. يرحل.

وبرحيله يخلو الميدان لدعاة الارتداد من جديد

ويورد د. مجيد خضورى تفاصيل هامة عن معركة نشبت بين تلاميذ الاستاذ الامام ..

ويقول «ان البعض من تلاميذ الامام قد حاول أن يطور تعاليمه ويصل بها الى نهايتها المنطقية، أي أن ينفي دور الاسلام كعقيدة تجاه

لمزيد من التفاصيل عن دور الاستاذ الامام محمد عبده في تحديث نظرة الاسلام إلى العقل والحياه ومتطلباتها راجم:

⁻ رشيد رضا - تاريخ الاستاذ الامام

⁻ADAMS - ISLAM AND MODRNISM IN EGYPT -

⁻ K hadduri, M .- Political Trends in Arab world.

المجتمع ككل، وأن يحصره تجاه الفرد وضميره ووعيه.

وكان هذا البعض يرى أن الاسلام عقيدة حية ومن ثم يتعين لها أن تتطور بإستمرار، وان النهاية الحتمية لهذا التطور هى علمانية المجتمع الاسلامي».

ويقول خضورى: أن هذه الآراء قد رفضت بشده من جانب المحافظين من مريدى الاستاذ الامام وخاصة هؤلاء الذين كانوا - برغم ولائهم لشيخهم - إلا أنهم كانوا يرون أنه قد قدم تنازلات غير ضرورية لصالح المنية والتطور الصديث، وكان علي رأس هؤلاء المصافظين المشددين الشيخ رشيد رضا يراس (١٣٣)

- .. ها هى معركة التجديد التي قادها الاستاذ الامام تحاصر.. ويطبق عليها الخصوم من ناحيتين.
- التقليديون والمصافظون السلفيون الذين طالما هاجمهم الامام وهاجموه..
- المحافظون من أتباع الامام من أمثال الشيخ رشيد رضا وتلامده..

وعلى يد رشيد رضا وتلاميذه تبدأ أخطر معارك الارتداد السلفى في تاريخ مصر الحديث..

* * *

وقلًا خاض رشيد رضا معركه مزدوجه الاهداف.. ضد مشايخ الازهر نوى النزعة السلفية في التقليد، وضد دعاة التفرنج والتجديد... وكان يخوض المعركتين معا، وبنفس المدة...

^{33 -} Khadduri - Ibid - p 65

وفي كتاب «الخلاف» أو الأمام» العظمى» يهاجم رشيد رضا الشيوخ «الذين إزوروا إلى زوايا مساجدهم أو جحور بيوتهم، ودعاة التفرنج، ذلك انه من الجنون أن نسعى إلى إنتزاع مقومات الامة الاسلامية الدينية والتاريخية، وإستبدال مقومات أمة أخرى ومشخصاتها بها»

ورويداً رويداً يتخلص رشيد رضا من تعاليم شيخه وإمامه، بل ويقترب كثيراً من معسكر خصوم الامام، ولا يلبث رشيد رضا أن يعلن ان الامل والعمل والجهد يتركز في شئ واحد هو « الخلافة الاسلامية فهي الحكومة المثلى التي بدونها لا يمكن أن يتحسن حال البشرية «(۱۲) بل إن «الدوله الاسلاميه الاصلية هي في الواقع خير الدول ليس بالنسبة للمسلمين فحسب ولكن بالنسبة لسائر البشر»(۲۰)

ثم يواصل رضا تناقضه الحاد مع تعاليم الامام عندما يؤكد أن السيادة المطلقة في الدولة الاسلامية «هي لأولى الامر الذين أمر الله بطاعتهم»(٢٦)

ويأتى حسن البنا في هذا المناخ ليعلن «نحن سلفيون من أتباع الشدخ رشيد رضا»

فماذا كان حسن البنا يعنى عندما يقول «نحن سلفيون» يفسر ألبرت حورانى الامر قائلا « إذا كان التاريخ هو ما تعيه ذاكرة الانسان

٣٤ - رشيد رضا - الخلافه أو الامامه العظمى - مطبعة المنار بمصر ١٢٤١هـ) - ص١٣٨١.

٣٥ – الرجع السابق – ص١٢٨.

٣٦ - رشيد رضا - كتاب الرحى - ص٢٢٩.

عن الماضى، فإن هذا الماضى يظل بالنسبة للبعض أملا يتعين الارتداد إليه، وبالنسبة لبعض المسلمين سيظل العصر الاسلامي الأول صورة وحيدة لما يجب أن يكون عليه العالم،(٢٧)

.. وإذا كنا نقول ان الافغانى كان بداية سلم التجديد فى الاسلام وإن محمد عبده كان قمته وإن رشيد رضا كان بداية الارتداد الحديث فإن حسن البنا ومن موقع متعال علي الجميع يقول الافغانى كان يرى المشكلات ويحذر منها، وكان محمد عبده يعلم ويفكر، ورشيد رضا يكتب أبحاثا، وهم جميعا «مصلحين دينيين وإخلاقيين يفتقدون الرؤية الاسلامية الشاملة (٢٨)

بينما يتفوق أحد تلاميذ البنا على أستاذة في عدم التواضع فيقول «الافغاني كان مجرد مؤذن، ورشيد رضا هو مجرد مؤرخ ..أما المرشد فهر «بنا»(٢٩)

ويميز تلميذ آخر لحسن البنا شيخه على هؤلاء جميعا معلنا أن دعوة حسن البنا تتميز عن غيرها «بأنها تعنى الجهاد والنضال والعمل وانها لسبت مجرد رساله فلسفيه»(٤٠)

.. نحن إذن أمام حاله تصف أصحابها بأنهم سلفيون من أتباع

^{37 -} Hourani, Albert - Arabic Thought in the Liberal age - p.80

٣٨ − حسن البنا - مذكرات الدعوة والداعية - المرجع السابق - ص٨٥

^{79 -} الدعوة - ٢٠ - ٢ - ١٩٥١

٤٠ - أحمد أنس الحجاجي - الرجل الذي أشعل الثوره (١٩٥٢) - ص٤٢.

رشيد رضا، بل هم أشد سلفيه من رشيد رضا، وهم أيضا ليسوا مجرد دعوة فلسفية بل جماعة جهاد ونضال وعمل..

وبهذا نقف على عتبات «الاخوان المسلمين»

فكيف كان الارتداد الذي أراده وأداره حسن البنا؟ وإلى أين وصل بأصحابه، وكيف أوجد نفسه في التطبيق العملي؟..

كانت مصر تقترب من نهاية العشرينيات، حيث الأزمة الاقتصادية العالمية التى أصابت العالم الرأسمالى، بل والنموذج الرأسمالى كله بالنوار، وحيث تجربة الاستقالال المصرى تتعشر، وتجربة الحكم الدستورى تواجهها عقبات جسيمة.. وأمام كل هذا الاحباط برزت الاسلامية» كمخرج. ولم تكن مصادفة أن يشهد عام ١٩٢٨ تحديداً مولا جماعتين «الاخوان المسلمين» و «جماعة الشباب الحر أنصار المعاهدة»

وفى هذه الاثناء تخرج الشيخ الشاب من دار العلوم، وعين مدرساً فى الاسماعيليه، وفى ١٩ سبتمبر ١٩٢٧ يبدأ العام الدراسى .. وتبدأ رحله الشيخ ليجتذب أنصاراً .. ومن سته من المريدين تأسست الشعبة الأخوان..

ويحدد الشيخ الشاب أسهم إتجاهه، فيقرر أن يتجه بدعوته إلى : العلماء – مشايخ الطرق الصوفية – علية القوم – النوادي^(١٤) وتجمع الرجال السته ليخاطبوا الشيخ في تواضع، ويتباهى الشيخ بما قالوه إلى الدرجة التى دفعته إلى أن يسجله حرفياً في مذكرات

٤١ حسن البنا - منكرات الدعوة والداعية - ص٢٢

الدعوه والداعية «إنا لنشعر بالعجز عن تفهم الطريق إلى العمل كما تفهمه أنت، ولا نعرف الطريق إلى خدمة الوطن والدين والأمه كما تعرفه أنت، وكل ما نرغب فيه الآن هو أن نقدم لك كل ما نملكه حتى نصبح في حل من المسؤلية أمام الله، ولكى تصبح أنت مسؤلاً أمامه عما يجب أن نقوم به» (٢٤)

* * *

ويدأت رحله جماعة الاخوان المسلمين..

بطاقة شخصيه.. للجماعه:

* الاسم: قال حسن البنا لاتباعه «نحن إخوة في الاسلام ومن ثم فنحن «الاخوان المسلمون»(٤٢)

* تاريخ الميلاد: شهر ذى القعده عام ١٣٤٧ هجريه [ويلاحظ أن حسن البنا أورد التاريخ الميلادى المرادف له «مارس ١٩٢٨»، لكن روزنتال في مقال «الاخوان المسلمون فى مصر» المنشور فى مجله عالم الاسلام اكتوبر ١٩٤٧ إكتشف من مقارنه التقويمين أن ذى القعدة ١٣٤٧ هـ يوافق إبريل – مايو ١٩٢٩. ونلاحظ أن الجماعه قد إحتفلت بعيد تأسيسها العاشر في يناير ١٩٢٩ لكنها عادت فاحتفلت بعيدها العشرين في سبتمبر ١٩٤٨

* الهيكل القيادى: مكتب الارشاد، ويعمل تحت إمره المرشد العام -

٤٢ - المرجع السابق - ص٧٣

٣٤ - موسى إسحق الحسينى - الاخوان المسلمون كبرى الحركات الاسلامية الحيثة - ص٧٧.

وهو بمثابة مجلس الشورى. لكن صالح عشماوى أحد قادة الجماعة يقول وهو يمتدح المرشد «عند أول عهدى بعضوية مكتب الارشاد ثار البحث هل الشورى في الاسلام ملزمه أم غير ملزمه? أى هل يتقيد فضيلة المرشد العام برأى مكتب الارشاد، أم إن المكتب هيئة إستشارية له أن يأخذ برأيها أو يخالفه إن شاء .. وكان رأى المرشد ان الشورى غير ملزمه، وأن من حقه مخالفة رأى المكتب (أعًا) .. مره أخرى كتب عشماوى ذلك مادحاً وليس ناقداً.

* محل الميلاد: الاسماعيليه،

* الحاله الماليه: أول تبرع مالى تلقته الجماعه كان من شركه قناه السويس [الفرنسية]

وقد أكد حسن البنا ذلك وقال إن التبرع كان خمسمائة جنيه وهو مبلغ كبير بمقياس هذا العصر (⁽¹⁾ وعند حل الجماعة عام ١٩٤٨ إتضح انها كانت أغنى الجمعيات والاحزاب السياسية في مصر.

* طبيعه الجماعه: حرص البنا على أن يضفى صبغة ضبابية علي الجماعة وألا يقدم تفسيراً واضحاً لأهدافها أو طبيعتها حتى يوائم بينها وبن تقلبات الاحوال.

قال البنا «أيها الاخوان: أنتم لستم جمعيه خيرية، ولا حزبا سياسياً، ولاهيئة موضوعية الأهداف محدودة المقاصد، ولكنكم روح جديد يسرى في قلب الامه»(21) .. عباره مطاطه لا يمكن الامساك بأي من أطرافها ..

^{£2 -} الدعوة -١٢ -٢ -١٩٥٢ - مقال لصالح عشماوي

٥٤ - حسن البنا - مذكرات البعوه والداعية - ص٩٦٠.

٤١ - حسن البنا - بين الامس واليوم - ص١١٠

* البرنامج: لا يوجد...

سئل البنا عن البرنامج فقال «ولم البرنامج انه يفرقنا».. وإكتفى
بعبارة عامة «القرآن دستورنا والرسول زعيمنا».

ولقد ظل البنا في بداية الامر ينكر ان لجماعته علاقه بالسياسه، لكته ما أن قوى عود جماعته حتى أعلن على صفحات مجله النذير أن الجماعة سوف «تنتقل من دعوه الكلام وحده، إلى دعوه الكلام المصحوب بالنضال والاعمال، وتوجه إلى أتباعه متحدثًا عن السياسيين جميعا قائلا «ستخاصمون هؤلاء جميعا في الحكم وخارجه خصومة شديدة الديدة ان لم يستجيبوا لكم، (۱۷)

ولم يلبث البنا أن صارح الجميع بهدفه الاساسى، وهو أنه يطمع إلى الحكم ليقيم بولة دينية وقال «الاسلام الذى يؤمن به الاخوان المسلمون يجعل الحكومة ركناً من أركانه، ويعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الارشاد .. والحكم معدود في كتبنا الفقهية من العقائد والأصول .. فالاسلام حكم وتنفيذ، كما هو تشريع وتعليم، كما هو قانون وقضاء (14) وأيضا .. « الذين يقولون أن تعاليم الاسلام إنما تتناول الناحية العبادية أو الروحية دون غيرها من التواحى مخطئون .. فالاسلام عبادة وقيادة، وبدين دولة، وروحانية وعمل، وصلاة وجهاد، ومصحف وسيف، لا

٤٧ - النذير - العدد الاول - مايو ١٩٣٨ - الافتتاحية (بقلم حسن البنا).

٤٨ - حسن البنا - مذكرات الدعوة والداعية - ص٢٨٢

٤٩ – المرجع السابق -- ص١٥١.

ويغير ذلك لم يقل البنا .. لم يقل ما موقف جماعته من مشكلات الحياة اليومية .. ولا من متطلباتها ، ولا من الجديد فيها .. فقط عموميات لا يمكن الامساك بشئ منها ..

* العلامات الميزه:

تميزت جماعة الاخوان المسلمين عن غيرها من القوى السياسية المعاصرة بعلامتين مميزتين أساسيتين .. البيعة والجهاز السرى..

أما عن البيعة فقد إستند فيها حسن البنا إلى حديثين شريفين الأول يقول «من مات وليس في عنقه بيعة فقد مات ميتة جاهلية» والثاني يقول «من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه، فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ونازعه فإضربوا عنق الآخر»

وإستند أيضاً إلى اقوال أبو الاعلى الموبودى «لا ينتخب للامارة إلامن كان المسلمون يثقون به، وبسيرته، وبطباعه، وبخلقه، فإذا إنتخبوه فهو ولى الأمر المطاع في حكمه ولا يعصى له أمر ولا نهى»

ويقول إن الأمام أو الامير من حقه أن يملى رأيه حتى على الأغلبية «فالاسلام لا يجعل من كثرة الاصوات ميزاناً للحق والباطل، فإنه من للمكن في نظر الاسلام أن يكون الرجل الفرد أصوب رأياً وأحد بصراً من سائر أعضاء المحلس» (٥٠)

وقد بايم الاتباع إمامهم بيعة كاملة في المنشط والمكره، وعاهدوه علي السمم والطاعه..

٥٠ - أبو الأعلى المورودي - نظرية الاسلام السياسيه - ص٢٩.

ولم يكن حسن البنا يخفى ذلك على الناس، فهو لم يكن يقبل منهم بأقل من السمع والطاعة، نون نقاش.

«يجب على الاخ أن يعد نفسه إعداداً تاماً ليلبى أمر القائد في أية ناحية، إن الدعوة تتطلب منا أن نكون جنوداً طائعين بقيادة موحدة، لنا عليها الاستماع للنصيحة، ولها علينا الطاعة، كل الطاعة في المنشط والمكره» ((٥) وأيضا «يتعين على العضو الثقة بالقائد والاخلاص والسمع والطاعة في العسر واليسر»(٥)

ويصف البعض ولاء الاتباع قائلين «إن سيطرة البنا على أتباعه كانت مطلقه وكاملة وتصل إلى درجة السحر»(٥٥)

وتصف الامر جريدة مصرية فتقول في تهكم واضع «إذا عطس المرشد في القاهرة، قال له الاخوان في أسوان يرحمكم الله «أ⁴⁰ ولقد ترتب على البيعة بمفهوم البنا أنه ليس مسموحاً بالخلاف مع المرشد، بل إن كلمة «ليس مسموحا» هذه ليست أمراً معنوياً فحسب، وإنما كان العنف والارهاب المعلن والتباهي به سبيلا لفرضها.

فمنذ البداية دب الخلاف في شعبة الاسماعيلية، وحاول البعض التمرد على البنا وأبلغوا النيابة العامة ضده في مخالفات مالية، فكان رد فعل البنا عنيفاً، فقد جمع عدداً من أتباعه حيث «إعتدوا على المخالفين

٨٥ – الأخوان السلمون – (الاستوعية). ٢٦ – ١٠ –٢٦١١

٢ه – حسن البنا – رسالة التعاليم.

٢٥ – موسى اسحق الحسيني -- المرجع السابق - ص٤٥

٥٤ - نقلا عن: أبو الحسن الندوى - مذكرات سائح في الشرق العربي - ص٢٦-.

بالضربء

ويعترف البنا بذلك ويتباهى به ويبرره بأن «المخالفين قد تلبسهم الشيطان وزين لهم ذلك، وإن من يشق عصا الجمع، فاضربوه بالسيف كاننا من كان» ويتأسف البنا على رفض البعض لضرب المخالفين وردعهم قائلا «اننا قد تأثرنا إلي حد كبير بالنظم المائعه التى يسترونها بالفاظ الديمقراطية والحرية الشخصية»(٥٠٠).

اما العلامة المميزة الثانية فهى الجهاز السرى الذي مارس عمليات إرهاب وقتل - كانت البداية والنموذج والقدوة للارهاب المتأسلم، وقد تدرج الفكر التنظيمي لحسن البنا في سلاسه ويسر ليصل إلى هذا الهدف غير المعلن، فبدأ «بالجوالة» بهدف تعويد الاخوان على النظام شبه العسكري، وتدريبهم على الطاعة التامة والتفاني المطلق..

ثم كانت «كتائب أنصار الله» وهي مجموعات تضم كل منها أربعين عضواً من الاعضاء النشطين في الجماعة يلتقون معا ليله كل اسبوع حيث يقضون الليل في العبادة والتلاوة.

.. والعيون اليقظة تتابع ذاك كله لتفرز منه من يصلحون الجهاز الخاص...

ولقد أنكر البنا طويلا أنه يوجد ثمة جهاز خاص، ونفى ذلك نفياً قاطعاً، بل لقد وصف القائمين بأعمال النسف والتفجير والقتل عام ٨٨ – ١٩٤٩ بأنهم «ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين»

ه ه - حسن البنا - مذكرات الدعوة والداعية.

.. وظلت الجماعه علي إنكارها لوجود الجهاز الخاص حتى برغم إعترافات عشرات بل مئات من أعضائه أمام محكمة الشعب، وقيل ساعتها أنها أكاذيب أمليت وترددت تحت وطأة التعذيب..

ثم لا تلبث الحقيقة ان تظهر عندما يتنافس رجال الارهاب الاخوانى القدامى في كتابة مذكرات يحاول كل منها أن ينسب إلى نفسه أكبر قدر من القتل والارهاب .. فكانت مذكرات صلاح شادى – أحمد عادل كمال – عبد المنعم عبد الرؤوف – محمود الصباغ، وقد إعترفوا جميعا بأعمال ارهابية بشكل مثير للدهشة، لأنهم تحدثوا في تباه وتمجيد للفعل الارهابي، مؤكدين إنتسابهم الى الجهاز السرى والتزامهم بصيغته وإهدافه.

* * *

وقد طل حسن البنا طوال عشر سنوات كامله ينكر أيه صفة سياسية لجماعته ويؤكد في إلحاح انه لا علاقة له بالسياسة، ولكنه ما أن شعر بالقوه، ويضعف الآخرين حتى جاهر بدوره السياسى:

الدين شئ والسياسه غيره

دعوى نحاربها بكل سلاح

ثم ما لبث أن قال بصراحه «أستطيع أن أجهر بصراحة بأن المسلم لا يتم إسلامه إلا إذا كان سياسياً بعيد النظر في شئون أمته مهتماً بها غير أ عليها (١٥)

٥٦ - الأغوان المسلمون - ١٦ - ٤ - ١٩٤٦ - حسن البنا مقال : الاسلام سياسه وحكم.

لكن الامر لا يكون مستقيما أبداً مع الشيخ البنا.

فهو يعود ليغمض القول «هل نحن طريقة صوفية، مؤسسة إجتماعية، حزب سياسى»؟

ويجيب على هذه الاسئلة بالنفى مـؤكداً «نحن دعوة القرآن الحق الشامل..»(٥٠)

لكنه لا يلبث أن يعود ليؤكد «إن الاخوان دعوة سلفية، طريقة صوفية، هيئة سياسية، جماعة رياضية، رابطة ثقافية، شركه إقتصادية، فكرة إجتماعهه(٥٨)

متى تستطيع أن تمسك بالزئبق؟ فالشيخ يعود لينفى ما قال «أيها الاخوان أنتم لستم جمعية خيرية، ولا حزباً سياسياً، ولا هيئة موضعية الأغراض محدودة المقاصد ولكنكم روح جديد ونور جديد، وصو ت داو»(١٥)

.. ومع ذلك فإن أحداً لا ينكر أن الاخوان قد تداخلوا في السياسية،
 وشاركوا في غمارها مشاركة كاملة.

وحتي في المبادئ الجوهرية كان الاخوان يتلاعبون تلاعب السياسيين غير المبيئين.

فبعد أن يوجه البنا نقداً شديداً للدستور قائلا «إن فيه ما براه

٥٧ - أنور الجندي - الاخوان السلمون في ميزان الحق. ص١١

٨٥ - المرجع السابق ص١٥

٥٩ – المرجع السابق – ص٥١

الاخوان مبهماً غامضاً يدع مجالا واسعاً للتؤيل والتفسير الذي تمليه الغابات والاهواء،(٢٠)

لكنه يعود فيتراجع تحت ضغط قيل أنه قد أتي من القصر الملكى ليعلن «إن الدستور بروحه وأهدافه العامة لا يتناقض مع القرآن .. وإن ما نحتاج إلى تعديل منه يمكن أن يعدل بالطريقة التي رسمها الدستور (١١).

ويؤكد «و ما كان لجماعة الاخوان المسلمين أن تنكر الاحترام الواجب للدستور باعتباره نظام الحكم المقرر في مصدر، ولا أن تحاول الطعن فيه.. ما كان لها أن تفعل ذلك وهي جماعة مؤمنة مخلصة تعلم أن إهاجة العامة ثورة، وأن الثورة فتنة، وأن الفتنة في النار» (١٢).

ولكن لعبة السياسه عند الشيخ إستمرت على هذا المنوال قول ونقيضه في أن واحد.. وإن كان الخط الثابت هو المناورة بين الجميع، والتلاعب بالجميع، غير أن الشيخ قد أدرك وإن متأخراً أن الجميع كانوا يتلاعبون به، بينما يتخيل هو أنه يتلاعب بهم.

ولعبة السياسة عند الشيخ بلا مبادئ وأن نطيل وسنكتفى باشارات.

- شركة قناة السويس الاستعمارية قدمت له عوناً مالياً وقبله.

- الطاغية إسماعيل صدقى قدم له عوناً مادياً ومعنوباً كبيراً في

٦٠ – حسن البنا – رسالة المؤتمر العامس.

٦١ - أنور الجندي - المرجع السابق - ص٦٢.

٦٢ - النذير - العدد ٣٢ - حسن البنا - مقال: الاخوان المسلمون والمستور المصرى.

بداية نشأة الجماعة..

- على ماهر داهية القصر والموموم بعلاقات مريبة خارجية كان الصديق الحميم للجماعة..

-عقد الاخوان المسلمون مؤتمرهم الرابع خصيصاً للاحتفال باعتلاء «جلاله الملك العرش».

وقام الجوالة بدور المنظم في الاحتفالات الصاحبة بهذه المناسبة(٦٣)

- عندما إخبتك النصاس باشا مع الملك وخرج الوفديون في مظاهرات تهتف «الشعب مع النحاس» في مقابلها خرجت مظاهرات الاخوان إلى قصر عابدين تهتف « الله مم الملك».

– كتب أحد قادة البوليس تقريرا يقترح «أن تشجع الحكومة الجماعة وتعمل على تعميم فروعها في البلاد حتى يكون في ذلك أكبر خدمة للأمن والاصلاح» ويتباهى حسن البنا بذلك ويورده في مذكراته»(٦٤)

يقول ريتشارد ميتشل «منذ اكتوبر ١٩٤١ قامت علاقات بين البنا
 وإلانحليز (٦٥)

وتؤكد جريده الاخوان إن إتصالا قد تم مع الانجليز، وإن الطرف الانجليزي قد أبدى إستعداده لتقديم عون مالى للجماعه، وتقول أن البنا

^{63 -} Mitchill, R. - The society of Muslim Brothers - p 16 14 - حسن البنا - مذكرات الدعوة والداعية - ص ٨٩.

^{65 -}Mitchill - ibid.

قد رفض ذلك»(٦٦)

ولكن باحثاً آخر يؤكد إستناداً إلى ما أسماه مصدر إخوانى كان على علاقة بالسفارة البريطانيه «ان عونا مالياً كبيراً قد قدم بالفعل، وخاصة فى غضون ٧٩٤٧ «^(٧٧)

ومرة أخرى نقف أمام ظاهرة محيرة: يعترف البنا ان الطاغية اسماعيل صدقى قدم عرضاً بمعاونة مالية، وأن الانجليز قدموا ذات العرض، ويقول انه رفض، حسناً، ولكن لم لا نسئاً أنفسنا لماذا هؤلاء بالذات يعرضون مساعدة الجماعة ؟

وهل ننسى أحداث ١٩٤٦، وخروج الاخوان يهتفون الطاغية
 إسماعيل صدقى صائحين «واذكر في الكتاب إسماعيلا»؟

- وهل ننسى تأييد معاهدة صدقى - بيفن؟

ويورد شاهد محايد - صلاح الشاهد - الواقعة التالية «توهم صدقى أن للاخوان قاعدة شعبية ذات وزن فإستدعى المرشد بعد عودته من لندن بساعتين وأطلعه على مشروع إتفاقية صدقى - ييفن قبل ان يطلع عليه النقراشى وهيكل المشاركين له فى المكم، وحصل على موافقته على المشروح، وعندما تصاعدت المظاهرات الشعبية ضد هذه الاتفاقية طلب صدقى باشا من المرشد أن يركب سيارة سليم زكى

77 - الاخوان السلمون - ٢١ - ٧ - ٢٩٤١

67 - Heyworth Dunne - Religious and political Trends in Egypt.p38 - 41 باشا مساعد الحكمدار المكشوفة ليعمل على تهدئه الجماهير، وإستجاب المرشد لطلب صدقى باشاء (١٨٠)

.. وبهذا نكتفى في مجال السياسه .. فكل الخطى متشابهه..

* * *

واثعثف هو النتيجة المفترضة للخلط المتعمد بين الدين والفكر الديني.. ويذرته الخبيثة موجوده منذ البدايات الأولى للجماعة..

.. فعندما أصدرت جماعة الاخوان مجلتها النذير، تعجل الشيخ عبد الرحمن الساعاتي [والدالمرشد العام حسن البنا] في أن يجعلها نذيراً للجميع فكتب في عددها الأول مقالاً عنوانه « إستعدوا يا جنود» يقول فيه « إستعدوا يا جنود» يقول فيه « إستعدوا يا جنود ، وليأخذ كل منكم أهبته، ويعد سلاحه، ولا يلتقت منكم أحد، إمضوا إلى حيث تؤمرون» ثم يقول «خذوا هذه الأمه برفق فما أحوجها إلى العناية والتدليل، وصفوا لها الدواء فكم على ضفاف النيل من قلب يعاني وجسم عليل، إعكفوا على إعداده في صيدليتكم، ولتقم على إعطائه فرقة الانقاذ منكم، فاذا الامه أبت فأوثقوا يديها بالقيود، وأثقلوا ظهرها بالحديد، وجرعوها الدواء بالقوة، وإن وجدتم في جسمها عضواً خبيثاً فإقطعوه، أو سرطاناً خطيراً فأزيلوه .. إستعدوا ياجنود – فكثير من أبناء هذا الشعب في آذانهم وقر، وفي عيونهم عميه(۱۲)

۱۸ - مبلاح الشاهد - ذكرياتي في مهدين - ص٤٨
 ۱۹ - الندير - أول المحرم - ١٣٥٧ هـ.

والعنف هنا مقصود لذاته بل هو السبيل الوحيد، فحسن البنا يقول:
«وما كانت القوة إلا كالنواء المر الذي تُحمل عليه الانسانية العابثة
المتهالكة حملا ليرد جماحها ويكسر جبروتها وطغيانها، وهكذا كانت
نظرية السيف في الاسلام، لم يكن السيف في يد المسلم الا كالمشرط في
يد الجراح لحسم الداء الاجتماعي،(٧٠)

بل انهم يعتبرون – وحتى أكثرهم إعتدالا – أن «القتل» سلاح في العمل السياسي يمكن لآحاد الناس أن يوقعه متى إعتقد انه يقيم الحد.. ويُسال الشيخ محمد الغزالي [أحد أكثر الاخوانيين إعتدالا] في شهادته أمام المحكمة التي حاكمت قاتل «د.فرج فود» ويجيب عبر الحوار التالي:

س -- من الذي يملك إقامة الحد؟

ج - المفروض أن جهار القضاء هو الذي يقوم بهذه المهمه..

س -- هل يبقى الحد على أصله من وجوب إقامته؟

ج - حكم الله لا يلغيه أحد، والحد واجب الإيقاع.

س – ماذا لو أوقعه فرد من آجاد الناس؟

ج - يعتبر مفتئتا على السلطه، أدى ما ينبغى أن تقوم به السلطه.

س -- هل هناك عقوبه للإفتئات على السلطه؟

ج - لا أذكر أية عقوية في الاسلام»(١٧)

يقول هذا بقلب بارد لأن فرج فوده بالنسبه له هو النقيض .. العدو،

۷۰ - النذير - رمضان - ۱۳۵۷ هـ.

٧١ - محضر أقوال الشيخ محمد الغزالى أمام محكمة أمن الدولة في قضية اغتيال د. فرج فودة.

ناسياً المديث الشريف « لا يزال المؤمن في فسحة من دينه مالم يصب دماً حراماً» [أخرجه البخاري].

وناسياً روايه المقداد بن الاسود رضى الله عنه إذ قال: «قلت يا رسول الله: أرأيت إذ لقيت رجلا من الكفار فإقتتلنا فضرب إحدى يدى بالسيف ثم لاذ منى بشجرة وقال: أسلمت لله، أأقتله بعد أن قالها؟ فقال رسول الله: لا تقتله، فقلت: إنه قطع إحدى يدى ثم قال ذلك؟ فقال النبى: لا تقتله، فإن قتلته كنت بمنزلته قبل أن يقول كلمته .. أى مباح الدم» [أخرجه البخارى ومسلم وأبو دواد].

وكان فرج فوده يعارضهم بقلمه.. مجرد القلم ولم يقطع لهم يداً ولا أصبعاً، وكان في كل يوم يقر بإسلامه، ويتمسكه بالاسلام.

ونسى فضيلة الشيخ المعتدل قول أحمد بن حنبل «ومرتكب الكبيرة ليس بكافر، ولا هو في منزلة بين منزلتى الكفر والايمان، كما أنه ليس معفواً عنه، وإنما عليه أن يتوب ، وأمره إلى الله، فإن زعم أحد أنه كافر فقد زعم أن ادم كافر ، وأن إخوه يوسف حين كذبوا أباهم كفار. والحاصل أنه لا يكفر أحد من أهل التوحيد، وإن عمل الكبائر» ولسنا نعتقد أن فرج فوده بإنتقاده لافكار هؤلاء المتأسلمين قد إرتكب كبيرة أو صغيرة، بل لعله كان الأقرب إلى صحيح الاسلام.

فإذا كانت هذه فتوى الأكثر إعتدالاً.. فإن الاعضاء الآخرين كانوا أكثر صراحة .. وربما أكثر عنفاً.

وما من مجال لسرد كل الدعاوى الاخوانيه التى تقرر أن العنف والارهاب هو أساس الدعوة.. وجوهرها، فلقد يحتاج الأمر إلى مجلدات .. فقط أدعو القارئ إلى قراءة الكتب الآتية التى أصدرها قاده بارزون

- من الجماعه، بل لعلهم كانوا أبرز القادة الفعليين، فهم قادة الجهاز السرى الذي كرس الارهاب المتأسلم في مصر.
- أحمد عادل كمال النقط فوق الحروف ويقول فيه: جماعة دون عنف يحميها .. تهريج.
- صلاح شادى حصاد العمر [ويورد منات الوقائع عن إرتكاب أعمال إرهابية].
- عبد المنعم عبد الرؤوف أرغمت فاروق على التنازل عن العرش [وفيه يؤكد أن الاخوان هم الذين حاولوا إغتيال عبد الناصر في حادث المنشبة وبورد تفاصيل الترتيبات].
- محمود عبد الحليم الاخوان المسلمون، أحداث صنعت التاريخ [وفيه يؤكد أن رئيس الجهاز السرى للاخوان عبد الرحمن السندى هو الذى دبر قتل نائبه سيد فايز ويقول: « وقد ثبت ثبوتاً قاطعاً أن هذه الجريمه الأثمه كانت بتدير السندى»(٢٧)

وإذ يطالع القارئ هذه الكتب أو حتى واحداً منها سيجد فيضاً من المعلومات والأدله والاعترافات والاتهامات المتبادلة .. تكفى وتزيد لاقناعه بأن جماعة الاخوان كانت المصدر الأساسى للارهاب المتأسلم في العصر الحديث . ولكن ليأذن لى القارئ ان نتوقف أمام كاتب إخوانى من قاده الجهاز السرى، نتوقف أمامه لأنه الأصرح والأوضح .. وربما الأفدح، إنه الاستاذ محمود الصباغ. ونقرأ:

يبدأ عضو الجهاز الخاص بالبيعه « يدخل إلى حجرة مطفأة الانوار،

٧٧ - محمود عبد الطيم - الاخوان السلمون ، أحداث منفعت التاريخ - جـ٣ - ص٥٠٠.

ويجلس على بساط في مواجهة أخ فى الاسلام مغطى جسده تماماً من قمة رأسه إلى أخمص قدمه برادء أبيض، ثم يخرج من جانبه مسدسا ويطلب من المبايم أن يتحسسه، وأن يتحسس المصحف الشريف ثم يقول له: فإن خنت العهد أو أفشيت السر، فسوف يؤدى ذلك إلى إخلاء سبيل الجماعة منك، ويكون مأواك جهنم وبئس المصير»(٣٣)

ما معنى «إخلاء سبيل الجماعة منك»؟ تأتى الاجابه فى صفحة أخرى عندما يورد الاخ الصباغ نصوص لائحة الجهاز الخاص [الجهاز السرى لجماعة الاخوان]م٣١: إن أيه خيانة، أو إفشاء سر بحسن قصد، أو بسوء قصد يعرض صاحبه للاعدام وإخلاء سبيل الجماعه منه، مهما كانت منزلته، ومهما تحصن بالوسائل، وإعتصم بالاسباب التى يراها كفلة له بالحياة»(٧٤)

بل إنه يعطى لنفسه ولزمالاته الحق فى القتل المباشر دون إذن من القيادة «إن أعضاء الجهاز يمتلكون – دون إذن من أحد – الحق فى إغتيال من يشاؤون من خصومهم السياسيين، فكلهم قارئ لسنه رسول الله فى إباحة إغتيال أعداء الله». (٧٥) فقط نلاحظ ان «خصومهم السياسيين» هم أعداء الله ويباح إغتيالهم.

بل إن الاستاذ الصباغ يغالى فيقول «إن قتل أعداء الله [أى الخصوم السياسيين للجماعة] غيله هو من شرائع الاسلام، ومن ضدع

٧٢ - محمود الصباغ - حقيقة التنظيم الخاص - ص١٣٢.

٧٤ – المرجع السابق – ص١٣٨

٧٥ – المرجع السابق – ص٤٢٩

الحرب فيها أن يسب المجاهد المسلمين وأن يضلل عدو الله بالكلام حتى يتمكن منه فيقتله:(٢٧)

.. فقط يبقى أن نشير إلى أن الاستاذ مصطفى مشهور مرشد
 الجماعة الحالى هو صاحب مقدمة هذا الكتاب.

ومادمنا في إطار الحديث عن لائحة الجهاز الخاص وعن أساليبه، فلنطالع بعضا من أوراقه التى تم ضبطها في القضية الشهيرة المسماة «قضية سيارة الجيب» وقد أوردها الاستاذ عصام حسونه الذي كان وكيل النيابه المحقق، في كتاب له، فورقه تطيمات صادرة من قيادة الجهاز لاعضائه تقول « إن كل من يحاول مناوأتهم ،أو الوقوف في سبيلهم مهدر دمه، وإن قاتلة مثاب على فعله و «ان من سياستنا أن الاسلام يتجاوز عن قتل المسلمين إذا كان في ذلك مصلحة» و.. «إن من السياسيين من يجب إستئصاله وتطهير البلاد منه، فإن لم توجد سلطة شرعية تصدهم، فليتول ذلك من وضعوا أنفسهم للاسلام جنوداً، وأن الاسلام يتجاوز عن إحتمال قتل المسلمين إذا كان في ذلك مصلحة» ("").

.. ومن أشكال العنف .. «الفتوى»، فالمغتى من أعضاء الجماعة يضع السم في الشراب ويترك الآخزين ليتجرعوه، وكمثال نورد الفتوى التالية التى كانت سبباً في موجه للاعتداء على الكنائس وإحراقها.

فى مجلة الدعوه [لسان حال الجماعه] وردت الفتوى التالية التى أفتى بها مفتى المجلة الشيخ محمد عبد الله الخطيب حول حكم بناء

٧١ – المرجع السابق – ١٣٨٠

٧٧ – عصام حسوبه -- ٢٣ يوليو وعيد الناصر -- ص٤٦

الكنائس في ديار الاسلام.

«حكم بناء الكنائس في ديار الاسلام على ثلاثة أقسام:

الأول: بلاد أحدثها المسلمون وأقاموها كالمعادى والعاشر من رمضان وحلوان وهذه البلاد وأمثالها لا يجوز فيها إحداث كنيسة ولا سعة.

والثانى: ما فتحه للسلمون من البلاد بالقوه كالاسكندرية بمصر والقسطنطينية بتركيا فهذه أيضا أيضا لا يجوز بناء هذه الأشياء [لاحظ كلمة هذه الاشياء] فيها، ويعض العلماء قال بوجوب الهدم لأنها بلاد مملوكه للمسلمان.

والثالث: ما فتح صلحاً بين المسلمين وبين سكانها، والمختار هو إبقاء ما وجد بها من كنائس وبيع علي ما هى عليه فى وقت الفتح، ومنع بناء وإعاده ما هدم منها وواضح أنه لا يجوز إحداث كنيسة فى دار الإسلام»(٨/)

هذا هو الفكر الاخواني، ولسنا نريد الخوض في تقنيد هذا الرأى وتخطئته شرعياً، وعبر الممارسات الاسلامية على مدي التاريخ من عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص وحتى الآن.. وانما فقط تشير إلى أن فتوى كهذه كانت أساساً لأن يقوم بعض الصبية الذين صدقوها والتزموا بها بالتعدى على الكنائس ومحاوله إحراقها.

.. ولعل هذا يقودنا.. الى فكرة طالما نادينا بها وهي : أن الارهاب

۷۸ – الدعوة – ديسمبر ۱۹۸۰.

* * *

.. ومثث البدايات الأولى حاول الاستاذ حسن البنا – وإن بحذر ~ ان يضع اللبنات الاولى المفارقة بين عضو الجماعة والمجتمع حكاما ومحكومين.. والمفاصلة التامة بينهما، بل ولتكفير المجتمع.. حكاماً ومحكومين. وإنكار ما يقوم عليه المجتمع من أسس دستورية وقانونية.

وفى رسالة التعاليم يحدد حسن البنا واجبات «الأخ المجاهد» وعدها 7۸ واجبا، الواجب رقم 70 منها يأمر العضو « أن تقاطع المحاكم الأهلية، وكل قضاء غير أسلامي، والأندية والصحف، والجماعات، والمدارس والهيئات التي تناهض فكرتك الاسلامية مقاطعة تامة (٢١) .. والبند رقم ٣٧ يأمره «أن تتخلى عن صلتك بأية هيئة أو جماعة لا يكون الاتصال بها في مصلحة فكرتك»

وعلى نهجه سار الاستاذ عبد القادر عوده .. إذ قرر تكفير كل قائل بالقانون الوضعى [والغريب انه ظل وحتى آخر أيام حياته محامياً ويدير مكتباً كبيراً للمحاماة التى تعتمد وفقط على التحاكم إلى القانون الوضعى]. ويقول الاستاذ عوده «من الامثلة الظاهرة على الكفر بالامتناع في عصرنا الحالى: الامتناع عن الحكم بالشريعة الاسلامية وتطبيق القوانين الوضعية بدلا منها» (٨٠٠).

ويقول: «فمن أعرض عن الحكم بحد السرقة أو القذف أو الزنا لأنه يفضل غيره من أوضاع البشر عليه، فهو كافر قطعا»(٨١)

٧٩ - حسن البنا - رسالة التعاليم - ص١٢

٨٠ - عبد القادر عوده - التشريع الجنائي الاسلامي - ج. ٢ - ص٠٧٧

۸۱ – المرجع السابق – ص۷۰۹

ويقول مفكر إخوانى آخر هو الاستاذ على جريشه «ولا خلاف فى جهاد من منع بعض شريعة الله، وأولى به من منع كل الشريعة، والقعود عن الجهاد تهلكة نهى الله عنها»(٨٦)

وغنى عن القول أن القول بتكفير كل من يقبل بالقانون الوضعى، هو تكفير الحكم والمجتمع والمحكومين، أما القعود عن الجهاد ضد هذا المجتمع فهو «تهلكه نهى الله عنها».

دون صعوبة إذن نكتشف أن جوهر فكرة التكفير ومن ثم «المفاصلة» مع المجتمع، والعنف ضده ، قديمة قدم الدعوة ذاتها، وأن الذي أرسي أساسها هو مؤسس الجماعة ذاته.. الاستاذ حسن البنا.

والذين يتصورون أن الاستاذ سيد قطب أستاذ «التكفير» والذي إنبثق من فكره كل دعاة الارهاب المحدثون [إلى درجة انهم يسمون بالقطبيين] كان شارداً عن خط الجماعة واهمون .. هو فقط وضع الكمات في موضعها الواضح، ولم يتلاعب بالألفاظ كما فعل سابقوه.

وسيد قطب رجل لا يعرف المساومة..

فيقول: «أن الاسلام لا يعرف إلا نوعين من المجتمعات: مجتمع إسلامي، ومجتمع جاهلي» والمجتمعات الجاهلية عند سيد قطب هي كل المجتمعات «الشيوعية والوثنيه واليهودية والمسيحية، والمجتمعات التي تزعم إنها مسلمه (٨٣)

ويشكل أوضح يقول: «يدخل في إطار المجتمع الجاهلي جميع

٨٢ – د. على جريشة – أمنول الشريعة الاسلامية – ص٤٩.

٨٢ – سيد قطب – معالم في الطريق – ص١٠١.

المجتمعات القائمة على الارض»(AE)

وكما قلنا لا حل وسط فهو يقول: «فنحن وهذه الجاهلية على مفرق الطريق.. فإما إسلام وإما جاهلية، وإن وظيفتنا الأولى هي إحالال التصورات والتقاليد الاسلامية في مكان الجاهلية، وإن يكون هذا بمجاراة الجاهلية في بعض الخطوات لأننا حين نسايرها خطوة، فإننا نفقد المهج كله ونفقد الطربق، (٩٥٠)

وهو لا يعترف بإسلام المسلمين «إن الناس ليسبوا مسلمين كما يدعون وهم يحيون حياة الجاهلية، ليس هذا إسلاما، وليس هؤلاء مسلمين . والدعوة إنما تقوم لترد هؤلاء الجاهلين إلى الاسلام، ولتجعل منهم مسلمين من جديد»(٨١)

تأملوا «لتجعل منهم مسلمين من جديد». وهو لا يعتبر أن الاسلام قائم إلا في حدود جماعته ومن ثم فهو يدعو إلى إعاده «إنشائه» قائلا «وينبغي ان يكون مفهوماً لأصحاب الدعوة الاسلامية أنهم حين يدعون الناس إعادة إنشاء هذا الدين يجب أن يدعوهم أولا إلى إعتناق العقيدة، حتى ولو كانوا يدعون أنفسهم مسلمين، وتشهد لهم شهادات الميلاد بأنهم مسلمون، فاذا دخل في هذا الدين عصبة من الناس، فهذه العصبة هي التي يطلق عليها اسم المجتمع المسلم» (٨٧)

وسيد قطب ينكر أية رابطة سنوى رابطة الاسلام فهو لا يعترف

٨٤ – المرجع السابق – من٨٤.

٨٥ -- المرجع السابق - ص٥٨.

٨٦ - المرجع السابق - ص١٧٢.

٨٧ – الرجم السابق ـص٤٠.

بالوطن ولا بالوطنية «لا رابطة سوى العقيدة، ولا قبول لرابطة الجنس والارض واللون واللغة والوطن والمسالح الأرضية والصود الاقليمية» «إن هي, إلا أصنام تعبد من دون الله (٨٨)

مرة أخرى انه رجل لا يعرف المساومة «لا حل وسط، ولا منهج بين بين.. إنما هناك حق وباطل، هدى وضلال، إسلام وجاهلية،(٨٩)

ومرة أخري هو يرفض كل المجتمعات «سواء كان إسمها حكم الفرد أو حكم الشعب، شيوعية أو رأسمالية، ديمقراطية أو ديكتاتورية، أو أتوقراطية أو ثبوقراطية «^(۱۰)

.. ما معنى ذلك كله؟ ما معنى تكفير السلمين جميعا.. حكاماً ومحكومين.. معناه ببساطة انهم جميعا مرتدون. ثم

.. الارهاب.

وهكذا فإن الارهاب يأتى منقاداً ويشكل طبيعى للفكرة الاولى الذي وضع بذرتها الاستاذ حسن البنا ومدها على إستقامتها الاستاذ سيد قطب..

ولعل وضوح وصراحة سيد قطب قد دفعت كثيراً من الاخوانيين المعتادين على «التقية» والمالأة ، والتلاعب بالكلمات إلى القول بأن سيد قطب قد تباعد عن فكر الجماعة. مستندين في ذلك إلى كتاب «دعاة لاقضاة» الذي أصدره الاستاذ حسن الهضيبي [مرشد الاخوان أنذاك] وهو في السجن. ناسين أن الاستاذ الهضيبي كان كغيره من قادة الجماعة، يجاهر أحياناً بغير ما يعتقد، وملتجناً إلى «التقية» ولنا على

٨٨ - المرجع السابق - ص٥٨.

٨٩ - سيد قطب - في ظلال القرآن - جـ ١ - ص١١

٩٠ - سيد قطب - مقومات التصور الاسلامي - ٢٣

ذلك أدله عديده..

«أرسل الاستاذ الهضييى من سجن طره آلي الاخوان في الواحات مؤكدا أن تفسير الاخ سيد قطب للقرآن هو الحق الذي لا يسع أي مسلم أن يقول بغيره»((١٠)

ولقد يقول قائل - ولقد يكون - علي حق - أن هذه أقوال متهم قد أُجبر عليها تحت وطأة التعذيب.

فلنأت إلى شبهادة أخرى، كتبت في الزمن السعيد زمن التهادن بين الإخوان والسادات.

الاخت زينب الغزالى تقول «إن فضيلة المرشد [الاستاذ الهضيبي] قد قرأ كتاب معالم فى الطريق، وأعاد قراعه قبل طبعه، ووافق عليه.. وقال أن هذا الكتاب قد حصر أمله كله في سيد، وإنه الأمل المرتجى للدعوة الإن (۲۲)

وفي كتاب آخر أصدره واحد من مفكرى الجماعه [الاستاذ صفوت منصور] نقرأ «والاستاذ سيد قطب صاحب كتاب معالم في الطريق يعد في ميزان الرجال عماداً هائلا في تجديد شباب الحركة الاسلامية، والإمتداد الفكري والحركي لجماعة الاخوان المسلمين(١٢)

ويعود فيؤكد ان فكر الاستاذ سيد قطب «هو إمتداد لفكر جماعة الاخوان المسلمين، وتجديد لشبابها الفكرى والحركي،^{(١١}).

وقائد إخوانى مبرز هو الاستاذ صلاح شادى يكتب كتابا أسماه

٩١ - محضر تحقيق النيابة في القضية ١٢ لسنة ١٩٦٥ - أمن دوله عسكريه عليا -المتهم فيها سيد قطب وأخرون - محضر أقوال عزمي بكر محمود شافع.

٩٢ - زينب الفزالي - أيام من حياتي - ص٣٦.

٩٢ - صفوت منصور - المنهج الفكرى للعمل الاسلامي - الاخوان المسلمون - ص٩٢.

۹۶ – المرجع السابق – ص۹۹.

« الشهيدان – حسن البنا وسيد قطب» يقول فيه «لقد كان حسن البنا البذرة الصالحة الفكر الاسلامي، وكان سيد قطب الثمرة الناضجة لهذا الفكي (١٥٠)

الموقف الاجتماعي لجماعة الاخوان.

ولأنُ القرآن حمّال أوجه. ولأنه لا ينطق وهو مكتوب وإنما ينطق به البشر كما قال الامام على بن أبي طالب.

«فإن تلك الجماعة التّى أكدت وتؤكد انها تتخذ من الاسلام منهجاً متكاملا، والتي كسبت تأييداً لا بأس به لأنها تقدم تصوراً يقول انه يستهدف تغيير النظام السياسى التقليدى في مصر تغييراً شاملا،(٢٩)

فقد إستخدمت الدين بما يحقق لها مصالحها السياسية

ولأن الاسلام شئنه شأن أى معتقد سماوى أو فكرى يمكن الدخول إليه من أكثر من مدخل. ويرغم أننا تعلمنا على أيدى مفكرين أسلامين المدخل المسحيح نحو البعد الاجتماعي للاسلام.. مفكرين مثل رفاعة الطهطاوى، وجمال الدين الافغاني الذي قال «إن أول من عمل بالاشتراكية هم الصحابة» والذي منح كلمة الاشتراكية تعريفا موجزاً وبقيقاً إذ قال

« الاشتراكية هي التي تعطى حقاً مسلوباً للشعب العامل»(٩٧)

٥٠ - صلاح شادي - الشهيدان - حسن البنا وسيد قطب - ٧٧.

^{96 -}wheellook ,Kwith - New Egypt. (1960) - p3.

۹۷ – جمال الدين الافغانى – خاطرات جمال الدين – أملاه على محمد باشا المخزيمي – ص١٦١.

وأمثال الاستاذ الامام محمد عبده الذي كان يرى كما يؤكد تلميذه رشيد رضا «ان تراكم الثروة أدى البعض يخلق مشاكل إجتماعية، وأن الاضرابات العمالية والمشكلات في علاقات العمل هى مجرد ثمرة لهذا الوضعه (۱۸۹)

فان آخرين إختاروا مدخل إتخاذ الدين الدين كسلاح في يد الرجعية وكبار الملاك والرأسماليين.

أما حسن البنا فقد وجد نفسه في مأزق حقيقي،

فهو يريد أن يكسب لجماعته جماهيريه وسط جموع الفقراء، لكنه لا يريد أن يفقد مساندة القصر وكبار الملاك فاتخذ موفقاً يمكن القول بأنه «وبسط» ويأنه «مرن» وبأنه يفصل بين القول والممارسة الفعلية.

وإكتسب هذا الموقف مزيداً من المرونة أو بالدقة الغموض إذ رفض في الواقع إعلان أي برنامج سياسي أو إقتصادي محدد وواضح وإكتفى بالعمومات مثل «القرآن دستورنا».

لكن واقع الحياة كان يفرض علي الجماعة أن تحدد موقفاً من مجمل البنية الاجتماعية والاقتصادية، فاضطرت الى ذلك وإتخذت من الوسطية والمرونة سبيلاً لتلافى أى إختيار واضح وصريح بين العمال وبين مستغلبهم.

وسنحاول وبايجاز شديد تلمس الأسلوب الذي حددت به الجماعة ومفكروها «الموقف الفكري» من القضية الاجتماعية ومن الطبقة العاملة،

۹۸ – رشید رضا – تقسیر القرآن الکریم – جـ ۳ (۱۳۲۷هــ) ص۱۰۷

يقول أحد مفكرى الجماعة الشيخ محمد الغزالى: أن الإسلام يطرح نظاما إقتصادياً يمكن تسميته بالنظام الوسيط» وهو لايتردد فى القول بأن مثل هذا النظام «قد يطبق بأشكال مضتلفة باشراف الدولة على مصالح الشركات الكبرى إشرافاً مباشراً.. وهو ما إعتبره وسطاً بين تعطيل مبدأ الملكية وبين إطلاقه». (٩٩)

بينما يقول مفكر آخر من مفكرى الجماعة هو سيد قطب «أن النظام الإسلامي ليس هو الرق.. وليس هو الإقطاع وليس هو الشيوعية، أن النظام الإسلامي (١٠٠٠)

إن عبارة سيد قطب هذه نموذج دقيق لأسلوب عرض جماعة الإخوان لأفكارها خاصة في المجال الاجتماعي فهي تكتفي بنفي صفات محددة دون أن توضح تحديداً ماذا تريد.. لكننا نلاحظ أن قطب لم ينف صفة «الرأسـمالية» عن النظام الإسلامي، ربما لأنهم كعادتهم لم يريدوا تصادماً مع الرأسمالية... فالعبارة قيلت عام ١٩٥٣ حيث كان حكام يوليو ضد الإقطاع وضد الشيوعية لكنهم لم يتخذوا أي موقف ضدالرأسمالية.

وتحاول مجلة الدعوة أن تضفى ظلالاً غيبية على موضوع الملكية

۹۹ - الشيخ محمد الغزالى - الإسلام والأوضاع الاقتصادية - (۱۹۵۲) - مر
 ۱۰۰ - سيد قطب - مقال - مجلة المسلمون - مارس - ۱۹۵۲

ذاته «فالاسلام لا يعرف الملكية وإن كان يعرف الحيازة، إذ قررت المذهبية الإسلامية أن هذا الكون مرده إلى خالق واحد، وأنه وحده مالك الملك بما فيه من مادة وروح. فالإنسان ليس مالكاً أصيلاً لأى شئ لا لذاته أو جسده ولالزرع أو ضرع ولا أرض أو ماء أو هواء .. وإنما هو خليفة الله سبحانه في ملكه (١٠١)

وإذا كانت الملكية» لك وحده والإنسان مستخلف فيها: فإن الاستغلال ليس ملازما للملكية.

فالشيخ البهى الخولى الذى كلف باعداد البرنامج التثقيفي للجماعة يقول: «إن مقاومة الاستغلال لا تكون بالغاء الملكية بل بإقامة السلطة العادلة، أما الملكية ذاتها فليس من طبيعتها أن تبيح هذا العدوان، فقد يملك الأنسان ولا يظلم، وقد يملك ويكون محسناً كريماً. ومن ثم فالملكية ليست بحاجة إلى معالجة أو مقاومة، وإنما إلى تهذيب، (١٠٠١)

ووفق هذه المرتكزات الفكرية تقدم الجماعة أفكارها ومواقفها.

ويقول حسن البنا في رسالته المعنونة «مشكلاتنا الداخلية في ضوء النظام الإسلامي».

«إن التفاوت عظيم والبون شاسع والفرق كبير بين الطبقات المختلفة في هذا الشعب، فثراء فاحش وفقر مدقم » وقد يتصمور القارئ أن

١٠١ - الدعوة - العدد الأول - (١٩٥١)،

١٠٢ – البرنامج التثقيفي لجماعة الإخوان المسلمون – محاضرة التثقيف
 الاقتصادي إعداد البهي الخولي.

الجملة التالية ستكون دفاعا عن العمال أو فقراء الفلاحين لكنها تأتى دفاعاً عن الطبقة الوسطى «فالطبقة المتوسطة تكاد أن تكون معدومة. والذي نسميه نحن الطبقة المتوسطة ليست إلا مجموعة من الفقراء المعوزين وإن كنا نسميهم متوسطين علي قاعدة بعض الضرر أهون من بعض»(١٠٣)

ويحدد البنا قواعد للنظام الاقتصادي في الإسلام من بينها:

- إعتبار المال الصالح قوام الحياة ووجوب الحرص عليه،
- تقرير حرمة المال وإحترام الملكية الخاصة ما لم تتعارض مع المصلحة العامة.

ويستند البنا في تأكيد تحريم مصادرة المال إلى الحديث النبوي «كل المسلم حرام، دمه وعرضه وماله».

ويمضى البناء قبلائلا: «لقد امتدح الإسبلام المال الصبائح وأوجب الحرص عليه وحسن تدبيره وتثميره وأشاد بمنزلة الغنى الشاكر الذي يستخدم ماله في نقع الناس ورضاء الله (١٠٤/)

١٠٢ - حسن البنا - مجموعة الرسائل - ص٤٢٠.

١٠٤ - المرجع السابق - ص٤٢٥.

ويشير أحد مؤرخى الجماعة إلى تعمدها الحديث الغامض عن مشاكل العمال وعن حلول هذه المشاكل فيقول:

«التزمت الجماعة بالفكر والمصطلحات الشمولية ولم تلجأ إلى التحليل الطبقي.

لذلك فقد إقتصر إهتمامها بالقضايا العمالية على إظهار شعور الاستياء عما يعانيه العمال من الفقر والمرض وما يلاقونه من إضطهاد من جانب أصحاب الأعمال وإكتفت بالمطالبة بتحسين أحوالهم وتشغيل العاطلين منهم «١٠٥)

وبعد أسبوع واحد من ثورة يوليو نشرت الجماعة ما يمكن إعتباره «برنامجاً» سياسياً وإقتصادياً، ولعلها فعلت ذلك بهدف إحتواء القيادة الجديدة أوتحت ضغطها، وكذلك لمحاولة كسب جماهيرية وسط الشارع المصرى الذي كان ثوار يوليو ومؤيدوهم من الشيوعيين يكسبون مواقع هامة فيه. وقد جاء في هذا البرنامج:

«العمل فرض على القادر عليه، ولا يجوز له أن يتخلى عنه، ولا يجوز إعانة رجل لا يعمل وهو قادر، بل يحمل على العمل حملاً، ويجب على ولى الأمر أن يساعد على إيجاد عمل له.

فإذا لم يجد عملاً أصلاً، أو كان عمله لا يكفيه أو كان غير قادر عليه، وجب على ولى الأمر أن يتدخل ليحقق له ضرورات الحياة بالزكاة

١٠٥ - د. زكريا البيومي - الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية ١٠٥٧ - ص ٢٠٤٤.

، فإن لم تكف الزكاة لتوفير الحاجات الضرورية، وجب علي من عنده فضل مال أن يرده على الفقراء حتى يستوفوا حاجاتهم، فإن لم يفعلوا أجبرتهم الحكومة على ذلك وإتخذت من التشريعات ما يكفل إصلاح حال المجتمع بقدر ظهور الحاجات وبروز الضروريات.

كذلك يجب إستكسال التشريعات العبسالية بإعادة النظر فى التشريعات العمال بما فيهم العمال التشريعات العمال بما فيهم العمال التشريعات العمال بما فيهم العمال وأسرته التأمينات الكافية ضد البطالة والاصابة والعجز.. مع مراعاة جعل الانتساب للنقابات إجباريا و إباحة تكوين الاتحادات النقابية وتحديد أجور العسال وفق المبادئ الاسلامية (١٠٦١)

إنه تطور مفاجئ في موقف الجماعة تحاول به التقرب من العمال والفقراء عموما والمزايدة على شعارات ثورة يوليو.

ويواصل الإخوان عملية المزايدة، فغى احتفالهم بالمولد النبوى عام ١٩٥٢ وفى حضور محمد نجيب وجمال عبد الناصر ألقى المرشد العام للجماعة الهضيبى كلمة قال فيها: «كل إنسان عليه واجب الحصول على عيشة عن طريق العمل الحلال بحسب ما تؤهله له مواهبه، ويجبر على العمل إذا هو قعد عنه، وإذا كان عمل العامل لا يكفيه، أو لم يجد أصلاً أو كان غير قادر على العمل فهو في كفالة المسلمين جميعاً أي

١٠٦ - صحف ٢ /٨ / ١٩٥٢ نقلا عن: محمود عبد الحليم - الإخوان
 المسلمون أحداث صنعت التاريخ - جـ ٣ -ص١٢١.

في كفالة الدولة تمده بما يحتاج إليه من حاجاته الضرورية »(١٠٧)

لكن ذلك كله يبقى فى العموميات فالإخوان لم يخرجوا أبدأ عن إطار العموميات فى حديثهم السياسى والاجتماعى، وإن كان لابد من تخصيص فهو ليس فى صف العمال ولا فى صالحهم.

فحسن البنا يعد محاضرة لقسم العمال بالجماعة يؤكد فيها «إن على العمال أن يتذكروا دوماً واجبهم نحو الله ونحو أنفسهم ونحو صاحب العملي(١١٠٨)

أما «الأضراب» فهو عند الجماعة وبشكل حاسم «أمر مخل بروابط الإخاء بين المسلمين ومثير للجفاء بين فرقهم»(١٠٠٩).

وإذا كان البعض يرى في الإضراب سلاحاً عسالياً فإن الإخوان يقدمون أسلحة أخرى «لابد للعامل من سلاحين هما قوة الإيمان وحسن الخلق. فتقوم الصلة بين العامل وصاحب العمل علي الاحترام والعطف المتبادلين وهذه هي أنجح الوسائل»(١٠٠٠)

وعندما تزايدت حدة أزمة البطالة شكل وقسم العمال، بالجماعة لجنة لشئون العاطلين درست المشكلة ثم تقدمت باقتراح غريب هو «إعادة العمال الذين نزحوا من قراهم إبان الحرب للعمل في المدن.. إلى قراهم الأصلة ١١٧١٠

١٠٧ – المرجع السابق – ص٩٠.

١٠٨ -الإخران المسلمون - ٢٤ / ٨ /١٩٤٦.

۱۰۹ - المرجع السابق. 110 - Boehm.jacob. Les freres Musulmans - Mondenon- chretien XXvi-iune

١١١ - الاخوان المسلمون ١٨ / ١٩٤٦/٨

ولابد هنا من الإشار إلى مسألة هامة تشكل محور الموقف الفكرى للجماعة من القضية العمالية. فقد هاجم الإخوان وبحماس شديد الرأسماليين الأجانب (وكان كشير منهم من اليهود) ووصفوهم «بالاستعمار الاقتصادى» وطالبوا بتوجيه ضربات شديدة لهم، بل لقد تطور الأمر عام ١٩٤٩ إلى نسف مصانعهم وشركاتهم لكنهم في نفس الوقت لم يهاجموا على الإطلاق الرأسماليين المصريين.

إن وثيقة بريطانية تلمح إلى هذه المفارقة بذكاء.. فبعد مقتل حسن البنا أعدت السفارة البريطانية تقريراً لوزارة الخارجية البريطانية جاء فيه:

«كان حسن البنا يستهدف مساندة العمال المصريين ضد أصحاب الأعمال الأجانب، لكنه لم يكن ضد أصحاب الأعمال المسلمين» (١١٢) ولعمل لهذا الموقف مدخله الديني والاجتماعي والانتهازي في آن واحد.

* * *

وفاقي إلى ساحة الممارسة. ولقد تعودنا من جماعة الإخوان أن تختلف الأقوال عن الأفعال .. وفي البداية يحدد محمد شريف مسئول مكتب العمال بالجماعة الهدف الأساسي للجماعة من العمل وسط جماهير العمال «أكد محمد شريف أن معاداة الشيوعية كانت أحد هدفين أساسيين إستهدفتهما الجماعة من عملها المنظم في صفوف الطبقة العاملة أصا الهسدف الآخر فهو السعى لنشر دعوة الإسلام في

[[]المتحف البريطاني]. F.O.371 - 73474 - 13567.(1949). [المتحف البريطاني]

^{113 -} Beinin and loekman - workers on the nile -(1987) - interview with m.shar if.p.369.

ولا شك أن نشاطاً من هذا القبيل قد لقى ترحيباً شديداً من جانب الحكومات والرأسماليين علي السواء..

والحقيقة أن تركيز الإخوان في نشاطهم علي مقاومة الشيوعية قد أوقعهم في محاذير شديدة الخطر، فدفعوا عضويتهم إلي التجسس على العمال النشطين، وعلى الشيوعيين عموماً وإبلاغ السلطات عنهم..

وأمام محكمة الشعب (التى شكلتها سلطة يوليو لمحاكمة الإخوان عندما تصادمت معهم) وقف أحد قادة الجماعة وهوصلاح الدين أبو الخير ليعترف صراحة «أن قسم الأخبار في الجماعة كان يقوم بجمع الأخبار المهمة التى تهم الجماعة وأيضا نشوف حاجة.. خلية شيوعية مثلاً.. وأنا أعرف أن الإخوان ضبطوا عدة خلايا وأبلغوا عنها «١١٤٤.

ولكن أغلب النشاط الإخواني التجسسي ضد اليسار عموماً، تركز أساساً في المجال العمالي «حيث كانت أعين وإهتمامات أجهزة الأمن والقصر والرأسماليين مركزة هي أيضا »(١١٥).

ويعتقد ريتشارد ميتشل وهو باحث متخصص في تاريخ الجماعة .. أن هذا الموقف قد أضر ضرراً شديداً بالنشاط الإخواني وسط العمال بحيث وصل به قرابة عام ١٩٤٨ إلى ما يشبه التصفية.(١١٦١)

١١٤ - محكمة الشعب - الجزء الثاني - ص٢٩.

^{115 -} For more detailes see -Badaoui - Zaki, les problemes du travail et les organisations ouvries.

^{116 -} mitchell.richard - The society of the muslim brothers -(1969) p.282.

ولعل هذا الموقف هو الذى دفع العديد من الأبحاث الأكاديمية إلى دراسة محارسات جماعة الإخوان فى صفوف العمال من خلال أو بالتوازى مع دراستهم لصراعهم مع الشيوعيين .. ففى كتاب Workers on the nile نقرأ:

«وقد إنعكس ذلك فى صفوف العمال فى شكل تصادم حاد مع الشيوعيين حيثما وجد لهم نفوذ، فلقد بدأ الإخوان المسلمون فى معارضة كل محاولة للشيوعيين لاستقلال النقابات والعمل النقابى عن رؤساء العمال فى المصانع، ولتصعيد النضال العمالى الذى إعتبره الإخوان دعوة لإثارة الخلاف بين المسلمين. وفى نفس الوقت دأبت الجماعة على مقاومة كل أشكال النفوذ الشيوعي سواء بالدعاية أوحتي بالتدخل العملى،. ومن ثم فإن منطقة شبرا الخيمة وصناعة النسيج بشكل عام أصبحت أحد أهم مجالات الصراع المحتدم بين الاخوان والشيوعيين فى صفوف الحركة العمالية» (۱۷۱۷).

. ويمكن القول أن الظروف كانت مواتية كى يمارس الإخوان دوراً أزيد بكثير مما فعلوا.

فهناك أولاً المشاعر الدينية المسيطرة على جماهير العمال باتجاه الجماعة.وهناك أيضا الفراغ السياسي في صفوف الطبقة العاملة في مطلع الشلاثينيات عند نشأة الجماعة. فالحزب الشيوعي المصرى

^{- 117 -} see beinin - ibid .p..365.

وجهت له ضربات عنيفة. والاتحاد العام لنقابات العمال الذي أسسه الحزب عام ١٩٢١ تم حله أيضاً وصودرت ممتلكاته وسجن قادته، وحلت محله إتحادات عمالية شكلية تابعة بشكل مباشر للأحزاب البورجوازية أو للقصر الملكي، وتولى رئاستها بكوات وباشوات، بل وأحد نبلاء الأسرة المالكة. وكانت الظروف الاقتصادية والاجتماعية تدفع بالعمال إلى العمل المباشر..

لكننا نعتقد أن المناورة السياسية والمراهنة على القصر الملكى وعلى عدم إغضاب كبارالملاك والرأسماليين بالإضافة إلى المنطلق المعتقدى، كل ذلك أدى بالجماعة إلى العجز عن الاستفادة من كل هذه المكنات.

وبرغم ذلك فلابد لنا أن تلاحظ وباهتمام أن أول من إنضم إلى حسن البنا في عملية تأسيس الجماعة كان ستة من العمال (١١٨١) لكن الإسهام المكثف في عملية التأسيس لم يتواصل معه تواجد جدى للجماعة في صفوف العمال.

وعلى أية حال فقد تطور موقف الإخوان إزاء الطبقة العاملة من الاتصالات الفردية.. إلى العمل المباشر والمنظم، وشهد عام ١٩٣٨ بداية هذا التوجه ففي ٢٢ أغسطس ١٩٣٨ «ألتقي بالمركز العام للجماعة مجموعة من العمسال «المتعلمين» وتداولوا الأوضاع السيئة التي

١١٨ - حسن البنا - مذكرات الدعوة والداعية - ص٥٣

تعيشها الحركة العمالية وحول إمكانية تأسيس حزب عمالى «(۱۱۱). ويعلق أحد الباحثين على هذه المحاولة قائلاً: «ويبدو أن هذا الحزب قد تكون من عدد محدود ولفترة وجيزة. واتخذ له مقراً المركز العام للجماعة. ويبدو أنه كان مجرد واحدة من المناورات التي حاكها القصر ضد الوفد «(۱۲۰).

وبعد عدة أشهر من هذه المحاولة الفاشلة أى فى عام ١٩٣٩ أضرب ثمانية من قادة العمال بمدينة المحلة الكبرى عن الطعام إحتجاجاً على سوء أحوال الطبقة العاملة ومطالبين الحكومة باصدار تشريع يسمح بعق التنظيم النقابي. وقد إهتمت مجلة النذير (لسان حال الجماعة فى ذلك الوقت) بهذا الإضراب بالرغم من أن المضربين كانوا يساريين أو قريبين من اليسار، وهاجمت الحكومات المصرية المتعاقبة لأنها لم تف بوعودها للعمال وطالبت الوزارة بإصدار تشريعات منصفة لهم. لكنها فى الوقت نفسه هاجمت الاضراب كوسيلة وكأسلوب، وأكدت أنه يتنافى مع تعاليم الاسلام.

وتأتى الأربعينيات لتشهد إنطلاقة يسارية واسعة، ونشاطاً شيوعياً فى صفوف العمال، ولعل هذا هو الذى دفع الجماعة لبذل إهتمام مضاعف بالقضايا العمالية.

۱۱۹ - شيرا - ۲۵ /۸ /۱۹۳۸.

۱۲۰ – د. زكريا البيومي – المرجع السابق – ص٣٠٥.

١٢١- النذير - ١٩ / ٦ /١٩٣٩.

وفى ٢٩ أغسطس ١٩٤٢ صدر العدد الأول من جريدة «الإخوان المسلمون» ليعلن تأسيس «قسم الشئون الاجتماعية» بالجماعة.. بما يعنى بداية إهتمام منظم ومنتظم بهذه المسألة.

ويلاحظ مؤلفا كتاب والعبال على ضفاف النيل». وأن المقالات التى نشرت عن الإصلاح الاجتماعي منذ ذلك التباريخ وحتى لحظة التوقف المؤقت للجريدة في يناير ١٩٤٤ كانت مقالات عامة، ومجردة تعكس فقط الرؤية الإسلامية الاجتماعية. ولم نجد بينها مقالاً واحداً يتلك رؤية محددة حول مسألة عمالية محددة ». (١٣٢)

لكن الجريدة إذ عاودت الصدور في ديسمبر ١٩٤٤، عادت بتوجه جديد ومباشر نحو الطبقة العاملة – وإتسمت مقالاتها عموماً بالبساطة والشعبية والنبرة السياسية والاجتماعية الأكثر حدة. وتوافق ذلك مع توجه الجماعة لعمل نشط وسط العمال.

وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة أسست الجماعة «قسم العمال» بالمركز العام، لكنها حرصت على التأكيد بأن «الغرض من إنشاء هذا القسم ليس التدخل فى شئون العمال النقابية، ولا التنافس مع الهيئات العمالية، أو التعرض للعمال فى مصانعهم أو شركاتهم، ولكنه أنشئ بغرض توصيل الدعوة إلى نفوسهم وحتى يكون دافعاً لتمسكهم بتعاليم الدين». (۱۲۲)

¹²²⁻ beinin - ibid p.366

١٩٤٥ / ٦ / ٢٨ ما ١٩٤٥ - ١٢٣

ومرة أخرى فإن أغلب مؤرخى هذه الفترة يربطون بين توجه الإخوان للعمال وبين تصاعد النفوذ الشيوعى فى صفوفهم ويؤكدون أن واجب «العداء للشيوعيية» كان أحد دوافع الإخوان للنشاط وسط العمال. (١٧٤)

وقد حاول الإخوان أيضاً «إقامة نقابات عمالية تستوحى أفكارهم وقد حققوا في ذلك نجاحاً ما، ونشرت صحيفتهم أن عمال النقل قد قرروا تأسيس نقابة تعمل على هدى رسالة الإخوان. كذلك أصبح لهم نفوذ فعال في عمال البترول بالسويس، مع بعض مجموعات من عمال النسيج في المحلة وشيرا الخيمة »(١٢٥)

لكن بعض الباحثين والخصوم السياسين للإخوان يؤكدون أن الجماعة وجريدتها كانت تبالغ إلى حد كبير في نشر معلومات عن النشاط الاخواني وسط العمال.

وكمثال على ذلك نروى الواقعة التالية: فغى أعقاب تأسيس «اللجنة الوطنية للعسمال والطلبة» (وهى تجمع يسارى جماهيسري ضم ممثلين للشيوعيين ويسار الوفد في صفوف الطلاب والعمال، وقاد تحركاً وطنياً واسعاً ضد قوات الاحتلال، وقاد مظاهرات صاخبة في ٢١ فبراير وعمارس ١٩٤٦)، نشسرت جسريدة الاخوان المسلمون أنه قد تأسست

١٢٤ - راجع زكريا البيومي - المرجع السابق.

١٢٥ - زكريا البيومي - المرجع السابق - ص٣٠٦.

لجان تابعة للجماعة في مختلف مصانع منطقة شبرا الخيمة (كبرى المناعق الصناعية بالقاهرة) وتأسست لجنة عليا لمندويي هذه المصانع. وعلى الأثر أصدر قادة اللجنة الوطنية العامة لعمال شبرا الخيمة (أحد القوى الأساسية المكونة للجنة الوطنية للعمال والطلبة) بياناً جاء

«نشرت جريدة الإخوان المسلمين أنه قد تألفت لجنة في كل مصنع من مصانع شبرا الخيمة، وتألفت لجنة عليا من هذه اللجان، والحقيقة أنه لم تتألف لجان برغم المساعى الشديدة لهذه الجماعة، ولقد ذهبنا نحن ممثلي العمال لمقابلة المسئولين في الجماعة وسألناهم عن هذه المحاولات التي تتم في مواجهة نقابات العمال فلم نظفر بجواب مقنع بل وجدناهم يتكلمون بلغة المستعمر وأصحاب الأعمال. وأمام هذا أعلنا لهم عدم موافقت تنا على تشكيل أي لجنة .. وهذه حقيقة نعلنها للرأي

كذلك أصدر التشكيل النقابي الأساسي في مصر في ذلك الحين «مثة. نقابات عمال الشركات الأهلية» بيانا جاء فيه:

«دأبت جماعة الإخوان المسلمين منذ فجر البعث الوطنى الحالى على بث الدسائس وتدبير المؤامرات التى ترمى فى مجموعها إلى القضاء على الحركة الوطنية أو تحويلها عن أهدافها عما لا يخدم غير

۱۲۹ - محمد حسن أحمد (اسم سرى) - الإخوان المسلمون فى الميزان (١٩٤٦)
 - ص٨٥٩.

الاستعمار. ولما كانت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة هي اللجنة الشرعية الممثلة للطلبة والعمال والموظفين، والمنتخبة إنتخاباً ديقراطياً والمنظمة لكفاح طوانف الشعب حتى يقضسمى على الاستعمار .. فقد دبر الأخوان مؤامراتهم خاصة ضد اللجنة، وبدأوا في إعلان تكوين لجان خاصة بهم وسط العمال. ويعلن المؤقر أنه والهيئات الوطنية للعمال والطلبة، يحذرون الزملاء العمال من الانضمام إلى أية لجنة تؤلفها جماعة الإخوان المسلمين وكل عامل ينضم إلى أي لجنة من لجانها لا يمثل الانضه.

- لتحيا اللجنة الوطنية للعمال والطلبة.
 - لتسقط الفاشية.
 - ليسقط الاستعمار». (١٢٧)

وقد أثبتت الأحداث اللاحقة أنه لا صحة لما أعلنته جريدة الجماعة من تأسيس لجان في المصانع بشبرا الخيمة تابعة للجماعة إذ لم يبرز أي نشاط لهذه الجان، وإن كانت الجماعة قد ظلت تمتلك تواجداً محدوداً في مصانع هذه المنطقة.

ويؤكد مؤلفا « العمال على ضفاف النيل»:

«إن قادة عسال النسيج في شبرا الخيسة الذين تمسكوا بالخط السياسي للجنة الوطنيةللعمال والطلبة لم يخفوا عداءهم لحاولات

١٢٧ - المرجع السابق - ص١٠١.

التسلل الإخوانية في صفوفهم »(١٢٨)

والحقيقة إن موجة العداء التى تصاعدت ضد الإخوان وسط صفوف العمال لم تكن فقط بسبب الممارسات السياسية المعادية للمشاعر الوطنيسة، والتى وقيفت بالإخوان فى صف رئيس الوزراء الطاغيسة إسماعيل صدقى، وضد حركة الجماهير الشعبية المعادية للاستعمار بقيادة اللجنة الوطنية للعمال والطلبة، وإنما كانت بسبب مارسات محددة تاريخ هذه الفترة. إضراب شبرا الخيمة الشهير .. ففى سبتمبر ١٩٤٥ تاريخ هذه الفترة. إضراب شبرا الخيمة الشهير .. ففى سبتمبر ١٩٤٥ توفت كل مصانع المنطقة عن العمل وناجحاً فى منطقة شبرا الخيمة حيث توقفت كل مصانع المنطقة عن العمل، وتشكلت قيادة سرية للإضراب عجز البوليس عن الوصول إليها.. وفي البداية أيدت جماعة الاخوان الإضراب لكنها ما لبثت أن انسحبت منه، وبدأت حملتها ضده ،بل لقد أرسلت وفوداً من دعاتها إلى المنطقة لإقناع العمال بالعمول عن الإضراب بحجة «أن الدين يحرم الإضراب لأن فيه خسارة لأصحاب المسانع من المسلمين». (١٤/١)

وعاد عمال شبرا الخيمة إلى الإضراب من جديد، في إضراب أكثر شمولاً وأكثر تنظيماً إستمر طوال شهري مايو - يوليو ١٩٤٦ .. ومنذ

^{128 -} beinin - ibid p. 371.

١٢٩ - محمد حسن أحمد - المرجع السابق - ص٩١

البداية وقف الإخوان ضد الإضراب. .

وإتهم قادة الإضراب - وأيدتهم فى ذلك صحف الوفد - أعضاء جماعة الإخوان «بأنهم قد سلموا البوليس قوائم بأسماء وعناوين القادة السريين للإضراب ونتيجة لهذه المعلومات ألقى القبض على أكثر من مائة من القادة العمالين (. (. ١٣٠)

لكن الاضراب إستمر رغم ذلك.وصمم أصحاب المصانع على عدم السماح للعمال بالعودة للعمل إلا إذا تعهدوا كتابة بعدم العودة للإضراب. وأيدت جريدة الإخوان ذلك ،ودعت العمال «إلى إنهاء الإضراب والتوقيع على التعهد الذي طلبه منهم أصحاب المصانع ومكتب العمل بعدم اللجوء إلي سلاح الإضراب في المستقبل» وقالت الجريدة أنها «تؤمل بعد عودة العمال للعمل وتوقيعهم على التعهد المطلوب أن تعمل الحكومة على حل مشاكل العمال (١٣١١)

بل إن جريدة الجماعة تواطأت مع السلطات في محاولة تخريب الإضراب فنشرت خبراً غير صحيح يستهدف تصفية الإضراب، فقالت: «أن وفداً من عمال شبرا الخيمة أعلن إعتزام العمال إنهاء الاضراب». (١٣٢)

وردت عليها إحدى صحف حزب الوفد ببيان لقيادة الإضراب نفت

۱۳۰ – الوقد المصری – ۳۱ / ۵ / ۱۹۶۹ ۱۳۱ – الاخوان المسلمون ۲ / ۲ / ۱۹۶۲

۱۳۲ - الإخوان المسلمون ۲ /۲ /۱۹٤٦.

فيه هذه الواقعة. وأكدت أن الأخوان يتجسسون في صفوف العمال لحساب الموليس. (١٣٣)

وواصلت صحيفة الجماعة الدفاع عن موقف معلن وصريح يستهدف تصفية الإضراب وأكدت أن منظمى الإضراب «مسهيسجون محترفون». (۱۳٤)

وعندما إنتهى الإضراب، وبدأت الحكومة وأصحاب الأعمال هجومهم العام على العمال، وصدر قرار بحل نقابة العمال بالمنطقة، قرر العمال الامتناع عن تشكيل نقابة جديدة واللجوء إلى القضاء لطلب إلغاء قرار الحل. وكان معلوما بوضوح أن تشكيل نقابة جديدة يعنى شطب القضية. ولكن الإخوان أعلنوا تشكيل نقابة جديدة لعمال شبرا الخيمة ووجهوا بذلك ضربة شديدة للتقاليد النقابية. (١٣٥)

وقد أكد العمال رفضهم لهذه الخطوة بمقاطعتهم لهذه النقابة التى لم يزد عدد أعضائها عن ٢٠٠ عضو فقط(١٣٢١) ولعل هذه الممارسات كانت كافية قاماً لعزلة الخط الإخواني عن جماهير العمال برغم جاذبية الدين وتغلغله الشديد في صفوفهم. وفي هذا الصدد يقول مؤلفا «العمال على ضفاف النيل»: «إن الظروف الموضوعية للطبقة العاملة، وأسلوب

۱۳۳ - الوقد المصري ۳ / ۱۹٤٦.

١٣٤ – الاخوان السلمون ٣ / ٦ /١٩٤٦.

١٣٥ - الاخران المسلمون ٥/٧/١٩٤١

^{1967/0/0 -} Halam 0/0/73P1.

وتصرفات جماعة الإخوان المسلمين في صفوف هذه الطبقة قد لعبت دوراً حاسماً في فرض محدودية واضحة لدور الإسلام السياسي في حركة العمال المصريين. «١٣٧)

ويؤكد ذلك أيضا «ريتشارد ميتشل» قائلا.. أن عام ١٩٤٨ قد شهد تصفية شاملة لنفوذ الجماعة وسط العمال. (١٣٨)لكن الإخوان وبرغم ذلك كانوا يمتلكون مقومات أخري لتحقيق تواجد ما في صفوف العمال، فالإخوان جماعة غنية، حسنة التمويل، ومن ثم بدأت في تأسيس العديد من المصانع التي حرصت ألا يعمل فيها إلا أعضاء في الجماعة.. وفي سبتمبر ١٩٤٨ أسست الجماعة «مصنع الإخوان المسلمين للغزل والنسيج بشبرا الخيمة» ونظراً للأهمية البالغة لمنطقة شبرا الحيمة فقد تولى إدارة المصنع محمد شريف رئيس قسم العمال بالجماعة وكان المصنع يضم ٤٠ آلة و ٢٠ عاملاً. (١٣٩)

ولم يكن هذا المصنع وحده، ففي ديسمبر ١٩٤٨ كانت الجماعة تمتلك الشركات التالية:

- شركة الإخوان للصحافة.
 - شركة الإخوان للطباعة.
- شركة الإعلانات العربية.

^{137 -} beinin - ibid p. 365

^{138 -} mitchell - ibid - p.280

^{139 -} mitchell - ibid p.282.

- شركة المعاملات الاسلامية.
- شركة العربية للمناجم والمحاجر.
- شركة التجارة والأشغال الهندسية.
- شركة التوكيلات التجارية بالسويس
- شركة مزرعة العركي (٨٠٠ فدان) (١٤٠٠)

وكان العاملون بهذه الشركات جميعاً بشكلون قاعدة مضمونة للجماعة، كما أن ثراء الجماعة (هناك تأكيدات عديدة بتمويل أجنبى) قد مكنها من إعطاء مزايا للعمال الأعضاء فيها، وتؤكد جريدة الرخوان أن «فرع شبرا الخيمة في قسم العمال بالجماعة كان يصرف للعمال المتعطين من أعضاء الجماعة كامل مرتباتهم». (۱۶۱)

ولعل ثما يثير الدهشة أن يؤكد نقابى يسارى وهو محمد متولى الشعراوى أحد قادة النشاط النقابى فى شركة مصر للغزل الرفيع بكفر الدوار «أنه في عام ١٩٤٨ وعندما بدأ نشاطه النقابى يتسبب فى تصادمه مع الشركة إنضم لجماعة الاخوان وسدد إشتراك شهرين كى يحصل على ضمانة مالية لمستقبله (١٤٢٠)

كذلك فقد إستخدمت الجماعة مختلف أشكال الضغط لضم العمال لصفوفها، وتنشر أحدى الصحف الوفدية «أن أحد رؤساء العمال في

١٤٠ - الإخوان المسلمون ١٩٤٦/٥/١٣.

۱٤۱ – الوفد المصرى ۲۱/۵/۲۱.

^{142 -} beinin - ibid p.379

شركة النيل بشبرا الخيمة وكان من الاخوان المسلمين حاول أن يضم أحدة قادة العمال للجماعة فلما رفض فصله من العمل، وهنا قام العمال بالاعتصام فى المصنع مطالبين بعودة زميلهم للعمل». ويقرر القادة النقابيون فى شبرا الخيمة أنه فى أعقاب إسهام الإخوان فى إفشال الإضراب الكبير (١٩٤٦) بدأ أصحاب المصانع فى تعيين العديد من الإخوان كرؤساء للعمال ليضمنوا خصومتهم لاى توجه يسارى وسط العمال. وقد مكن ذلك الجماعة من إستقطاب عدد محدود من العمال وأن كان قد أكسبها كراهية ونفوراً وسط الجموع العمالية.

ولعل أحد الادلة الهامة على ضعف النشاط العمالى للجماعة أن المذكرة التفسيرية ثلاثمر العسكرى الصادر بحل الجماعة في عام ١٩٤٨ تتحدث عن نشاط الجماعة تفصيلا فتشير إلى نشاطها وسط الطلبة والموظفين والفلاحين ولا إشارة واحدة للنشاط وسط العمال.. إن ثلاثة عشر بنداً تتضمنها المذكرة تفصيلا أنشطة الجماعة في مختلف مناحى الحياة ولا اشارة واحدة للعمال (١٤٢)

ويفسر البعض ذلك بأن نشاط الجماعة وسط العمال كان دوماً في خدمة أجهزة الأمن وبالتنسيق معها.

وعندما عادت الجماعة للنشاط في نهاية ١٩٥٠ حاولت أن تتخطى

۱۶۲ - الامر العسكرى رقم ٦٣ لسنة ١٩٤٨ بحل حماعة الاخوان المسلمين الصادر في ٨ ديسمبر - المذكرة التفسيرية المقدمة من عبد الرحمن بك عمار، وكيل وزارة الداخلية.

أخطاء الفترة السابقة، وأن تواكب المد الشورى الملتهب والذي أتخذ منحى ثورياً.. وأن تتكلم بلغته كى تكسب موقعاً ما وسط صفوف العمال. فكتب سبد قطب كثيراً عن إشتراكية الإسلام.. وتنشر مجلة «الدعوة » مقالات ملتهبة تهاجم الرأسماليين (لأول مرة) وتدافع عن عق العمال في الإضراب (بعد أن أكدوا من قبل أنه ضد تعاليم الإسلام).. وثمة مقال لمحمد الفولى بعنوان: أيها الرأسماليون لا تحاربوا لنقابات ، يهاجم فيها قانون ١٩٤٠ لأنه يحرم تكوين إتحادات عمالية، كما أنه يحرم العمال من حق الاضراب الذي هو سلاحهم الوحيد في مواجهة بطش الرأسماليين بهم ويحقوقهم. (١٤٤).

لكن هذا التطور لم يستمر سوى فترة قصيرة جداً ولم يشمر نفوذاً ما وسط العمال. وبدت الجماعة وكأنها تفقد أملها في هذه الطبقة، وفي وجود نفوذ حقيقي لها في صفوفها، ومن ثم راهنت ومن جديد علي التخوى الأخرى.

وعندما قامت ثورة ١٩٥٢، كانت تتنازعها مواقف متعددة إزاء قضية الطبقة العاملة، وإختار الإخوان الانحياز إلى أكثر العناصر محافظة وعداء لحقوق العمال.

وفى الإيام الأولى للثورة تولى د. محمد فؤاد جلال وزارة الشئون الاجتماعية وهو معروف بأنه من رجال «جمعية الفلاح» ذات التوجه

١٤٤ – الدعرة ٢٨ /٨ /١٩٥١.

اليمينى الواضح وكان يشرف علي أعمال الوزارة من قبل مجلس الثورة الضابط المعروف بتوجهه اليمينى وعلاقاته الوثيقة بالسفارة الأمريكية عبد المنعم أمين (وكان أيضا رئيس المحكمة العسكرية التى حاكمت العاملين خميس والبقرى بتهمة تنظيم إضراب في كفر الدوار وحكمت عليهما بالإعدام) ومع هذين الاثنين بالتحديد عمل كمساعد ومستشار للشئون العمالية سيد قطب أحد قادة الإخوان المسلمين.

ويروى فتحى كامل وهو قائد نقابى مخضرم كيف أنه ذهب إلى وزارة الشئون الاجتماعية ليتفاوض بشأن تكوين إتحاد عام للعمال.. وحضر الاجتماع الوزير محمد فؤاد جلال، والضابط عبد المنعم أمين عضو مجلس قيادة الثورة، وشخص لم يعرفه أول الأمر ثم عرف فيما بعد أنه سيد قطب.. ويقول فتحى كامل أن سيد قطب كان أكثر الحاضرين رفضاً لفكرة الاتحاد العام، وأكد أن النقابات بحاجة أولاً إلى أن تطهر صفوفها من الشبوعين (160)

ولعله من الضرورى الإشارة إلى أن الجماعة بينما كانت تشخذ من خلف الستار مواقف معادية للعمال، كانت وفى هذه الفترة بالذات - وكما رأينا من قبل- تتخذ موقف المزايدة على الجميع مدعية الدفاع عن العمال.

وكان من الضروري أن يتواجه البسمار والإخوان في كل موقع

١٤٥ - أمين عز الدين - تاريخ الطبقة العاملة منذ نشو ها وحتى ١٩٥٢ ص٩٠٨.

عمالى.. فعلى أثر التداخل الصريح لمثل الجماعة لدى وزير الشئون الاجتماعية في فرض توجهات معادية للعمال ومنها الإصرار على بقاء المادة ٣٩ من قانون عقد العمال الفردى التى كانت تجييز الفصل التعسفى للعمال .. قدم خالد محيى الدين أحد القادة البساريين البرزين بحركة الضباط وعضو مجلس قيادة الثورة إستقالته من المجلس إحتجاجاً..

وجاء في خطاب إستقالته «إننى قد فقدت القوة الدافعة علي العمل نتيجة أننى أرى أن أقل ما كانت تصبوا إليه نفسى من أفكار ومبادئ لا أستطيع تنفيذها » . . ويعلن في الاستقالة رفضة لهذه المادة «التي أعتبرها ظلماً فادحاً على فئة العمال التي تعتبر العمود الفقرى لأى أمة تريد أن تبنى مكانها اللاتق بين الأمم «^(۲37)

ومرة أخرى يهزم التوجه الإخواني إزاء العمال فقد إستطاعت إستقالة خالد محيى الدين أن تستقطب إلى جانبه جمال عبد الناصر الذي كان متغيبا عن الجلسة التي وقع فيها الصدام.. وعقدت جلسة جديدة ، وتم إتخاذ موقف جديد، وبدأ نفوذ سيد قطب يتقلص في مجال وزارة الشئون الاجتماعية، وما لبث أن أبعد عن موقعه..

ولعل مواقف كهذه قد إنعكست بالسلب أيضاً على علاقة الإخوان

١٤٦ - رسالة خطية موجهة من خالد محيى الدين عضو مجلس الثورة إلى حضرة المحترم جمال عبد الناص وكيل مجلس الثورة – مؤرخة ١٩٥٣/ ٣/ ١٩٥٣/ (مسهدة خطمة).

بالعمال. .

ويمكن القول أن هذه العسلاقة ظلت وحتى الآن محدودة، فبرغم تصاعد المد الإسلامي وتزايد نفوذ الجماعسات الإسلامية ومنها الإخوان المسلمين وسسط فئات المجتمع المختلفة، وبرغم تزايد نفسوذ الإخوان في عدد من النقابات المهنية (المهندسين - الأطباء) فإن المرشحين الإسلاميين قد فشلوا فشسلاً ذريعساً في إنتخابات النقابات العمالية الأخيرة.

ولعل ذلك كله ليس منفصلاً عن مجمل مواقف الجماعية سواء الأيديولوجية منها أو العملية.

* * *

ويعد كل ذلك وفى يناير ١٩٤٨ أعلن البوليس أنه إكتشف بمحض الصدفة مجموعة من الشبان تتدرب سرأ على السلاح فى منطقة جبل المقطم، وأنه بمداهمة المجموعة – التى قاومت لبعض الوقت – ضبط البوليس ١٦٥ قنبلة ومجموعات من الأسلحة.. وقال زعيم المجموعة سيد فايز (وكان إسمه جديداً تماماً على البوليس برغم أنه كان أحد القادة الأساسيين للجهاز السرى) «إن السلاح يجسرى تجميعه من أجل فلسطين وأن الشباب يتدرب من أجل فلسطين» ، وقال «أنهم اشتروا السلاح من العرب (البدو) من أجل العرب (الفلسطين)» (١٤٧٠).

١٤٧ - المصري، ٢٤ -١ -١٩٤٨.

وتحت ضغوط ووساطات من الجماعة أفرج عن سيد فايز وزملاته.. لكن أنظار البوليس بدأت تتجه ناحية شباب الجماعة.

وتكون الخطوة الثانية في ٢٢مارس ١٩٤٨ عندما يقتل إثنان من الإخوان المستشار أحمد بك الخازندار، وذلك بسبب إصداره حكماً قاسياً على عضو بالجماعة سبق أن أنهم بالهجوم على مجموعة من الجنود الإنجليز في أحد الملاهي الليلية، ويكتشف البوليس الصلة بين الشابين و بين مجموعة المقطم وبين جهاز سرى مسلح داخل جمعية الإخوان المسلمين. ويقبض لوقت قصير على المرشد نفسه، ولكنه لا يلبث أن يفرج عنه لعدم توافر الأدلة (١٤٤٨).

وإذا كان أعضاء الجماعة قد إستنكروا الحادث علنا (كعادتهم دوماً)، فلابد أن مشاعر مختلفة كانت تهنز في داخلهم، فالجهاد حق، وهو واجب، والقتيل إرتكب جرماً في نظرهم لأنه حكم بالسجن على شاب مسلم عضو بالجماعة لأنه هاجم مجموعة من الكفرة المحتلين أعداء الاسلام .. ولعل مثل هذه المشاعر لم تكن جديدة علي مصر .. فعلى أثر إنتشار موجة الاغتيالات وخاصة اغتيال أحمد ماهر، وأمين عثمان ، وغيرهما تحولت ساحات المحاكم كما يقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعي وإلى منابر لتمجيد القتل والجرعة (121)

۱٤٨ - آخر ساعة، ۲۶ - ۱۱ - ۱۹٤٨.

١٤٩ - عبد الرحمن الرافعي، في أعقاب الثورة المصرية، جـ ٣ ، ص٢٦٧.

ولم يكن هذا الحادث سوى مقدمة.

فقد كانت حرب فلسطين تشتعل ، وإذ أسهم الإخوان المسلمون فى إشعالها فقد أسهموا أيضاً – وبقدر متزايد - فى إذكاء مشاعر عنصرية ضد اليهود المصريين، وحاولوا جهد طاقتهم تحويل المعركة من عرب ضد إستعمار وصهيونية، إلى مسلمين ضد يهود.

وكان طبيعياً أن يسهم الجهاز الخاص المدجج حتى أسنانه بالسلام، والمستفز المشاعر، سواء بسبب تعثر مسيرة القتال وخبانة الحكومات العربية العميلة، أو بسبب القبض على «أخوة الجهاد» الذين قتلوا الخازندار .. كان طبيعياً أن يسهم في إذكاء نيران التعصب الديني مستخدماً الديناميت..

وفي ٢٠ يونيو ١٩٤٨ إشتعلت النيران في بعض منازل حارة اليهود، وفي ١٩ يوليو تم تفجير محلى شيكوريل وأركو وهما مملوكان لتجار من اليهود.

وإذ توقع الهدنة الأولى فى حرب فلسطين يستشعر الناس ريع الخيانة والتسليم، ويسرع الديناميت ليتكلم فى الداخل ضد اليهود المصريين، بعد أن أحبطت الجهود ضد الصهيانية فى فلسطين.

ويكون الأسبوع الأخير من يوليو والأول من أغسطس هما أسبوعى الرعب بالقاهرة حيث تتوالى الانفجارات في ممتلكات اليهود وتهتز المرة تلو الأخرى شوارع قلب العاصمة بتفجيرات عنيفة راح ضحيتها الكثيرون، وخلال أسبوعين دمرت محلات بنزايون وجاتينيو وشركة الدلتها التجارية ومحطة ماركوني للتلغراف اللاسلكي. (١٥٠١) وفي ٢٢ سبتمبر دمرت عدة منازل في حارة اليهود ثم وقع إنفجار عنيف في مبني شركة الإعلانات الشرقية (١٥١١)

. ولسنا بحاجة إلى القول بأن الضحايا كانوا كثيرين وأنهم جميعاً من الأبرياء..

وكانت أعين البوليس التى إستيقظت مؤخراً قد إكتشفت أحد أطراف الخيط، إذ ضبطت ترسائة سلاح ضخمة في عزبة بالإسماعيلية يمتلكها الشيخ محمد فرغلى قائد كتائب الإخوان فى فلسطين..

وفي ١٥ نوفمبر ضبطت سيارة الجيب الشهيرة . .

تقول مصادر البوليس أن ضبط السيبارة تم مصادفة، ولو أن الكثيرين يستبعدون ذلك، وعلي أية حال فإن واقعة سيارة الجيب قد وضعت يد البوليس في ضربة من ضربات الحظ على إثنين وثلاثين من أهم كوادر الجهاز السرى، وعلى وثائق وأرشيغات الجهاز بأكمله بما فيها خططه وتشكيلاته وأسماء الكثيرين من قادته وأعضائه (١٥٢)

١٥٠ - الصرى ٢٠ . ٢١ ، ٢٩ يوليو ، ١ ، ٤ أغسطس ١٩٤٨.

^{151 -} Resner,Lawrence - Eternal Stranger:The Pilght of Modern Jew From Bagdad to Casablanca, New York (1951) P116. ۱۵۲ - قضايا الإخوان - قضية سيارة الجيب: الحيثيات رئص الحكم - دار الفكر الإسلامي - القاهرة (١٩٥١).

وكان البنا قد أمضى معظم شهر أكتوبر وبضعة أيام من نوفمبر مؤدياً فريضة الحج، فما أن عاد تعرض للقبض عليه بقولة وجود دليل ضده في سيارة الجيب المضبوطة، وبمقولة مسؤوليته المباشرة عن حادث نسف شركة الاعلانات (١٥٢١)

وخرج البنا من السجن ليبذل جهوداً لإيقاف عجلة الأحداث محاولاً إنقاذ الجماعة من الوقوع فريسة لنظام أصبح غير راض عنها، بل وراغب في الخلاص منها..

لكن سرعة الأحداث كانت تفوق قدرة الشيخ على الحركة..

والشيخ الذى إعتاد المناورة بالسياسة والسياسيين وجد نفسه محاصراً قاماً عاجزاً عن الفعل، فالقصر والسعديون حلفاء الأمس القريب، والذين شجعوا الإخوان، ونظروا لتحركهم بإنجاه قضية فلسطين بعين الرضا بغية صرف الأنظار عن معركة الجلاء عن مصر، وعن قضايا الداخل المختلفة، بدءوا يخونون قضية فلسطين كما خانوا من قبل قضية مصر..

والبنا الذي شحن نفوس أتباعه وإلى أقصى مدى بالمشاعر الإسلامية المتوترة تجاه قضية فلسطين بجد نفسه مطالباً إما بأن يواجه القصر والحكومة وإما أن يواجه أتباعه.. وحاول أن يتخذ موقفاً وسطا، ولعله راح ضحية هذه المحاولة.

^{153 -} Mitchell - ibid, p.64.

وكان شباب الجامعة من الإخوان وغيرهم يغلى رفضاً للشروط المهينة التى خضسعت لها الحكومة في إتفاقية الهدنة في فلسطين، ولعل البنا حاول أن يلعب بآخر أوراقه (نفوذه وسط طلاب الجامعة)، ليخفف قبضة الحكومة عن عنق الجمساعة، وخسرج البوليس ليردعهم كعادته هذه الأيام، ودارت معارك مسلحة أمام فناء كلية طب القصر العيني أحد مراكز القوة بالنسبة لطلاب الإخوان.. وإستخدم البوليس الرصاص، واستخدم الإخوان المتفجرات، وإذ كان حكمدار العاصمة سليم زكى يقود المعركة من سسيارته (تلك السيارة التى ركبها حسن البنا منذ أقل من عام ونصسف ليهدئ المتظاهرين)، سددت نحوه قنبلة أصابته إصابة مباشرة.. وإتهم بيان حكومي جماعة الإخوان المسلمين بقتله...

وعلي أثر ذلك، صدر قرار من الحاكم العسكرى، (كانت الأحكام العرفية معلنة بسبب حرب فلسطين) بإيقاف صحيفة الجماعة .. وحاول البنا يائساً إنقاذ الجماعة.. إتصل بكل أصدقائه وحتى خصومه، ولعب بكل أوراقه، حاول الاتصال بالملك، بإبراهيم عبد الهادى رئيس الديوان الملكى، وبعبد الرحمن عمار (صديقه الشخصى وصديق الجماعة) وكان وكلاً لوزارة الداخلية.

ولأن الشيخ قد فقد أسباب قوته، بدأوا يتلاعبون به ،ففى الساعة العاشرة من مساء يوم ٨ ديسمبر إتصل به عبد الرحمن عمار وأكد له أن شيئاً ما سيحدث لتحسين الموقسف، وإنقاذ الجماعة. وإطمأن الشيخ وقبع هو ومجموعة من أنصاره في المركز العام ينتظرون «الإنقاذ» فإذا بالراديو يذيع عليهم قرار مجلس الوزراء بحل الجماعة بناء على مذكرة أعدها عبد الرحمن عمار نفسه.

وإذ حاول البعض الخروج من مقر المركز العام وجدوه محاصراً وإقتحمه البوليس ليلقى القبض على كل من فيه بإستثناء البنا.. الذى ترك طليقاً بحجة أنه لم يصدر أمر باعتقاله (١٥٤).. وكانت حريته هذه هي عذابه ونهايته.

وإشتملت مذكرة عبد الرحمن عمار المرفوعة إلى مجلس الوزراء بشأن طلب حل جماعة الإخوان المسلمين على قرار إتهام طويل يعيد إلى الأذهان كل أعمال العنف التي إرتكبتها الجماعة، حتى تلك التي إرتكبتها بإيعاز من السلطات ولخدمة مصالحها.

فمن بين التهم الثلاث عشرة التي ساقتها المذكرة نجد:

 بأن الجماعة كانت تعد للإطاحة بالنظام السياسى القائم وذلك عن طريق الإرهاب مستخدمة تشكيلات مدربة عسكرياً هى فرق الجوالة.

* مستولية الجماعة عن مقتل أحد خصومها السياسيين (وفدى) في بور سعيد.

* مسئولية الجماعة بحيازة أسلحة ومفرقعات ومتفجرات (حادث المقطم - مستودع السلاح بعزبة الشيخ محمد فرغلي - ضبط مصنع

^{104 -} الدعوة، غرة ربيع الأول ١٣٩٧ (فبراير١٩٧٧) - تصريع لسعد الدين الوليلي، السكرتير الخاص للشيخ حسن البنا بعنوان وما هي الأسرار الحقيقية في قضية إغتيال الشيخ حسن البنا ».

للمتفجرات بالإسماعيلية)

- * نسف فندق الملك جورج بالإسماعيلية.
- * نسف العديد من المنشآت التجارية المملوكة لليهود.
 - * الاعتداء على رجال الأمن أثناء تأدية وظيفتهم.
- * إرهاب أصحاب المنشآت التجارية وتهديدهم بهدف الحصول على «تبرعات» و«إشتراكات» مدفوعة مقدماً لصحيفة الجماعة.

ويناء علي هذه المذكرة أصدر الحاكم العسكري العام محمود فهمى النقراشي باشا قراراً عسكرياً من تسعة مواد تنص مادته الأولى: تحل فوراً الجمعية المعروفة باسم جماعة الإخوان المسلمين بشعبها أينما وجدت، وتغلق الأمكنة المخصصة لنشاطها، وتضبط جميع الأوراق والوثائق والسجلات والمطبوعات والمبالغ والأموال وعلى العموم كافة الأشياء المملوكة للجمعية ويحظر على أعضائها والمنتمين إليها بأية صفة كانت مواصلة نشاط الجمعية ويوجه خاص عقد إجتماعات لها أو لإحدى شغبها أو تنظيم مثل هذه الاجتماعات أو الدعوة إليها أو جمع الإعانات، أو الاشتراكات أو الشروع في شئ من ذلك. ويعد من الاجتماعات المحظورة في تطبيق هذا الحكم إجتماع خمسة فأكثر من الأشخاص الذين كانوا أعضاء بالجمعية المذكورة. كما يحظر على كل شخص طبيعي أو معنوى السماح باستعمال أي مكان تابع له لعقد مثل شخص طبيعي أو معنوى السماح باستعمال أي مكان تابع له لعقد مثل

وتنص المادة الثالثة «على كل شخص كان عضواً في الجمعية

المنحلة أو منتمياً لها وكان مؤتمنا على أوراق أو مستندات أو دفاتر أو سجلات أو أدوات أو أشياء أن يسلمها إلى مركز البوليس المقيم في دائرته في خلال خمسة أيام من تاريخ نشر هذا الأمر».

أما المادة الرابعة فتنص على تعيين «مندوب خاص مهمته إستلام جميع أموال الجمعية المنحلة وتصفية ما يرى تصفيته، ويخصص الناتج للأعمال الخيرية أو الاجتماعية التي يحددها وزير الشؤون».

ودارت ماكينة العنف البوليسى ضد الاخوان .. هؤلاء الذين باركوا دورانها ضد خصومهم من الوفدين والتقدميين والشيوعيين فإذا بغول الديكتاتورية يبتلعهم هم أيضاً.

والمعتقلات التى إفتتحت فى ظل مباركة الإخوان وتهليلهم يوم ١٥ مايو (أيار) ١٩٤٨ (بمناسبة حرب فلسطين) والتى إستقبلت خصومهم السياسيين، أخذت تتوسع كى تستقبل الألوف من أعضاء الإخوان.

ويقول البنا انه قد تم فصل ١٥٠ موظفاً، وشرد من القاهرة وحدها إلى الوجه القبلى ٢٠٠ موظف، وأبعد عن كليات الجامعة والمدارس الثانوية نحواً من ألف طالب(١٥٠٥).

وحاول البنا جهد طاقته أن يوقف طوفان المحنة.. لكنه كان عاجزاً بالفعل . فالحكومة التي هادنها وهادنته، كانت تضرب بعنف وقوة مصممة على تصفية الإخوان، ورفض النقراشي كل محاولات البنا

١٥٥ - حسن البنا، القول الفصل.

للالتقاء به. والجماعة التى بناها الشيخ بعرقه وجهده، وشيدها بيديه لبنة لبنة عبر عشرين عاماً تنهار أمام عينيه، وجهازه السرى تنقطع خطوط إتصاله، فقد كانت ضربة سيارة الجيب قاصمة بالنسبة لقيادة الجهاز السرى، وشبكات إتصالهم، وإذ ضربت قيادة الجهاز فقد البنا اتصاله به بل، وفقد سيطرته عليه (١٥٦١)

وفى ٢٨ ديسمبر (كانون الأول) وقعت الواقعة وصعدت المأساة إلى أعلى قممها إذ قام طالب فى الثالثة والعشرين من عمره (عبد المجيد أحمد حسن) بإطلاق رصاصتين محكمتى التصويب على رئيس الوزراء محمود فهمى النقراشي باشا.

وشيع أنصار الحكومة جشمان رئيس وزرائهم هاتفين في صراحة «الموت لحسن البنا» (۱۹۷)

وأتى إبراهيم عبد الهادى ليدير ماكينة العنف الرسمى إلى أقصى مداها، ولتتسع دائرة الاعتقالات فى صفوف الإخوان فتشمل ٤٠٠٠ معتقل (١٥٨)، وتعرض بعض المعتقلين لأقصى درجات التعذيب الوحشى الذى لم تعرف له مصر مثيلاً من قبل، وباختصار «كانت السنة أشهر التاليية لتبولى إبراهيم عبد الهادى الحكم صورة راسخة فى أذهان المصرين جميعاً للسلطة الرسمية الغاشمة وقد إكتسب عبد الهادي للنفسه خلالها عداء كافة فئات الرأى العام المصرى» (١٥٩).

^{156 -} MITCHELL - OP.CIT .P.67.

١٥٧ - المياحث، ٢٣ - ١ - ١٩٥١.

^{158 -} CAHIERS DE LORIENT CONTEMPORAIne- II (1949)P.42.

^{159 -} MITCHELL -ibid.P.67.

وفى زنازين التعذيب الرهيبة - والتى تناولت المتهم وأسرته رجالاً ونساءً - كان أقصى ما يؤلم الإخوان قيام أجهزة الأمن بتعليق الآية الكريمة «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الحياة الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم».

ولعل شكوكاً كثيرة قد ساورت هؤلاء الشبان من أعضاء الجهاز السرى وهم يعانون من التعذيب الوحشى في جدوى عملية الإرهاب ضد خصومهم، وربا في مدى مشروعيتها.

وفى مدى إنطباق «فكرة الجهاد» علي ما إرتكبوه من أعمال، ولعل فتاوي مفتي الديار المصرية ، وبيانات شيخ الأزهر وهيئة كبار العلماء التى تدين أعمالهم قدأثرت فيهم كثيراً.

لكن الطامة الكبرى جاءت عندما إستنكر الشبخ البنا نفسه هذه الأعمال وإتهم القائمين بها بأنهم «ليسوا أخواناً وليسوا مسلمين»، وهنا إنهار المتهمون جميعاً، فقد كان صمودهم وإحتمالهم للتعذيب يستمد كل صلابته من «البيعة» التى أقسموا بها بين يدى الشيخ أو من يمثله فى حجرة مظلمة .. فاذا تخلي الشيخ عنهم وعن فكرة «الجهاد» كما لقنها لهم .. فماذا يبقى؟

ولقد صمد عبد المجيد حسن ثلاثة أسابيع كاملة في مواجهة تعذيب وحشى ضده وضد أسرته، لكنه ما لبث أن إنهار تماماً عندما قرأ بيان الشيخ البنا الذي نشرته الصحف (١٦٠)

والحقيقة أن نزوع الإخوان الى الأرهاب، كان خطأ فادحاً مكن الخصوم من استخدام العنف الرسمي في أقصى صورة ضدهم.

كذلك فقد عزلهم هذا الإرهاب عن الكثير من القوى التي إعتادت العطف عليهم أو النظر إلى دعوتهم بعين الرضا.

ومع ماكينة التعذيب كانت ماكينة الدعاية تدور لتجرم الجماعة وشيخها ومنهجها وجهازها السرى.

 « فتوى مفتى الدار المصرية تدين أفعال الجماعة وتتهم القائمين بها
 « بالكفر.

« وبيان من هيئة كبار العلماء.

* وبيان ثالث من شيخ الأزهر.

وساهم في حملة الإدانة لأعمال العنف والإرهاب الإخوانية مفكرون
 وكتاب يتمتعون باحترام جمهور الشعب العريض.

* د. طه حسين يقول: وما هذه الأسلحة وما هذه الذخيرة التى تدخر في بيوت الأحياء وفى قبور المرتى؟ ما هذا المكر الذى يكمن، وما هذه الخطط التى تدبر، وما هذا الكيد الذي يكاد، ولم كل هذا الشر، ولم كل هذه النكر، ولم رخصت حياة المصريين .. يقال أنها إنما رخصت بأمر الإسلام الذى لم يحرم شيئاً كما حسرم القتل، ولم ينه عن شئ كما نهى

^{160 -} MITCHELL -ibid.P.68.

عن التعاون على الإثم والعدوان»(١٦١)

* وكامل الشناوى يقول «إننى حزين أن يوجد إنسان واحد، لا جماعة منظمة، يصنع الموت للناس ويحتبرف التخريب والتدمير، وإن قلبى ليقطر حزناً إذ كانت هذه الجماعة ترتكب جرائمها باسم الاسلام، وتجد من يصدقون دعواها.. إن الإسلام الذي يقول كتابه الكريم «وجادلهم بالتي هي أحسسن» لا يقسر الجدل بالمسسدسسات والمدافع والمتفجات "(١٢٢)

لكن إستنكار الجهاز السرى وجرائمه لم يأت من خارج الجماعة فقط، بل لعله أتى أكثر ما أتى من داخلها . بل من شيخها ومنشئها ومؤسس الجهاز السرى نفسه.

يقول منير الذلة عضو مكتب الإرشاد العام في إعترافاته أمام المحكمة «.. شفت الأستاذ حسن بعدما حصلت حادثة الخازندار، وكان مرهقاً ومتعباً جداً من الحكاية دى، وقال لى الإخوان قاموا بارتكاب الحادثة دى إزاى.. دى جريمة بشعة .. وبهذه المناسبة شكا لى من أن الفكرة من إنشاء أو تكوين الجهاز كانت تفهيم الإخوان معنى الجهاد فى نفوسهم ولكن بعض الأفراد إنحرفوا، وقال أن هذه الحوادث حصلت من غير ما يعلم بها، وكان في غاية الألم».

١٦١ - جرائم عصابة الإخوان - المرجع السابق - ص١٩٣٠.

١٩٢ - المرجع السابق - ص١٩٣.

ويقاطعه رئيس المحكمة «إحنا ما بنكلمش عن الأستاذ البنا وأنه كان في غاية الألم، ألم تتكلم معاه في أن الجهاز ده يتبم مين؟».

ويجيب الشاهد ومعنى الكلام ده إن الجهاز المفروض أنه يكون خاضع له، ولكن هو ما كانش خاضع له، وانه إرتكب الحوادث اللى إرتكبها من غير أمره.. وفي فترة الحل تجددت شكواه (البنا) ثاني مرة، وقال على حد تعبيره الحمد الله اللى إتحلت الجماعة علشان نخلص من البلوى دى ونصفيها و (۱۹۳)

وإذ نترك هذه الشهادة الخطيرة .. بما فيها من معلومات تثير الدهشة معلقة في مسوولية قائلها فإننا نلاحظ أن ثمة شهادة أخرى تؤكدها، وهى شهادة السيدة منيرة عامر حرم صالح حرب ياشا رئيس جمعية الشبان المسلمين والصديق الشخصى لحسن البنا.. وفي شهادتها أمام المحقق في إغتيال حسن البنا بجلسة ١٨ نوقمبر ١٩٥٣ تقول «الشيخ البنا كان يحضر لمقابلة صالح حرب باشا لكي يتفق مع الحكومة، وكان الواسطة بين الطرفين الأستاذ مصطفى مرعى، وأنا كنت أسمع أن الأستاذ البنا متألم، وسائته قال أنه بعد قتل الخازندار الأمور خرجت من أبده وقال: وأنا عاوز أمسكهم ولكن مش قادر «١٩٤١).

۱۹۳ - محكمة الشعب جـ ۲ - محاكمة حسن الهضيبي (شهادة منير الدلة) ص
 ۱۳۳۱ - ۱۳۳۹.

۱٦٤ - محضر تحقيق النيابة في قضية مقتل حسن البنا (الجناية ١٠٧١ - ١٩٥٢) جلسة يوم ١٨ نوفمبر ١٩٥٣ - (شهادة السيدة منيرة عامر) ص٢٥٩ وما بعدها.

وغضى لنتابع مواقف بقية قادة الجماعة من أعمال الإرهاب.

.. يقول حسن الهضيبى خليفة حسن البنا فى إعترافاته أمام المحكمة «لما جيت فى الإخوان المسلمين فى سنة ١٩٥١ تبين لى أن عندهم شئ اسمه النظام الخاص، فأنا سألت إيه الغرض من هذا النظام. وإيه مرماه؟ وتعملوا بيه إيه ؟ خصوصاً بعد ما ثبت أنه إرتكب جرائم قبل ذلك فى السنوات ٤٦ - ٤٧ - ٤٨، وكل هذه الجرائم إرتكبت طبعاً فى إنحراف أو خروج عن الغرض الأصلى» (١٦٥).

وقائد ثالث من الإخوان - محمد عبد المعز محمد عبد الله - يقول في شهادته أمام المحكمة:

«- الدفاع: قتل النقراشي حلال؟

-- الشاهد: جرعة.

- الدفاع: وقتل الخازندار حرام؟

- الشاهد: أيوه؟

- الدفاع: إسلام أو كفر؟

- الشاهد: كفر

- الدفاع: وقاتله؟

- الشاهد: يدخل النار.

- الدفاع: في عهد من قتل الخازندار؟

١٦٥ - محكمة الشعب - ج ٤ - محاكمة محمود عبد اللطيف (شهادة حسن الهضيبي).

- الشاهد: في عهد حسن البنا.
 - الدفاع: والنقراشي؟
- الشاهد: في عهد حسن البنا.
- الدفاع : ومن يقر القتل كافر أو مسلم؟

الشاهد:ا

وقائد آخر من قادة الجماعة هو محمود الحواتكي يتكلم أمام المحكمة.

- « -- الدفاع: هل إغتيال الخازندار من ضمن الأخطاء؟
 - الشاهد: نعم.
- الدفاع: والذين إرتكبوا هذه الأخطاء مسلمين أو غير مسلمين؟ الشاهد: إنخلعت عنهم ربقة الإيمان.
- الدفاع : هل تعتقد أن الذين يقرونهم ويوافقون على هذه الجرائم مسلمان أو غير مسلمان؟
 - الشاهد: غير مسلمين؟

ومضى الشاهد فى إعترافاته مؤكداً أنه فى أيام حسن البنا كان الذى يخرج على الجهاز السرى يقتل» (١٦٧)

۱۹۲ - محكمة الشعب - ج۲ - محاكمة محمود عبد اللطيف (شهادة محمد عبد المعز محمد عبد الله).

١٦٧ - المرجع السابق، شهادة محمود الحواتكي. ص٢٥٤.

أما الدكتور خميس حميدة وكبل جماعة الإخوان فيجيب أمام ذات المحكمة على سؤال عن نشاط الجهاز السرى قائلاً:

«-- الرئيس : وده صح؟

- الشاهد: غلط

- الرئيس: غلط؟

- الشاهد : نعم

- الرئيس : يفهم من كده أن جماعة الإخوان المسلمين غلط؟

- الشاهد: إلى أبعد حدود الغلط».

ويسأله الرئيس هل تعتبر عمل محمود عبد اللطيف (الذي حاول إغتيال جمال عبد الناصر) من الأعمال المضادة للجهادية.. الإجرامية مثلاً؟

ويجيب وكيل جماعة الإخوان: «أناأعتبر أن عمل محمود عبد اللطيف عمل إجرامي»(١٦٨٨)

ونترك هذا الحديث إذ بإمكانه أن يطول بغير حد. فسلسلة إعترافات الإخوان أمام المحاكم لا تنتهى.. فقط أردنا منه أن نثبت أن مقولة «الجهاد» التى قام على أساسها الجهاز السرى لم تكن واضحة وضوحاً كافياً ولا مستقرة إستقراراً كافياً ولا مقبولة قبولاً كافياً من كوادر الجماعة وقادتها.وعندما جاءت ردود الافعال الحكومية، وحانت ساعة

١٦٨ - محكمة الشعب - ج٣ - (شهادة خميس حميدة) ص١٨٠.

العقاب، وعندما إنطفاً الزهو، وواجه الإخوان مصيرهم أمام سلطة البطش، إنهار الكثيرون مدلين باعترافات كاملة.. كان أخطرها تطوعهم بإدانة فكرة الجهاز السرى وتكفير القائمين عليه.

نترك ذلك . . ونعود إلى الشيخ حسن في محنته القاسية.

كان الشبخ حسن البنا يعانى أكثر ما يعانى من حربته المفروضة عليه. وأكثر من مرة طالب خصومه بأن يضعوه فى المعتقل ولكنهم رفضوا، فقد إختمرت لديهم فكرة تصفية الشيخ.. تصفيته سياسبا، أولاً وبعدها يصفى جسدياً.

وقد كان..

وفى حريته كان الشيخ أكثر عذاباً من أتباعه المسجونين، فقد تركوه محاصراً، عاجزاً، ضعيفاً، لقد إنفرط عقد الجماعة، والجهاز السرى تقطعت خطوطه، والبناء الشامخ ينهار، «ورهبان الليل وفرسان النهار» يتساقطون تحت آلة التعذيب ليدلوا باعتبرافات متكاملة تجر إلى الزنارين المزيد والمزيد من الإخوان.

والشيخ الذي كان ملء السمع والبصر، أصبح يستجدى مقابلة رئيس الوزراء مقدماً كل ما يستطيع من تنازلات .. ويأبى رئيس الوزراء أن يقابله.

وبالنسبة لرجل كحسن البنا، يكون وضع كهذا هو قمة المأساة.

وتحرك الشيخ المهيض الجناح في إتجاهين.. أن يسجل دفاعه عن نفسه وعن جماعته كتابة، وأن يحاول لعبة الوساطة والتنازل لعله ينقذ

شيئاً من تحت أنقاض الجماعة.

وكتب الشيخ آخر رسائله «القول الفصل» وشتان بينها وبين رسائله الأولى.

يبدأ البنا «القول الفصل» قائلاً: «لقد سمع الرأى العام المصرى والعربى والإسلامى قضية الإخوان المسلمين من جانب واحد، جانب الحكومة التى إعتدت على الهيئة بإصدار أمر عسكرى بحلها وهو الجانب الذى يملك كل وسائل الدعاية من الصحف الخاضعة للرقابة كل الخضوع، ومن الإذاعة التى تديرها وتهيمن عليها القلة، ومن الخطباء في المساجد الذين هم موظفون حكوميون. لكن الرأى العام لم يسمع من الإخوان الذين حرموا كل وسائل الدفاع عن الفسهم فصودرت صحفهم وعطلت أقلامهم وكممت أفواههم. وإعتقل كل خطيب لهم وإعتبر إجتماع كل خمسة منهم في أي مكان جرية أقل عقوبة لها السجن ستة أشهر.

ولهذا كان من الواجب أن نتقدم بهذا البيان للرأى العام المصرى والعربى والإسلامى وللضمير الإنسانى العالمى حتى لا يقع فى خطأ ما، ويظلم فى الحكم، ويحكم بسماع خصم واحد، وقد قيل: إذا جاءك خصم وعينه مقلوعة فلا تحكم له حتى ترى خصمه فقد تكون عيناه الاثنتان مقلم عتن (١٩٠١)

١٦٩ - حسن البنا، القول الفصل.

أما الأسلحة فقد كرر الشيخ مقولة انها «للمجاهدين من الإخوان المسلمين والفلسطينية، والحكومة نفسها تعرف ذلك».

وإتهم البنا الحكومة أنها أصدرت قرار حل الجماعة تحت ضغط مذكرة ثلاثية تقدمت بها كل من بريطانيا وفرنسا وأمريكا وبعد إجتماع لممثليها الدبلوماسيين بفايد في ٦ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤٨. وطالت المذكرة بحل الجماعة.

ويعد أن سرد البنا أسباباً عديدة أخرى منها ستر الفشل فى فلسطين والإعداد لمفاوضات جديدة مع الانجليز عاد ليركز على ما أسماه بالأصابع الخفية والدسائس «من ذوى الفايات الذين خاصموا الدعوة من أول يوم وتربصوا بها كاليهودية العالمية والشيوعية الدولية والاستعمار وأنصار الإلحاد والإباحية».وفي ختام «القول الفصل» قال البنا:

« وسنجاهد في سبيل حقنا ما وسعنا الجهاد، فإن أعوزتنا الحياة الشريفة العزيزة فلن يعوزنا الموت الكريم المجيد».

لكن «القول الفصل» بقى مخطوطاً.. ولم ير النور إلا بعد وفاة الشيخ.

قلنا أن الشبيخ قد لجاً إلى الوساطة .. والصحيح أنه قد وقع فى مصيدة الوساطة .. لقد إستدرجوه خطوة خطوة، ليقدم تنازلاً أثر تنازل وفى النهاية إغتالوه.

وقد رفض عبد الهادي مقابلة الشيخ، ثم أحال الأمر إلى إثنين من

أخلص أعوانه ليراوغا الشيخ ويستدرجاه أولاً إلى مصيدة التصفية الساسية.

ولنلق نظرة على على الصائدين.. ثم على المصيدة.

- المصيدة : إستدارج الشيخ إلى إصدار بيانات وإتخاذ مواقف تدمر سمعته السياسية وتظهره بمظهر الضعيف أمام أتباعه وجماهيره، وتؤدى إلى تدمير معنويات الإخوان المحتجزين، ثم في النهاية تصفيته جسدياً بعد أن يصفى سياسياً.

يقول المدعى نائب الأحكام أثناء محاكمة إبراهيم عبد الهادى أمام محكمة الثورة بتهم من بينها تدبير اغتيال حسن البنا: «ولم يكن المتهم (عبد الهادى) مطمئناً إلى أنه بما أجراه من اعتقالات قد عزل المجنى عليه (حسن البنا) من أنصاره عزلاً تاماً بل ساوره الاعتقاد باحتمال أن يكون لفريسته أنصار آخرون لم يتبسر لرجاله الكشف عنهم ، ومن ثم فقد دس عليه بعض وزرائه في صورة من يفاوضونه لإعادة جماعته سبرتها الأولى في مقابل أن يكشف له عن كل رجالها توطئة لاعتقالهم ..فلما لم يؤد هذا البحث إلى إثبات وجود أنصار آخرين للمجنى عليه إطمأن المتهم إلى أن الفرصة واتته ليجهز على فريسته وهي مجردة من

لكن كيف كانت تجرى المفاوضات بين «الصائد» و«الصيد»

۱۷۱ - محاكمات الثورة - الكتاب الأول (محاكمة إبراهيم عبد الهادى) ص ۱۸۱.

. . وكيف كان الشيخ المقصوص الأجنحة يجر جراً إلى المصيدة . .

لنستمع إلى شهادة أقرب المقريين إلي حسن البنا، «أخو خديجة» كما أسماه يوماً ما.. صهره عبد الكريم منصور، إنه يستخدم نفس التعبير - بل لعلنا إستعرناه منه.. «علاوة على ذلك إستخدمت الحكومة الأستاذ مصطفى مرعى كأداة صيد.. لأن مصطفى مرعى إتصل بصالح حرب وقال له أنا عاوز أفاوض الإمام الشهيد.. وأخذ الأستاذ مصطفى مرعى بأساليب ملتوية ممقوتة يعمل على إبقاء الإمام الشهيد بالقاهرة موهما إياه بأسلوب بهلوانى بأن الحكومة ستلفى أمر الحل وتتصالح مع الإخوان وتعود الأمور إلى ماكانت عليه».

ويسأله رئيس المحكمة : قلت في كلامك أنه إتبع طرق ملتوية، فإية الطرق الملتوية دي؟

ويجيب الشاهد: وأيوه حاقول لكم يا أفندم. فهو كان بيوهم الإمام الشهيد أنهم جادون في أن يعيدوا الإخوان المسلمين، ولكنه كان بيقول له بس لو سمحت تكتب لى بيان يثبت حسن نيتكم، وكان مصطفى مرعى يقول ألفاظ للأمام الشهيد، وكان الأمام الشهيد يعارض في ألفاظ ملتوية كان يكتبها أويليها مصطفى مرعى فيقوم يقول له.. دى مسألة بسيطة إذا كان ده ثمن إعادة الإخوان، وإذا كان ثمن التفاهم مع الحكومة فإيه المانع من كتابته؟ ويمجرد ما كتب هذا البيان أخذه مصطفى مرعى وأعطاه لرئيس الحكومة وعدل فيه وجابه للأمام الشهيد وقعد يعدل في يقبول له اللفظ ده يدخل واللفظ ده لايدخل وهكذا قعد يعدل في

البيان . وبعد ذلك بمجرد ما أخذ البيان منه أعطاه لقاتل النقراشي وقال له شوف الشيخ حسن البنا أهو أصدر بيان ضدك، وقعد يستثير به المتهم القاتل، وكان من نتيجة هذا الأسلوب الذي إتخذه مصطفى مرعى أن قاتل النقراشي قعد يتكلم كلام كشير، وأصبح أداة مطواعة في يد التحقيق يقول ما يمليه عليه المحقق ورجال البوليس السياسي «(۱۷۲)

وهكذا فعندما يتردى السياسي في هاوية التنازلات. فلاعاصم. ويوقع البنا بيانا بعنوان «بيان للناس» إستنكر فيها الشيخ أعمال رجاله ورفاق طريقه، ودمغها بالإرهاب والخروج علي تعاليم الإسلام.

وكان البنا يلح على ضرورة الإفراج عن بعض رجاله معلنا أنه «لا يستطيع أن ينكر الأخطاء التى ارتكبها الإخوان وأنها قد هزته، إلى درجة أنه هو نفسه قد شعر بضرورة حل الجماعة »(۱۷۷۲). وقال أن التحكم في سير الأحداث يحتاج إلى رجال معينين يمكن للشيخ من خلالهم السيطرة على الموقف . . لكن عبد الهادى لم يقتنع بمنطق الشيخ ولم يكتف بالبيان الذى أصدره، وأخذ مصطفى مرعى يلح علي ضرورة تسليم محطة الإذاعة السرية للإخوان وكل ما بقى لدى الإخوان من أسلمة »(۱۷۶)

١٧٢ - المرجع السابق ، ص١٢٥.

١٧٣ - موسى إسحاق الحسيني، المرجع السابق، ص٣٦٠.

١٧٤ - جمال سليم، البوليس السياسي يحكم مصر - القاهرة للثقافة العربية
 ١٩٧٦)، م. ١٩٩٨.

وبعد يومين من صدور «بيان للناس» قبض على أحد قادة الجهاز السرى وهو يحاول نسف محكمة إستئناف مصر. ولنترك الحديث للشاهد الأول في قضية إغتيال البنا محمد يوسف الليثي والذي كان في هذا الوقت عميلاً للبوليس السياسي ومكلفاً عتابعة تحركات حسن البنا وهو أيضاً الذي استدرجه يوم اغتياله .. يقول الشاهد «.. وحصل حادث نسف محكمة الاستئناف وأنا قابلت الشيخ البنا، وكان متأثراً جداً من هذا الحادث، وكان معتقداً أن الاخوان مش هم اللي عملوا الحادث، ولما عرف أنهم هم اللي عملوا الحادث زعل خالص وبكي وقال أنه لا تهمه الحكومة، وإنما يهمه الشعب الذي قد يصدق أن الأخوان المسلمين ارهابيون، وقال أنه استعجب كيف حصل هذا الحادث؟ وحصلت بعد كده مفاوضات بينه وبين مصطفى مرعى بخصوص المعتقلين ، وصالح حرب باشا اتصل عرعي بيه علشان يجتمعوا بالشيخ البنا. . ومرعى بيه قال للشيخ البنا تعمل بيان كما قلت لك في الأول وأنت رفضت، ولذلك لازم تعمل بيان وإتفاهموا على إصدار بيان بعنوان «ليسوا أخوانا وليسوا مسلمان» ثم استمرت الاتصالات» (۱۷۵)

وعندما يدخل الصيد إلى المصيدة .. تكون التصرفات غير محسوبة .. ولنقرأ ما خطه الشيخ البنا بيده: «ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين». «وقع هذا الحادث الجديد، حادث محاولة نسف مكتب سعادة

١٧٥ - محضر تحقيق النيابة في قضية مقتل حسن البنا (الجنابة ١٠٧١ ١٩٥٢ - محضر أقوال محمد بوسف الليثي، ص٤٤.

النائب العام، وذكرت الجرائد أن مرتكبه كان من الإخوان المسلمين فشعرت بأن من الواجب أن أعلن أن مرتكب هذا الجرم الفظيع وأمثاله من الجرائم لا يكن أن يكون من الإخوان ولا من المسلمين لأن الإسلام يحرمها والإخوة تأباها وترفضها.ومن المرجع بل من المحقق أنه أراد به أن يتحدى الكلمة التي نشرت قبل ذلك بيومين تحت عنوان «بيان للناس» ولكسن مصر الآمنة لن تروعها هذه المحاولات الأثيمة، وسيتعاون هذا الشعب الحليم الفطرة مع حكومته الحريصة على أمنه وطمأنينته في ظل جلالة الملك المعظم على القضاء على هذه الظاهرة

وليعلم أولتك الصغار من العابثين أن خطابات التهديد التى يبعثون بها إلى كبار الرجال وغيرهم لن تزيد أحداً منهم إلا شعوراً بواجبه وحرصاً تاماً على أدائه. فليقلعوا عن هذه السفاسف ولينصرفوا إلى خدمة بلادهم كل فى حدود عمله، إن كانوا يستطيعون عمل شئ نافع مفيد.وإنى لأعلن أننى منذ اليوم سأعتبر أى حادث من هذه الحوادث يقع من أى فرد سبق له إتصال بجماعة الإخوان موجها إلى شخصى ولا يسعنى إزاءه إلا أن أقدم نفسى للقصاص وأطلب إلى جهات الاختصاص تجريدى من جنسيتى المصرية التى لا يستحقها إلا الشرفاء الأبرياء، فليتدبر ذلك من يسمعون ويطيعون، وسبكشف التحقيق ولا شك عن الأصيل والدخيل، ولله عاقبة الأمور.

«حسن البنا»

وهكذا إمتص المفاوضون البرتقالة إلى آخر قطرة.

والشيخ الذى يعيش فى قفص الحرية يعانى أكثر من رجاله فى السجن.

ويتعرض لضغوط مريرة عنيفة .. آلاف الأسر بلا عائل، إخوانه في السجن، وهو بلا حول ولا طول.

وبيانه الأول أثار إستياء أعضاء الجماعة بالسجون ويقال أنهم وجهوا له رسالة إنذار يقولون فيها أنهم يعتقدون «أن البيان مدسوس فإن كان صحيحاً فإن يوم الحساب آت بعد الإفراج عنا »(١٧٦)

ويكون تحدى من بقى بالخارج لبيان الشبخ محاولة نسف محكمة الاستئناف.. الرجل بين فكى كسارة البندق سجين ضغوط خصومه، وضغوط رجاله، لكنه لا يملك من أمر نفسه شيئاً.

وماذا بقى من الشيخ...

رجاله فى السجون يبعشون له يهددونه، ومن بقى خارج السجن يتمرد عليه، وهو يتهم أخلص خلصائه. الذين أقسموا له على المصحف والمسدس يمين الطاعة التامة فى المنشط والمكره.. يتهم «رهبان الليل وفرسان النهار» بأنهم «ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين».

بل ويتردى إلى مديح الحكومة التي تعذب رجاله أشد العذاب، ويقول أنها حريصة على أمن الشعب وطمأنينته «في ظل جلالة الملك

^{-176 -} Mitchell - ibid p.69.

المعظم».. بل ويحرض الشعب علي التعاون مع الحكومة «للقضاء على هذه الظاهرة الخطبرة».

«رهبان الليل وفرسان النهار» أصبحوا في آخر بيان للشيخ «أولئك من العابثين» وجهادهم أصبح «سفاسف».

ولا يبقى للشيخ ما يقوله.. سوى أنه سيطلب تجريده من جنسيته المصرية «التي لا يستحقها إلا الشرفاء الأبرياء»؟

وقرر القتلة أن يطلقوا الرصاص على جثته.

سحبوا منه سيارته ثم مسدسه المرخص ثم سحبوا الحراسة المحيطة به، وإستدرجوه إلى جلسة مفاوضات أخرى أوأخيرة.. وأطلقوا عليه الرصاص..

وببقى معلقاً للبحث الدقيق . . التاريخ الحقيقى لوفاة الإمام الشهيد المرشد العام الشيخ حسن أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي.

هل هو يوم ١٢ فبراير (شباط) ١٩٤٩. كما هو مثبت في شهادة الوفاة..

أم هو يوم أصدر الشيخ بيانه «ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين»..

أم هو يوم أصدر«بيان للناس»..

أم قبل ذلك بكثير.. يوم سمح لنفسه أن يدخل ميدان السياسة من باب الموالاة للقصر.. ومخاصمة الشعب..؟

وقد أثبت التحقيق أن المدبر الأساسي لمقتل الشيخ حسن البنا كان الملك فاروق. وأكد الإخوان أنفسهم أكثر من مرة أن الشيخ «قد أغتيل في يوم ١٢ فبراير (١٩٤٩ الموافق ١٤ ربيع ثاني سنة ١٣٦٨ هجرية.. يوم عيد ميلاد الملك السابق فاروق أحمد فؤاد فكان إغتياله هدية عيد ميلاد ملك جلب الدمار لشعبه (١٧٧).

بل لقد وصل الأمر بالجماعة إلى أنها طلبت رسمياً من المحكمة التي عقدت فى أعقاب ثورة يوليو لمحاكمة قتلة الشيخ حسن البنا، تقديم متهمين جدد على رأسهم الملك السابق فاروق وذلك باعتباره محرضاً وفاعلاً أصلياً.

ولأن القاتل الحقيقى كان فاروق على الاقل فى نظر الجماعة.. فإن الباحث لا يستطيع أن يكتم دهشته - بل ما هو أكثر من الدهشة - إذ يجد فى سجل تشريفات قصر عابدين يوم ١٤ نوفمبر ١٩٥١.. أسماء عديد من قادة الإخوان، أتوا إلى أبواب قصر الملك، ليعربوا - مرة أخرى - لقاتل شيخهم، ربما عن ولائهم ، وربما عن نسيانهم لدم شهيدهم. والتوقيعات ذات دلالة..

خليفة الشيخ البنا . المرشد الجديد حسن إسماعيل الهضيبي. أقارب الشيخ البنا . شقيقه عبد الرحمن البنا وعضو مكتب الإرشاد العام.

وصهره عبد الحكيم عابدين وسكرتير عام الجماعة.

١٧٧ - الدعوة غرة ربيع الأول ١٣٩٧ (فبراير ١٩٧٧). ص٣٨.

وأقرب المقربين إليه من رجاله:

- صالح عشماوى.
- عبد القادر عودة.
- حسين كمال الدين.
 - محمد الغزالى.
- عبد العزيز كامل.

وكلهم أعضاء في مكتب الإرشاد العام.

وحتى السكرتير الخاص للإمام الشهيد وكاتم أسراره ورفيق رحلته الطويلة سعد الدين الوليلي أتوا به معهم ليوقع هو أيضاً معرباً عن ولائه للملك فاروق.

وطوال رحلتنا مع هذه الدراسة. تراكمت علامات إستفهام وعلامات تعجب كثيرة، وتكون علامة التعجب الأخيرة مثاراً لما هو أكثر من الدهشة.. وتساؤلاً حول مدى وفاء هؤلاء الموقعين لذكرى شيخهم وإمامهم ومرشدهم .. وحول مدى صدق ما يصيغون من تراتيل الوفاء لشيخ نسوا ذكراه على عتبات قصر قاتله!

* * *

.. التداعيات

وإذا كان حسن البنا هو البلرة الصالحة فإن سيد قطب هو الشمرة الناضجة.. أو على الاقل هذا هو رأى واحد من كبار رجال الجماعة. الصاغ صلاح شادى الذى كان مسئولا عن قسم «الوحدات» بالجماعة

[الفرع الاكثر سرية من الجهاز السرى، فهو الفرع الخاص بأعضاء الجماعة في الجيش واليوليس].

ولم يحدث أبدأ ان وجه إخوانى أيا كان مرتبته أى نقد، أو شبه نقد لمبارسات أو كتابات الاستاذ سيد قطب. وسيد قطب - وهو شخصية مشيرة لجدل شديد - * هو سيد عصر الارهاب الحالى. فكل الارهابيين المتأسلمين الذين ملأوا الدنيا قتلا وسفكا للدماء هم «قطبيون» أى أنهم من أتباعه. وفي سجن طره بدأ سيد قطب فى إستقطاب أكثر عناصر شباب الجماعة تشدداً ليكون منهم تبارأ ينتقد إعتدال البعض من رموز الجماعة، ويدعو إلى تكفير المجتمع [الحاكم والمحكوم على السواء] وكان من أبرز تلاميسذه فى السجسن «شكرى مصطفى» الذى

^{*} فالذى يعرف السجون الناصرية وخاصة بالنسبة للخصوم السياسيين [اخران وشيوعين] يعرف ال سيد قطب قد عومل معاملة مثيرة للدهشة من فرط تميزها . وقد قضى أغلب فترات سجنه في مستشفى سجن طره، في حين أنه لم يكن الريض الرحيد الذى يستحق ذلك. وفيما كانت الأدوات الكتابية ممنوعة بشكل حاسم، أتيح لم وحده أن يكتب في السجن تفسيره للقرآن الكريم بجلداته المتعدده بما يحتاجه ذلك من مراجع عديدة وأوراق وأقلام وكلها كانت عنوعه. بل وأخرجت مسودات هذا التفسير من السجن، وهو أمر غير مسبوق.

كما كان سيد قطب هو الوحيد من السجناء السياسيين الذى صدر ضده حكم ثم أفرج عنه بعفو صحى. والمثير للدهشة أنه ما أن أفرج عنه حتى بادر وعلي الفور بإعاده تأسيس الجماعه من جديد على أساس كتابه ومعالم فى الطريق، ويدأ فى الاعداد لحملة تفجيرات وإغتيالات منها إغتيال عبد الناصر.. ثم كان ما كان.

سرعان ما كون بعد خروجه من السجن «الجماعة المسلمة» التى أسميت إعلاميا بجماعة التكفير والهجرة ، ومن هذه الجماعة الشديدة التشدد والتى تعرضت لضربات قاصمة فى أعقاب إختطافها للشيخ الذهبى وإغتياله .. تولدت جماعات عده لعل كل منها كان أكثر تطرفاً عا سبقه.

لكن الاستاذ سيد قطب هو صاحب نواة كرة الثلج التى تضخمت لتفرز لنا كل الارهابيين المتأسلمين من أعضاء «جماعة الجهاد» و «الجماعة الاسلامية» وما أفرزتاه من تكوينات تالية..

ولقد يتململ بعض الاخوان من نسبتهم إلى هذه التداعيات، لكن الشئ المؤكد أن أحداً لم يجرؤ أو يتجاسر ان ينطق بكلمة نقد واحدة لفكرة أو كلمة أو فعل من اقوال أو أفعال الاستاذ سيد قطب.

أليس هو «الشمرة الناضجة» للدعوة. وأليس هو «الأمل المرتجى للدعوة» كما أكد الاستاذ الهضيبى المرشد العام للاخوان علي زمن الاستاذ قطب؟

بل إن أحداً من الأخوان لم يوجه أى نقد أو إدانة لكل ما إرتكبه الارهابيون من مجازر . يتنصلون منها نعم . أما إدانتها وإدانة القائمين بها أو القائلين بضرورتهافلا.

ويبقى معلقاً في عنق الجماعة كل فعل أو قول، وكل قطرة دم أريقت بأيدى المتأسلمين حسمى يعلنوا براءتهم منها، ويعلنوا إدانتهم لها. والغريب ان هؤلاء المتأسلمون يسارعون من قبيل التفيقه، وسد منافذ الحياة أمام الناس بتحريم عشرات الافعال والاقوال والكتابات، لكن أحداً منهم لم يحرم حرفاً مما كتيسه هؤلاء الارهابيون الجدد إبتداءً من سيد قطب وحتى عمر عبد الرحمن وعبود الزمر وأسامه بن لادن وأمثالهم. ولم يحرم فعلا مما فعلوا .هو فقط يقول لم أفعل . ولكن اين واجب المسلم في تبسيان الحق. . أليس «الساكت عن الحق شسيطان أخس» ؟

* * *

تداعيات التداعيات:

ومع وجود قيادة للجماعة منغلقة على نفسها، ولا تمتلك لا الكفاءة الفكرية ولا التنظيمية التي إعتاد عليها الاخوانيون.

ومع بروز قيادات من الكوادر الوسطى إكتسبت فى ظل ظروف محددة بعضاً من وجود جماهيرى. وهى قيادات قدمت إلى الجماعه من صفوف «كرة الثلج» التى ولدها سيد قطب. أى من صفوف الجماعات الجهادية كما يسمونها. دخلوا الجماعه شبانا [طلابا أو خريجين جدداً] صعدوا خطوة أو خطوتين ثم .. كفى.

فالحصون العليا في قيادة الجماعة محصنة لا يسها إلا «المقربون» إبن المرشد المؤسس وإبن المرشد التالى . أما هؤلاء الغرباء فلا مكان لهم في قمم القيادة الاخوانية.

ثم بدأت القيادة تلعب لعبة غريبة. تورط قواعدها ولاتتورط هي. هم يسجنون وهي تنجو. ولعل الأمن قد أسهم في هذه اللعبة ربما [أقول ربما] عن وعي. الأمن يقبض على الكوادر الوسطى، يحاكمها، ويسجنها، بينما «القيادة» تعيش في مأمن.

ويبدو غريباً. وربما مريباً أن يقبض على مثات من أعضاء القيادات الوسطى الاخوانية بتهمة الانضمام إلي الجماعة وهى تنظيم محظور، وتكون الادلة كتابات ومطبوعات إخوانية كتابها ومؤلفوها من أعضاء مكتب الارشاد الذي يعيش حراً طليقاً، بل ويعلن أعضاؤه عن مواقعهم في الجماعة.

فالعضو يسجن لأنه يشتبه فى أنه منضم للجماعه، بينما الاستاذ مصطفى مشهور يعلن في كل يوم أنه المرشد العام.. والمستشار مأمون الهضيبى يعلن وعلنا أنه نائبه.

هذا المنطق المفتقد أثار حفيظة الكوادر الوسطى، خاصه وأن المواقع القيادية قد حجبت عنها قصراً.

وان الجماعة تفتقد أى شكل من أشكال الديقراطية، فأيه ديقراطية مع من بايعته «أميرا» أو «مرشدا». بايعته «على السمع والطاعة في المنشط والمكره» ومن تلقنت دوما انه يتحتم عليك أن «تطبعة وإن ضربك على ظهرك وبطنك»؟ وأية ديقراطية فيما أسمى ببيعة المقابر؟، حيث وبشكل مفاجئ بُويع الاستاذ مصطفى مشهور مرشداً للجماعة خلال مراسم دفن المرشسد السابق.. بايعه المشيعون دون ترتيب، ودون إحستراز من أن يكون المبايعون لا يمثلون الجماعة تمثيلا حقيقياً. أو

حتى لايكونون اعضاء فيها.

وأية ديمقراطية مع مرشد عام هو واحد من الرعيل الاول لمؤسسى الجهاز السرى الذي يفرض طاعة مضاعفة، وخضوعاً لا نقص فيه.

وهكذا بدأ التململ في صفوف الكوادر الوسطى، وظهرت تداعيات جديدة . إنشقاقات من الجماعة بعضها أسمى نفسه «حزب الوسط» [تحت التأسيس] والآخر حزب الشريعة[أيضا تحت التأسيس]

وآخرون كثيرون.. متمردون صامتون، أو منسحبون دون ضجيج، أو يستعدون لذات الشئ.

لكن التداعيات ومهما حاولت أن تنزين تبقى مفعمة بثوابت الأصل. مثله، مثقله بكل نوازعه وكل مقولاته المتأسلمه. وإن تزينت أو تجملت أو حاولت..

* * *

ذات يوم شاهد هارون الرشيد سحابة "تسرع بعيداً دون أن تمطر فوق بغداد، فنظر إليسها متهكما وقال: أمطرى حيث شنت، فخراجك سيأتيني». وأكاد أتخيل فضيلة المرشد العام للاخوان في موقع هارون الرشيد، أما السحابة فهى كل هذه التداعيات وتداعيات التداعيات لكن والخراج، هنا دماء وقتل وإرهاب وتأسلم.

* * *

. وتعود لنؤكد ما كررنا من قبل أن الارهاب ببدأ فكراً. ببدأ بفكرة خبيئة متأسلمة، لا تلبث أن تقتاد صاحبها أو متلقيها خطوة خطوة في طريق المفاصلة مع المجتمع، أو مع كل مختلف مفه، ويصبح الآخر هو العدو، ولأن الفكر الدينى (الانساني، النسبى الصحة] يروج له باعتباره ذات الدين (الإلهى المحتوى والكلى الصحة] فإن الآخر العدو يصبح بالضرورة الكافر.. الذي يجب أن يقام عليه حد الردة.

ونعود إلى حكاية عربية قديمة نتذكرها إذ نتحدث عن البذرة الخبيشة التى تتولد منها تداعيات متفجرة «إلتقى رجل صالح بإبليس، فعاتبه وناشده أن يكف عن أغواء البشر. فقال إبليس:أنا لا أغوى أحداً يامولانا.. أنا أضع البذرة وأتركها وأتركهم هم يفعلون كل شئ. ولما سأله الرجل الصالح كيف؟ إصطحبه إلى السوق وأمسك بخنفساء ووضعها علي الحائط بجوار كلب. لمح الكلب الخنفساء، إرتفع نباحه، وحاول القفز ليلتقط الخنفساء، ففزعت قطة كان مارة بالمصادفة، قفزت والحلة من فنزعها لتصطدم بحلواني يقلى بعض الحلوى في قدر من الزيت. أجفل الرجل، إنقلب الوعاء، وانقلب الموقد، فجرى الرجل خلف الكلب ليضربه. وأتى صاحب الكلب ليضرب الحلواني، وأتى أنصار كل منهم وتشابك السوق مع بعضه البعض في عراك ضار، بينما نار الموقد غتد، تشعل المحل وتشعل كل محلات السوق.. ولم ينفض العراك الا تعدراق السوق بأكمله. ونظر الرجل الصالح إلى إبليس.. دون أن ينطق».

.. البذرة الخبيشة هي تلك الافكار المتأسلمة.. والتداعيات هي إحتراق كل شئ.

والارهاب المتأسلم . . يبدأ فكرةً . أما إبليس فالجميع يعرفونه.

الناصرية الاسطورة .. والواقع

لا يشعر البط البرى بحقيقة مأساته

إلا عندما يرى البط الطائر محلقاً في الفضاء.

العلنا لانخطئ القول إذا قلنا أن الناصريه كظاهرة، وفكرة، وعارسة، وحكم، كانت الأكثر - من بين الظواهر المماثلة - في إستقطاب التمجيد المبالغ فيه من جانب الانصار، والهجوم الذي بغير حدود من جانب الخصوم. كلاهما.. الانصار والخصوم نظر إلى الناصرية بعين واحدة، غيمة وحيدة خيمت فوق الرؤية، إما حب مفرط، أو كراهية ملتهبة. ربا لأن هذه عادة من عادات فكرنا العربي في شقه السلبي، و، با لأن «ناص» نفسه كان كذلك .. مغرط في حيه وفي كراهيته.

وتبدو الكتابة الموضوعية عن «الناصرية» أمراً غير مألوف، ليس هذا فحسب وإنما تبدونى بعض الأحيان وكأنها أمر غير مفهوم، أو حتى غير منطقى اصديق مؤرخ مرموق إتهمنا نحن من عانينا سجون عبد الناصر وعذاباتها، ثم لم نتورط في هجوم، وإكتفينا بكفتى ميزان متعادلتين من مدح ونقد، إتهمنا أننا بلا إحساس، والامر لا علاقة له بالاحساس، فمرارة العذاب والتعذيب، والسجن المتصل لم تزل تؤرقنا بدنيا وصحيا وعائلباً و.. وجدانياً. صدقونى لم يزل طعم المرارة مريراً في فمنا، أو في فمى أنا على الأقل.. لكن الأمر أكثر تعقيداً بكثير من همما كانت صادقة ودقيقة، فنحن بحاجة إلى أكثر من كاميرا تعمل في آن واحد تلتقط صوراً متناقضة، يتداخل فيها السلبى مع الايجابى، بل

سبيكة لا يمكن فصل مكوناتها الحب والكراهبة، الامتنان والغضب الذي يصل إلى درجة الحقد، الاعتزاز والامتهان.. صور تتركب داخل بعضها - لا أدرى كيف - ويتلاحق فيها السلبى والايجابى، بحيث يبدو الأمر مركبا وحتى غائما].

والابجابى فى الظاهرة الناصرية يمتزج وبشكل متداخل تماما مع السلبى [فهل يمكن مشلا فصل القطاع العام عن ديمقراطية الادارة، أو فصل جمال الشعارات والمقولات والقرارات عن قبح التطبيق وتشوهه] إنه تداخل متداخل لا يمكن فصله حتى بمشرط جراح ماهر.

ولعل شاعر العربية الكبير الجواهري لخص الأمر كله في بيت شعر واحد:

لا يعصم المجد الرجال وإنما كان العظيم المجد والاخطاءً

* * *

ولقد ظل البعض يستظل بظل الناصرية، وينعم فى رحاب نعيمها، ويتسلق عبر شعابها فى غمار متسلقين بغير حصر.. وينال من فيض الاغداق على المتسلقين والمتزلفين، والمؤيدين بلا تردد، وبلا ترو، ويلا تهل. فالتصفيق المتردد غير محسوب عندما تأتى ساعة الاغداق، بل لعله غير مسموح به. وما أن كانت لحظة الغروب حتى إنقض هذا البعض نفسه وبنفسه، ودون إلحاح أو طلب من أحد.. إنقض مهاجماً، تماماً كما كان ينقض مؤيداً ومصفقاً، نفض عن نفسه رداء النفاق الناصرى، ليرتدى الزى الجديد.

ومن يبدأ رحلة الهجوم المتشدد على ما كان يتعبده بالامس. يبحث وبدأب عن نقيض يناقض كل ما قال وما فعل، ليقوله، ويردده، ويكتبه، و مفعله بلا خجل.

وتبدأ مرحله الهجوم غير المتمهل وغير الموضوعي.

وتتكاثر حالات التشفى التى تذكرنى بحاله شعريه ترددت عقب قيام «الاحرار» . . بنفى السلطان عبد الحميد.

حالة تقول:

سلاما أيها النافي الرعايا

ولا تجزع فخالقهم نفاكا

وما أنا شامت بك حين تيكي

كمن شمتوا ولكن ذا بذاكا

ولئن كانت الذاكرة يقظة لكانت صورة هؤلاء كثيبة وكريهة، لكن البعض لا يهتم بأى شكل يراه الناس، بقدر ما يهتم بالمغنم والكسب أيا كان كم الماء الذى يُراق من وجوههم.

أما نحن من إنتقدنا في الماضى ونالنا مانالنا بسبب هذا النقد - حتى ولو كان محدوداً، أو كان همساً -، فقد فرض علينا ضميرنا ان للتزم بالحق. . ذات الحق الذي إلتزمنا به عندما إنتقدنا الممارسات غير الديقراطية، نلتزم به اليوم إذ نبرزالايجابي. . إلى جوار السلبي، فتبدو المواقف مثيرة للدهشة. مواقفنا، ومواقف المنافقين القدامي والجدد.

* * *

والاحوة الناصريون يزيدون الأمر تعقيداً فهم كعاشق شديد الغيرة

على معشوقته، لا يحتمل عليها لمسة أو همسة، حتى وإن أتت فى إطار من التأييد. ينتقون وفقط ما هو إيجابى، ويرفضون وبشدة شديدة التعصب، أية محاولة لأى نقد ولوطفيف. فيستشيرون بهذا الموقف الشديد التعصب رياح تعصب مضاد. ويكادون أن يفرضوا سياجاً يمنع التقييم وحتى الموضوعى منه. فمن أراد أن يبقى على شعرة معاوية بينه وبين الناصريين الاسباب سياسية أو حتى فكرية الا يجد مناصاً من الصمت .. فإما أن يمتدح وفقط، وهو لا يقبل بذلك، وإما أن يقدم كتابة موضوعية فيفقد كل شعيرات معاوية بينه وبين حزب وتيار يفترض انه صديق .. وحليف.

ولو أن الناصريين أنصفوا أنفسهم وحلفائهم، وأنصفوا فكرتهم ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وأنصفوا الدعوة إلي التقييم الموضوعي للحدث - أى حدث -، لبادروا، وسبقوا الجميع بنقد ذاتى شجاع ينتقد ما كان من أخطاء وهي كثيرة، ينتقدها، أقصد يدينها دون أن يبررها، أو يمررها، أو يتغاضى عنها، أو يقلل من شأنها، ساعتها سيفتحون أمام فكرتهم، وأمام حزبهم أو تياراتهم صفحة جديدة قد تكون بداية تطور جديد للفكرة ومستقبلها.

لكنهم للأسف لم يفعلوا.

ولعل البعض منهم يتصور أن النقد الذاتي سوف يفتح الباب أمام الخصوم، لكن العكس هو الصحيح، فإن الآذان والأسماع والأبصار-الموضوعي منها، والمخلص منها لمصر ولمستقبلها - وهي ما نعتد به ونهتم، سوف تتجه نحو النقد الذاتي، وسوف تُعرض عن كل لغو. في حين أن تشبث الناصريين بعدم نقد التجربة السابقة يقدم الإيحاء بعدم جدية ما يقولون به من دفاع عن الديقراطية أو تمسك بها، بل ويفتح الآذان أمام الهجوم والتهجم وحتى غير الموضوعى منه.

والحقيقه أن هناك إتجاها منذ بداية السبعينيات، ربما وضعت بذوره أحداث ١٥ مايو، حيث تنازع الجميع ميراث يوليو. الناصريون

[أوأغلب قادتهم البارزون] أصبحوا «مراكز القوى» والمنقلبون عليهم [السادات ورهطه وهم الغالبية الساحقه ممن عاشوا على موائد الناصرية وتربوا في كنفها، ومارسوا معها ما مارست، كل ما مارست، وبرروا لها ما فعلت كل ما فعلت، وشاركوا في الفعل أو في تبريره أو تأويله] أصبحوا أصحاب يوليو.. يوليو المطلبة بطلاء ١٥ مايو، الذي لا يحتاج منا إلى وصف، فقد أفصح عن نفسه مارسةً وفعلاً وتاريخاً ما يكفى ويزيد.

ورويداً رويداً ومع نسيان السادات أو تناسيه لالتحاقه بناصر وناصريته، فعلها حواريوه وصار التفريق بين الناصريه وثورة يوليو واجباً عندهم.

وتبارى كثيرون عن تنكروا للناصرية، وعاشوا فى ظل الساداتية فى إشاعة مشل هذا التفريق، في منحاولة لإستلاب «يوليو» من «الناصرية». البعض قالها علناً، والبعض قالها عرضاً، والجميع تواطئوا على محاولة إعمال هذا الفصل.

وثمة أمثلة عدة:

- ابراهيم شكرى الامين العام لحزب العمل «الاشتراكي» [كما كان

يتسمى آنذاك] يقول .. «إن دعوه الحزب الاشتراكى كانت دليلا لثوره يوليو التي إستمدت مبادئها السته من برنامجه».. ثم يقول .. «إن الشورة نفذت الكثير مما نادينا به، فمن حقنا أن نكون حراسا على هذه المبادئ التي دفعنا ثمنها غاليا ه(1)

- ويؤكد صالح أبو رقيق عضو مكتب الارشاد لجماعه الاخوان المسلمين [قبل حلها، ومرشدها العام فيما بعد]..«نحن أصحاب الثوره، وليس أولئك الذين يدعون الآن» (٢) بينما يعلن عمر التلمسانى [عندما أصبح مرشداً عاماً]...«كان الاتفاق الاول بين الضباط الاحرار وبين الاخوان المسلمين أنه فى حالة نجاح الحركه أن يطبق شرع الله فى حكم هذا البلد.. ولكن ما أن إستقر الحكم لجمال عبد الناصر حتى تنكر للاخوان» (٣)

- وحتى الحزب الوطنى الديقراطى (الحاكم). والذي أسسه الرئيس الراحل أنور السادات إختار برغم ما هو منسوب إليه من تحد لتجربة عبد الناصر، أن يخوض معركه إنتخابات مجلس الشعب عام ١٩٨٤.

⁽١) جريدة الشعب – القاهرة – ١٣ – ٣ – ١٩٨٤.

⁽٢) مجلة روز اليوسف - القاهرة - ٢١ - ٥ - ١٩٨٤.

 ⁽٣) مجلة الطليعة - القاهره - مقال لعمر التلمساني بعنوان «٢٣ يوليو ليست ثورة » عدد اكتوبر ١٩٨٤

ببرنامج إنتخابى يقول فيه أنه هو «التعبير الحى عن الالتزام بتطبيق مبادئ يوليو من أجل الحرية السياسية والعدالة الاجتماعية وتأصيل الديمراطية »(1)

- وكذلك نجد أن حزب الوفد الجديد يحرص وبعد أن يطبع برنامجه العام [الأول] أن يضيف إلى الكتيب ورقه منفصله معنونه «إستدارك» تؤكد «أن المؤسسين لحزب الوفد الجديد يعلنون تمسكهم بالقيم والمبادئ والمفاهيم التي إستقرت في ضمير الشعب، ومبادئ ٣٣ يوليو السته، وثوره ١٥ مايو الاشتراكية الديقراطية» (٥) ولعل هذا الاستدراك كان مفروضاً بنص في قانون الاحزاب، فأراد الحزب وضعه منفصلا ليسهل التخلص منه فيما بعد.

 وحزب الاحرار «الاشتراكيين» كان يقرر في برنامجه انه الامتداد الطبيعي لثوره يوليو^(١١).

محاولة واحدة تستحق التأمل هي تلك التي أقدم عليها حزب المستقبل - تحت التأسيس- [الذي حاول تأسيسه الشهيد فرج فوده بعد

⁽٤) الحزب الوطني الديقراطي - البرنامج الانتخابي - ١٩٨٤.

⁽٥) برنامج حزب الوفد الجديد - ورقة مفصلة مضافة إلى الكتيب معنونه «استدراك»

⁽١) حزب الاحرار الاشتراكيين - البرنامج العام.

أن إنسحب من حزب الوفد إحتجاجا على تحالفه الانتخابي مع جماعة الاخوان، ولكنه وبرغم محاولات عدة لم يحصل علي ترخيص بقيام الحزب]

إذ أعلن في برنامجه ان الناصريه «أصبحت تنتسب للتاريخ، وكانت في عصرها إفرازاً طبيعياً لقضايا حقيقية في المجتمع، وإن التطبيق الأعمى لأى فكر أو تجربة سابقه إنما يمثل حجراً على المستقبل من أجل إنتماء عاطفي لماضٍ لن تتكرر ملابساته أو ظروفه»(٧).

ولعل ما سبق من أمثله يشير إلى محاولات لتنازع ميراث ثورة يوليو. والورثة الادعياء أكثر بكثير من الورثة الحقيقيين، ورما كان ذلك بذاته تعبيراً عن مكانة ثورة يوليو في الوجدان المصرى، أو لعله كان تعبيراً عن تعددية زوايا الرؤية لحدث تاريخي هام.. بل وشديد الاهمية في تاريخ مصر الحديث.

* * *

ولابد أن يشور سؤال شديد الإلحاح حول ماهية الناصرية؟ فإذا كان فعل «الثورة» قد حدث خلال الساعات الأولى ليوم ٢٣ يوليو فماذا عن الأيام التاليه المستدة منذ هذا اليوم وحتى يوم رحيل الزعيم؟ هل هو إمتداد لفعل «الثورة». أم إملاء جديد من جانب الزعيم الذي سرعان ما إنفرد بالسلطة مستبعداً العديدمن الشركاء في عملية الفعل هذه.. بل

⁽٧) برنامج حزب المستقبل - تحت التأسيس.

الشركاء فى التنظيم والاعداد والتحضير والتنفيذ؟. هذا سؤال. أما السؤال الأخر فهو حول كيفية تصنيف «الناصرية» بعد أن غايز بينها وبين ماكان من عمليات وترتيبيات عملية وتنظيمية ليله ٣٧يوليو وماقبلها ؟ هل هى ممارسة؟ أم نظرية؟ أم أسلوب حكم؟ أم هذا كله؟.

هذا التساؤل يشير كثيراً من الجدل الذي يجعل الباحث مغرماً بأن يدور حوله قبل أن يخترقه ليفهمه. فالميراث الناصري فكرى وعملى. هذا هو التقسيم الاول. لكن هذه التقسيمة ليست مجرد إستدراج إجباري لنا كي نناقش ماهية فكر عبد الناصر، وماهية الممارسة العملية وإنعكاسات كل منهماعلى الآخر.

فاذا كانت التجربة العملية مندرجه عبر خطوات تصاعدية وتنازلية معا. فهل يتشكل هذا الميراث - ببساطة - من مجموعة متجاورة من خطوات وإجراءات ومواقف؟ ثم ماذا لو إزداد الأمر تعقيداً فوجدنا أن الممارسات كانت تنقسم في آن واحد، وعبر نسيج بالغ التعقيد إلى إجراءات تتصاعد إيجابياتها، وأخرى تتميز بالسلبيه . وإلى ممارسات تتوافق، وأخرى تتناقض مع النسق العام للتجربة.

ثم ما هو المغزى العلمى لانعكاس النسق العملى العام علي النسق الفكرى للتجربه. وما هى الحدود الذي تمكن هذا النسق الفكرى من أن ينمو ويتخلق ليصل البها؟..

عندما نصل إلى هذه الاسئلة التي تفرض نفسها علينا نجد أن هناك إختىلاقات في تحديد ماهي الممارسة وما هي النظرية، وأن هناك - أحياناً - محاولات لتبسيط أو تسطيح هذا الفهم. ونبدأ بكلمات عبد الناصر..

«فرضت علينا ظروفنا أن يسبق تطبيقنا الثورى النظرية، ولكن ما هى النظرية ، إنها دليل العمل؟ الذي هو الممارسة ودراسة المشكلات التي يواجهها المجتمع»(^(A)

ويزيد عبد الناصر الامر تبسيطاً.. فيقول فى نفس الخطاب «بيقولوا يا جمال إعمل لنا نظرية.. إنتم إللى عليكم تعملوا النظرية، المثقفين هم اللى عليهم يعملوا النظرية. يوم ما ألاقى كتاب طالع عن الاقتصاد بتاعنا، والتجربة بتاعتنا، أو إيه إللى يجب يحصل فيها أشعر إن هذا الكتاب هو جزء كبير من النظرية».

ولعلنا إذ نرفض هذه الفكره المبسطة للغايه عن كيفية تخليق نظرية للعمل الثورى من إطار عملية «عارسة» ثورية فاننا قد نقر عبد الناصر في حدود ظروفه، وتجربة تنظيم الضباط الاحرار عندما يقول في نفس الخطاب «ناس كثير بيقولوا ماعندناش نظرية. فإن النظرية اللي إحنا ماشيين عليها؟. أنا بأسأل إيه هي النظرية؟ أنا بأقول إني ماكنش

 ⁽٨) جمال عبد الناصر – الخطاب الافتتاحى للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية (٢٥
 ١٩٦١-١١٠).

مطلوب منى أن أبداً فى يوم ٢٣ يوليو إنى أطلع معايا كتاب مطبوع وأقول ان هذا الكتاب هو النظرية، مستحيل، فلو كنا قعدنا نعمل الكتاب ده قبل ٢٣ يوليو ماكناش عملنا الثوره» وهذا طبيعى لأسباب عديدة لعل أهمها هو اختلاف المشارب الفكرية والطبقية والسياسية للضباط الاحرار.

وهذه الفقرة من خطاب عبد الناصر صحيحة. ليس فقط لاستحالة إبتداع الفكرة دون أدنى ممارسة - في واقع متميز بتعقيد خاص - وإغا أيضا لسبب يشير إليه الباحث السوفيتى «أ. أجارشيف..» «لم يسعف الوقت الضباط الاحرار فى فترة الاعداد للقيام بالثيورة لتطوير وجهات نظرهم السياسية وبلوغ تصور محدد للمجتمع الذى ينشدونه، كان يعضهم متعاطفاً مع الاخوان المسلمين، بينما يميل البعض الآخر إلى الماركسيين، اما الغالبية ومنها عبد الناصر فكانت تعتبر نفسها من ذوى الانتماء الوطنى العام» (١٠)

ويعيد محمود أمين العالم التأكيد علي نفس الفكرة «كان مجلس قيادة الثورة يشكل تحالفاً بين جبهات ثلاث الشيوعيين (منظمه الحركه الديقراطية للتحرر الوطنى - حدتو) والاخوان المسلمون. . ثم كتله الوسط التي يمثلها عبد الناصر وصحبه، ولكن سرعان ما تحقق الاستقطاب لصالح كتله الوسط عام ١٩٥٤ الستقطاب لصالح كتله الوسط عام ١٩٥٤ السلامات

 ⁽٩) أ.أجارشيف - جمال عبد الناصر - دار التقدم - موسكو - الطبعة العربية ١٩٨٣ - ١٩٨٥ - ١٩٨٥

 ⁽ ۱ ۱) محمود أمين العالم- دراسة ضمن كتاب معنون ٣٣٦ يوليو، خمسة أبعاد – بقلم
 كمال رفعت وآخرون – دار القلس ~ بيروت ١٩٧٤ ص٣٣.

.. كانت منظمة الضباط الاحرار إذن تعبيراً جبهوباً بين قوى سياسية متمايزة لم يكن بإمكانها أن تتوافق على ما هو أكثر من الخطوط الوظنية والديقراطية والاجتماعية الشديدة العمومية. ولو حاولت الانحياز إلى موقف ما خارج إطار هذه العمومية لإنفرط عقد التحالف. يبقى أن نتأمل عبارة لواحد من الذين صاحبوا عبد الناصر عن قرب شديد، سواء في إطار تنظيم الضباط، أو إطار ممارساته كحاكم في الأيام الأولى لحكمه. يقول أحمد لطفى واكد «أن عبد الناصر لم يكن ينتمي إلى اليمين الاخواني ولا الى اليسار الماركسي، كان موقعه أقرب إلى الوسط الليبرالي .. ولقد كان عبد الناصر من الذكاء واللباقة بحيث جعل اليمين يضع فيه أملا، واليسار يضع فيه أملا، ولا يتورط هو بأي الترام» (١١)

ولكن يطل علينا من نوافذ هذه العبارة سؤال موجع: هل كان عبد الناصر ليبراليا؟ أم برجماتيا؟ أم شيئاً آخر؟

على أيه حال يتعين علينا أن نتوقف لنسأل أنفسنا عن حجم الثمرة الفكرية التى نبتت من خضم هذه المارسات المتماوجة والمتعددة الأوجه، والمتأججة بالفعل الحماسى أيضا.. وأيضا عن مدى نضج هذه الثمرة؟

يقول أحد الباحثين «لقد أفرزت الممارسة العملية ومواجهة

۱۱ – المرجع السابق – ص۹۰

الشكلات اليومية التى واجهت العمل الثورى صياغة إختلفت وقايزت عن كثير من الصياغات النظرية التى تضمنتها أيديولوجيات ونظريات ساسية أخرى(١٢).

بينما ينكر سياسي غربى أى محتوى نظرى للتطور العملى الذى طرأ على مسلك عبد الناصر عقب فترة ممارساته الاولى فأنتونى ناتنج يؤكد أن «التطور الذى أحدثه عبد الناصر فى الطريق إلى الاشتراكية كان مجرد عملية برجماتية في جوهرها، قامت إلى حد كبير علي رد الفعل لانهيار الوحدة مع سوريا ودون دافع أيديولوجى يذكر» (١٣١)

بینما یؤکد آحد قادة یولیو - کمال رفعت. «کانت ثورة یولیو تتمیز بعقلیة «ثوری» وتتمیز باسلوب، «ثوری». ثم یجد ذلك - بحد ذاته - کافیا لیؤکد «وتتمیز - من ثم - بنظریة ثوریة (۱۶۱).

ولسنا نعتقد ان ثورية العقلية أو ثورية المنطق، أو ثورية أي شئ تكفى بذاتها لصنع نظرية أيا كانت طبيعة هذه النظرية.

۱۲ – محمد السعيد ادريس – عبد الناصر وما بعد – مجموعة دراسات –
 کتاب قضايا عربية إشراف أنيس صايغ – المؤسسه العربية للدراسات والنشر –
 بدوت – (۱۹۸۰) ص.۹ . .

١٣- أنتونى ناتنج - ناصر - ترجمة شاكر ابراهيم سعيد - مكتبة الهلال -بيروت - ١٩٨٥ - ص١٩٨٥.

١٤ -كمال رفعت وآخرون - المرجع السابق - ص٩

لكن المئاق الوطني يحاول أن يحل الاشكال بعباره تبدو فيها الرغبة في التفيق «إن التجربة الوطنيقلا تفترض مقدما تخطئه جميع النظريات السابقة عليها، أو تقطع برفض الحلول التي توصل إليها غيرها. فإن ذلك تعصب لانقدر أن نتحمل تبعاته، خصوصا وإن إرادة التغيير الاجتماعي في بداية ممارستها لمسئولياتها تجتاز فترة أشبه بالمراهقة الفكرية تحتاج خلالها إلى كل زاد فكرى. لكنها في حاجة الى أن تهضم كل زاد تحصل عليه. وأن تمزجه بالعصارات الناتجة من خلاياها الحية، إنها تحتاج إلى معرفة بما يجرى حولها، ولكن حاجتها الكبرى هي إلى عارسة الحياة على أرضها ». (١٥١). لكن عبارة كهذه، ورغم ما تتضمنه من تواضع لم نعتد عليه في مطالعاتنا للأدبيات والممارسات الناصرية . لاتقدم لنا حلاً كافياً. فالعبارة - وهي على حق ماما - تتحدث عن المعرفة بالأفكار الأخرى - وهي معرفة انتقائية بالضرورة ٠ وعن المعرفه بالواقع، وهما مكونان أساسيان، أو المكونان الاساسيان، لأي محتوى نظري. لكن مجرد هذه المعرف، وتلك ومزجهما معا لا بولد تلقائياً فكراً نظرياً. إنه يقدم المادة الخام التي يمكن تصنيع المحتوى النظري منها . . وهو ما فعله الميثاق. لكن الأمر كان يحاجة الي خطوة أخرى هي الحاسمة. .هذه الخطوة لم تتحقق لأن إعداد محتوى نظرى يحتاج إلى حاله من الاستقلال النسبي عن الممارسة اليومية لزعيم كعبد الناصر كان يستفنذ وقته وطاقته في الامساك بكل خبوط

⁽١٥) الميثاق الوطني - هيئة الاستعلامات المريد - القاهره

المجتمع المصرى وتصريف كل شئونه. ويفرض فى ذات الوقت حالة من الاحتواء لكل شئ، بحيث يتنع على أى مفكر أومجتهد أن يحاول .. أو أن يفكر أو يبدع أو أن يقول دون إذن ، أو حتى تكليف بذلك.. فلقد.. (أقول لقد) تفلت كلمة أو رأى أو فكرة تستدعى عقاباً صارماً كانت نذره تحلق دوماً فوق رؤوس الجميع.

باختصار، كان إفتقاد الليبراليه، وحرية الفكر، وحريه الابداع حاجز أمواج يمنع أيه محاولة جادة للتأصيل النظرى، بينما تدفقت كتابات سودها النفاق، وتكرار ما يقوله الزعيم.

باختصار مرة أخرى لاإبداع نظرى .. دون ديمقراطية.

وهكذا يمكن القول أن إفتقاد الديقراطية قد أدى إلى توقف الثمرة الفكرية المستقاة من ممارسات حكم عبد الناصر.

فاذا ما إتفقنا على أن «النظرية هى نسق من المعرفة المعممة وتفسير للجوانب المختلفه للواقع» (١٦١)

وعلى أن «المذهب هو تنظيم المعرفه وتجميعها في كل موحد» (١٧) إذا ما تواقفنا على هذين التعريفين أمكن القول بأن تجربة عبد الناصر العملية لم يكنها أن تفرز نسقاً نظرياً ولا مذهبياً يكن إخضاعه للتحليل أو للمقارنه بغيره من النظريات والمذاهب.

 ⁽١٦) م. روزنتال، ب. يودين – الموسوعة الفلسفية – ترجمة سمير كرم – دار
 الطلبعة – بدوت ١٩٧٤ ص ٣١٢

 ⁽۱۷) د. مراد وهبه وآخرون - المعجم الفلسفى - جـ ۲ - دار الثقافة الجديدة -القاهرة ۱۹۷۱ ص۲۱۲.

والوثيقة المعتمدة من عبد الناصر وهى الميثاق الوطنى هى فى أحسن الافتراضات برنامج سياسى عام وهذا ما يؤكده الميثاق نفسه إذ يقرر فى مقدمته «ان هذا الشعب المعلم راح أولا يطور المبادئ الستة ويحركها بالتجربة والممارسة والتفاعل الحى مع التاريخ القومى تأثراً به وتأثيراً فيه نحر برنامج تفصيلى يفتح طريق الثورة إلى أهدافها اللامتناهيه»

بل هو كما أكد عبد الناصر نفسه برنامج مرحلى يتعين إعادة النظر فيه بعد فترة حددها بثماني سنوات ولقد إنتهى هذا الوقت، ومضى زمن طويل، ولم يفكر أحد تفكيراً جاداً في إعاده طرح هذه الوثيقه / البرنامج للفحص الانتقادى بهدف ملاءمتها مع ما هو جديد في الواقع، الامر الذى دفع البعض إلى إعتباره مجرد وثيقة تاريخية يصبح اللجوء إليها لتطبيق نصوصها كمحاوله لاستخدام دواء إنتهت مدة صلاحيته. ولأن عبد الناصر لم يحاول أن يقدم إستخلاصات نظرية، فإنه ترك ذلك لمحاولتين تناقضتا مع بعضهما البعض إلى درجه النضاد الظاهر.. فمن جانب – وبشكل عملى أيضاً – أطلق عمليه التثقيف والتخليق فمن جانب – وبشكل عملى أيضاً – أطلق عمليه التثقيف والتخليق الشباب الشقافي والفكرى وباتجاه متقدم للغايه في إطار منظمه الشباب الاشتراكي وفي إطار المعهد العالى للدراسات الاشتراكيه (لكوادر الاتحاد داخله) ومن

۱۸ - الميثاق الوطني - المرجع السابق - س۸

جانب آخر منح الفرصة لاساتذة ذوى فكر محافظ تماماً كى يقدموا المعادل .. الذي إعتادت التجربة الناصرية على أستخدامه لموازنه أى توجه يسارى .. فقدم هؤلاء المحافظون تصفيقاً لفكر ومحارسات الزعيم ولكن بنغمات وتوجهات يمينية تماماً.. وهكذا ظلت عمليه التخليق النظرى «محلك س» (١٩٠٠).

ثم أن هذا الجيل من الشباب الذين جرت محاولة تكوينهم فكريا فى منظمة الشباب او المعهد الاشتراكى مالبشوا أن تعرضوا للقصف بعد رحيل عبد الناصر، وما لبث أكثرهم أن إرتدوا رداء الساداتيه ناسين أو متناسين كل ما كان. فالفاصل الزمنى بين مرحله عدم الاهتمام بالفكر، ومرحله الاعداد الفكرى كان قصيراً وغير كاف لاتضاج مفكرين يمكنهم إبداع ما يمكن أن يحقق ولو فيما بعد إرهاصات نظرية.

والنتيجة أن البعض - وإستناداً - إلى ما سبق وغيره، يتبنى فكرة سهلة تصف الشق الفكرى من تجربه عبد الناص - ويأكمله - بالانتقائية والتجريبية ومسميات أخرى يمكن العثور علي الكثير منها في كنز اللغه العربيه اللامتناهي.

لكن ذلك مجرد قفز إلى نتيجة سهله يرفضها باحث جاد كمحمود

۱۹ - لمزيد من التأكيد على هذه الملاحظة راجع تقرير لجنه الميثاق السماة لجنة المائدة وأبضا كتابات د. طلعت عيسى. نظرية الاشتراكية العربية -۱۹۳۵ و د. صلاح مخيمر - النظرة العلمية للاشتراكية - . رفعت المحجوب . النظام الاشتراكي في الجمهوريه العربية المتحدة - دار الطليعه بيروت (۱۹۲۷). وكتابات أخرى كثيره.

العالم الذي يقرر «انه من الخطأ أن ننظر إلى التجربة الناصرية نظرة سكونية ثابتة جامدة منذ بدايتها إلى نهايتها، إذ سنجد انها تتحرك بالممارسة والصراع فتغير بعض قياداتها وتعدل بعض إتجاهاتها، وينضج فكرها وسلوكها.. ومن الخطأ كذلك القول بأنها كانت بغير فكر نظرى أصلا (نلاحظ محاولة إيجاد مخرج باستخدام التركيب اللغوى فكر نظرى وليس نظرية).. ولكن من الخطأ كذلك القول بأنها ولدت منذ البداية ذات فلسفة نظرية مكتملة. والها الأصح أن نقول انها كانت ذات برنامج عملي تختفي وراه بعض المفاهيم النظرية العامة.. ولم تكن تجريبية خالصة، بل كانت تعتمد على تجرية المحاولة والخطأ في إطار تحقيق هذه المبادئ والاهداف التي يتصدمنها برنام جها النظرى والعملي» (٢٠٠).

ولعلنا وفى محاولة للتدقيق العلمى وليس لانصاف عبد الناصر نتساءل: «هل كان أمام عبد الناصر فى ظل ظروفه كشخص. وفى ظل ظروف مصر كوطن، وفى ظل ظروف العرب كافة، وظروف دول العالم الثالث كنسق جديد يتخذ سمات جديدة لم تكن كلها قد إكتشفت بعد ، ولم تتحدد بشكل علمى معالم حركة القوى الفاعلة فيها، فى ظل ظروف كهذه ماذا كان يمتلك الزعيم سوى التجربه والانتقاء، بل ان هذه الزعامه تتجلى قدراتها وإقتدارها فى التعلم من الواقع وفى الاستفادة من

⁽٢٠) كمال رفعت وآخرون - المرجع السابق - ص٣١

التجرية، وفي تحدى ممكنات الخطأ وهي كشيرة بالسعى المخلص لتصحيحها.خاصة و إن الاعتماد الابتدائي علي النتائج العملية وتقيميها هو خطوة ضرورية نحو رصد التجارب، ثم الاستنتاج، والاستقرار والتحليل، فالصياغه العملية للنتائج المتولدة عن المقترحات، هي عمل إيجابي ومحمود ((۱۱) لكن ذلك كله يعني وفقط ان الاعمال التحضيريه لم تستكمل مسيرتها ولا نضجها لتصبح «نظرية» أو حتى محاوله لتخليق مكون نظري.

ويذهب عبد الناصر .. ويبقى تراثه الفكرى المستمد من تجربة عملية باهرة.

ويبقى الواجب الملح وهوكيفية إستخلاص الواجبات العملية الحالة وفق النسق الفكري الناصري.

بل ويبقى واجب تطوير هذا النسق ليتواكب مع المعطيات الجديدة.

وليصبح قادراً على ان يتحول من مجرد تعبير فكرى عن «تجربة عبد الناصر» إلى تعبير عن «التجربة الناصرية» أى أن يتحول من مجرد «تراث» إلى فعل يومى وتفاعل حال ومستقبلي.

وهو ما لم يحدث .. ربما بسبب عدم وجود حملة للجنين الفكرى قادرين على توليد محكن نظرى أو حتى مشروع له. وربما لأن المناخ

 ⁽۲۱) د. رفعت السعيد - دراسة بعنوان «ايها الناصريون ماذا تنتظرون؟»
 ضمن كتاب عبد الناصر وما بعد- المرجع السابق.

المتردى ليس ملاتما لأستيفاء عملية توليد مكون فكرى يتماشى مع زمن.. ومحارسات.. وتوازنات.. وإنجازات الزعيم، بحيث سيصبح الحديث في إطارها لغوا وغير معبر عن الواقع الجديد المرير، وربا لأن أيد محاوله للتأسيس النظرى ستحتاج إلى ما يسبقها بالحتم من تقييم ما فات. كل ما فات. وتقديم تفسير أو تحليل للأخطاء والممارسات .. وتفسير للانتكاسه التى أتت عبر الوريث الوحيد الذى آثره عبد الناصر على غيره من الورثة.

أم أن الأمر لم يعد ضرورياً؟ فليس شرطاً أن يلتزم كل حزب أو كل تيار بنظرية. يكفى الحزب والعمل اليومى والجريدة والبرنامج السياسى. وهذا ليس عيبا على الاطلاق.

* * *

. . شع نفحص الشق الآخر من الميراث:

المارسة

ويمكن ان نلقى الضوء عليها عبر ثلاث مسارات رئيسية

- المعركة الوطنية.

- التطور الاجتماعي.

- مؤسسات وأساليب الحكم الناصري.

لكننا نخطئ لو وضعنا فواصل حاسمة بين كل من هذه المسارات. فهل يمكن مشلا تصور عمليه التطور الاجتماعي بعيداً عن المعركة الضارية ضد الاحتلال البريطاني والامبريالية الامريكية والصهيونيه؟ لست أعتقد ذلك. يقول أجارشيف وان خبرات البلدان النامية تؤكد أن الوطنيين الحقيقيين الشرفاء الذين يؤمنون بفكرة القومية يتفهمون إن آجلا أو عاجلا ضرورة تحديد مرقسفهم من طبقسات الكادحين، وتوضيع مرقسفهم الايديولوجي (۲۲)

ويقول الاكاديميان السوفيتيان ببلياييف وبرياكوف (أن أيدبولوجيه عبد الناصر كرجل دولة وسياسى، هي أيديولوجية ممثلي الفئات الاجتماعية المتوسطة الذين صاروا إنطلاقا من المواقف الوطنية المبدئية يقتربون تدريجيا من الاشتراكية العلمية (٣٢)

كان هذا هوالمنطق السوفيتى [الصديق]. أما المنطق الغربى [المعادى] فكان يعتبر أن التوجه الاجتماعي لعبد الناصر هو مجرد ثمرة لتقاربه مع السوفييت، أو هو الثمن الذي يدفعه مقابل ما تلقى من مساعدات سوفيتية.

.. والآن لنبدأ بالمسار الاول..

• عبد الناصر في مواجهة الاستعمار والصهيونيه.

ولست أعتقد أننا بحاجة هنا إلى إثباتات أو أدلد. فالأمر واضع، ولقد كان واضحاً منذ أن إختارت سلطة يوليو إسم «التحرير» لا لاول مجله تصدرها، وحتى تلك الحمله «الساذجة» التي قادها أول ضابط تولى

۲۲ - أجارشيف - المرجع السابق - ص٨٨

٢٣ – نقلا عن المرجع السابق – ص١٠

منصب وزير الارشاد القومى (صلاح سالم) حيث ملاً سماء الاعلام المصرى بالاحرف «أ.م.ب» ثم وبين دهشة الجميع أعلن تفسير اللغز وهوأنها الأحرف الأولى من عبارة «إخرجوا من بلادنا».

ثم عملية الكفاح المسلح التى إقترنت بعمليه التفاوض الصعب فى عام ١٩٥٣ صعوداً حتى الحملة الاعلامية ضد حلف بغداد ثم باندونج، وتأميم القنال، ثم حرب السويس والتمصير.. الخ.

والحقيقه انه يندر أن يوجد زعيم عربى خاض معركته ضد الاستعمار والامبريالية بكل هذا القدر من الحماس والفعالية .. وكل هذا الاصرار والتواصل.

كذلك يندر ان نجد زعيماً إستحوذ على كل هذا القدر من التأبيد الشعبى والجماهيرى خلال وقفته ضد الاستعمار والامبريالية والصهيونية.. فمن خلال المعركة ضد الاستعمارتكونت «كاريزما» عبد الناصر، والتي كانت شديدة التأثير، ولم تزل..

يقول باتريك سيل «أصبحت صورة عبد الناصر فى أذهان الجماهير العربية محببة أكثر فأكثر منذ إعلانه الحرب بلا هوادة ضد الاستعمار وحلف بغداد فى الاعوام ٣٣ - ١٩٥٥ (٢٤)

.. ويؤكد باحث آخر نفس الفكرة قائلا: «ومع ذلك كان على عبد

^{24 -} patric seale - The Struggle for syria - London - oxford University press - 1965 -p 196.

الناصر أن ينتظر حتى يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ كى يتمم عبوره التاريخى إلى الصورة الكاريزماتية الخاصة به ، فغى ذلك اليوم أعلن عبد الناصر تأميم الشركة البحرية العالمية لقناة السويس ... وهكذا لم يؤد تأميم القناه إلى إدخال عبد الناصر فى عقول غالبية الجماهير المصرية والعربية فحسب، بل وأدخله فى قلوبهم أيضا.. والواقع أنه قد تم رسم الخط الفاصل بين عبد الناصر الرجل القوى فى الانقلاب العسكرى، وبين عبد الناصر الرجل القوى على ١٩٥٧هـ واسعة فى انحاء كثيرة من العالم مع نهاية عام ١٩٥٧ وبداية عام ١٩٥٧ «(٥٠)

ولقد تميزت معركة عبد الناصر ضد الاستعمار ليس فقط بإستمراريتها وإغا أيضا بشموليتها. فقد إتخذت بعداً عالمياً، وتبدى الأمر وكأن ناصر يلاحق كل أشكال الاستعمار في كل أنحاء العالم. ففي إفريقيا كانت المخابرات المصريه سنداً لحركات التحرر الوطني، وكان بيت أفريقيا في شارع احمد حشمت بالزمالك مركزاً لحركات التحرر الوطني الافريقية على إختلاف إتجاهاتها . وأصبح عبد الناصر زعيماً أفريقيا، وإمتدت الكاريزما الناصرية حتى أعمق أدغال أفريقيا، وحتى في امريكا اللاتينية وجدت بصمات ناصرية حاولت ملاحقة النفوذ في امريكا اللاتينية وجدت بصمات ناصرية حاولت ملاحقة النفوذ وأعماري هناك. . ولعل هذا قدمنح النفوذ الناصري عند أصدقائه وأعدائه على نطاق العالم بعداً خاصاً، وأهمية

٢٥-د. اسعد عبد الرحمن – الناصريه – البيروقراطية والثوره في تجريه البناء
 الداخلي . مؤسسة الابحاث العربية – بيروت – الطبعة الثانيه – (١٩٨١) ص٥٩.

خاصة. ومن الضرورى كذلك أن نشير إلى أن عبد الناصر لم يكن فقط زعيماً مناهضاً للاستعمار بشكل راديكالى وحاسم، لكنه كان من الذكاء بحيث أتقن فن الاستفادة من معركته هذه.. سواء علي الصعيد الدولى أو العربى أو المحلى أو حتى فى صراعاته مع خصومه المحليين.. فقد أتقن عبد الناصر فن إستخدام «الكاريزما» وتطويرها بعد أن تعرف علي مصدرها.. «لم يعد عبد الناصر مع نهاية عام ١٩٥٦ مجرد رجل قوى ضمن رجال الانقلاب إذ كان قد أصبح زعيماً كاريزماتياً قوياً وكان عملية صنع القرار بشكل عام، وعلى عملية صنع القرار بشكل خاص كذلك فإن عبد الناصر قد إستثمر دوماً مصدر قوته الجديد هذا، ووظفه فى خدمة تعزيز مكانته ، ليس فى مواجهة خصومه وأعدائه فحسب بل وفى علاقاته مع زملائه أيضا.. وهكذا لم يعد عبد الناصر الأول بين مستسساوين بل الأول دون مساوين». (٢٦)

. . لكن عبد الناصر لم يكن من ذلك النوع من السياسيين الذي يتخذ موقفاً أحادي الجانب تاركاً بقية الفرص. .

فغى الوقت الذى خاض فيه المعركة ضد الاستعمار، وكان من الضرورى - تبعا لذلك ان يطور علاقات إيجابيه مع الاتحاد السوفيتى والمسكر الاشتراكي- فقد ظل راغبا وحريصا بل وناجحاً في الابقاء

٢٦ - المرجع السابق - ص٦٩.

على «علاقه ما » مع أمريكا.. والغرب.

ولعله كان هو نفسه صاحب الايحاء الذي طالمًا تحدث عنه الكتاب الغربيون والقائل بأن أمريكا «كانت سعيدة به وراضية عنه ليس فقط لائه غير شيوعي والما لائه أفضل حاجز ضد الشيوعيه في الشرق الاوسط» (٧٧).

ويحاول الكتاب الغربيون التأكيد وبتفاصيل متعددة – قد يكون بعضها صحيحاً – على هذه المسألة، ولعل أبرز هؤلاء المعاولين أنتونى ناتنج الذى يؤكد أن ولعبه عبد الناصر هذه إلما كانت مستقاة من دروس هذا البهلوان الدبلوماسي البارع تيتو» بل ويؤكد وانه بينما كان الفنيون المصريون في تشيكوسلوفاكيا للتدريب علي السلاح الجديد، ظل عبد الناصر ممسكا بمسودة إتفاقيه التسليح مؤكداً للمحلق الجوى الامريكي انه لم يوقع عليها بعد، وانها قد تظل على مكتبه حتى يستنفذ كل أمل في الحصول من الغرب على الاسلحة ((18))

بل إن ناتينج يلمح إلى أن عبد الناصر قد تلاعب بتشكيل حكوماته

²⁷⁾ peter Mansfield - Nasser's Egypt - penjuin African Library (1969) -pp100

⁽٢٨) أنتوني ناتينج - المرجع السابق - ص١٥١، ص١٣٦.

كجزء من قواعد هذه اللعبه.. «وفى عام ١٩٦٥ أصبح النقص فى القمح خطيراً، ومع ذلك وعندما تولى زكريا محيى الدين الذى كانت واشنطن تعتبره موالياً لامريكا رئاسة الوزراة خلفا لعلى صبرى فى اكتوبر ١٩٦٥ طرأ تساهل واضح فى موقف أمريكا تجاه مصر، وفى ٣٠ نوفمبر وافقت الولايات المتحده على تزويد مصر بشحنة أخرى من القمح قيمتها ٢٠ مليون جنيه (٢٩)

لكننا نحذر من الشرك الذى يحاول كتاب الغرب أن يسوقوننا إليه. إنهم يستخدمون بعض الحقائق مثل سياسة العداء للشيوعيه،و مثل سياسة الامساك بأكثر من خيط فى وقت واحد وهى مسائل يمكن تفهم بواعثها الطبقية والسياسية والشخصية محاولين إضفاء مسحة غير ثابتة بل وغير اخلاقية على معركة العداء للاستعمار.

ان هذه الظواهر يمكن تفهمها والوعى بها بل وحتى توقعها فى إطار الفهم الطبقى لطبيعة الفئات الاجتماعية التى إنتمى إليها عبد الناصر وظل متمسكا بانتمائه إليها، ويمكن تفهمها أيضا فى إطار سياسة ذات طابع برجماتى.

يقول ببليايف وبرعاكوف وكانا متخصصان في قضايا الشرق الاوسط مع إنحياز للتجرية الناصرية و«تتصف الفئات الاجتماعية

(٢٩) المرجع السابق - ص٤٢٢.

الوسطى - أيا كانت - بالمدى الواسع للتردد .. وبديهى أنه من الصعب إيجاد مشال أشد وضوحا على ذلك أكشر من حياة ونضال عبد الناص ».

ثم إنهما يلاحظان باهتمام أن هؤلاء «الديقراطيين الثوريين أوكانت هذه تسميه إبتكرها السوفيت لتفسير ما عجزوا عن تفسيره حول التوجه الطبقى لناصر.. ناسين أن تجرية ناصر كان يمكن ووصفها بأى شئ إلا انها ديقراطيه الله يخرجون إلى المسرح السياسي في البلدان المتحررة في وقت يكون فيه للبروليتاريا وجودها في تلك البلدان، وهم يرون أحيانا في منظمات الطبقة العاملة منافسهم السياسي، وفي ذلك يظهر بالطبع حقيقة المنشأ الطبقي لهؤلاء القادة «(٢٠)

إن تفهم هذه الظواهر ومتابعة تعرجاتها بل وإنتقادها شئ... ومحاولة طمس معالم معركة من أزهى معارك الشعوب ضد الاستعمار شئ آخر. لقد خاض عبد الناصر معركة حاسمة ومتواصلة ضد الاستعمار والامبريالية. ولقد ألحق بالامبريالية القديمة والجديدة معا هزائم لا تنسى. ولقد شحن الجماهير العربية بشحنات من الرفض للامبريالية ومن الرفض لامبريالية ومن الرفض

ولم يغفر الامريكيون ولن يغفروا لعبد الناصر أنه صاحب ومنظم

۳۰ - د. ایغور بیلیاییف ۱۰.یفیجینی برغاکرف - مصر فی عهد عبد الناصر - ۱۹۷۵ - میروت - ۱۹۷۵ - میروت - ۱۹۷۵ - ص ۱۲۸۸.

وصانع واحدة من أعلى موجات العداء للامبريالية.. والتي لم تنحسر بعد.

وقبل أن ننتقل إلى المسار الآخر أعتقد أنه من المهم أن نتوقف أمام فقرة هامة من حديث لعبد الناصر في إجتماع له مع الرئيس بود جورني، ورئيس الاركان زاخاروف وقد عقد الاجتماع بالقاهره في ٢٢ يونيو ١٩٩٧ ألى في أعقاب الهزيم المؤلم].

.. «عبد الناصر: بشأن موضوع عدم الانحياز فأننا في الحقيقة نعتبر منحازين في الاصل.. ومن أجل ذلك تعرضنا للعدوان عام ١٩٥٦ ثم عام ١٩٦٧، كما سنتعرض لعدوان آخر طالما اننا نسسير في هذا الخط.

الامريكان يعرفون ذلك جيداً وكانوا عايزين نسير معهم، ولكننا رفضنا لاننا شفنا سياستهم مؤيده للاستعمار، إحنا عارفين ان الامريكان لن يتركونا، ولكن المهم بالنسبه لنا نشوف فين مصلحه بلدنا.

.. وبالنسبه للمستعقبل أنا شايف إن أعداءنا دائما حيكونوا الامريكان، وكذلك هم أعداؤكم أيضا، لذلك علينا أن ننظم التعاون بيننا لانه من غير المنطقى أن أكون محايداً بين اللى بينضربنا واللى

⁽٣١) من محاضر اجتماعات عبد الناصر العربية والدولية - إعداد عبد المجيد فريد - مؤسسة الابحاث العربية - بيروت - ١٩٧٩ - ص٢٩.

بیساعدنا »^(۲۱)

ويبقى للتساؤل العميق حقيقة ما يختبئ خلف أحرف هذه العبارة البالغة الاهمية، والبالغة الدلالة. فهل كانت تعبيراً عن إحساس عميق بالغضب من المساعدة الأمريكية لاسرائيل؟ أم كانت تعبيراً عن إمتنان للسوفييت؟ أم إحساس عميق بالهزيمة؟ أم.. هى محاولة لاستدراج السوفييت نحو مزيد من تأييدة؟ أى هى تعبير عن ذات البرجماتيد التي اعتادها عبد الناصر؟

* * *

• التطور الاجتماعي:

ثم يحتج الامر إلى تردد. فمنذ ما قبل ليله ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كان عبد الناصر قد حسم أمره متخذاً موقفاً واضحاً ضد الاقطاع (*) وربط بينه وبين الاستعمار، وأكد انه لا يمكن توجيه الضربة ضد الاستعمار دون أن يسبقها تصفيه عملائه في الداخل، وصددهم بشكل أساسى.. الاقطاء.

وفي السبتمبر ١٩٥٢ أصدر قانون الاصلاح الزراعي الاول [ولعله

^(*) لعله من الضرورى التحفظ على كلمه إقطاع حيث لم تشهد مصر ذات النمط من الاقطاع الاوربى، ولعله قد يكون من الاوقق إستخدام تعبير كبار الملاك المقاريين .لكن كلمه وإقطاع، تم تدوالها بمدلول سياسى.. وليس أمامنا سوى إيرادها كما هى أى كما إستخدمت فى الأدبيات المصريه مع التأكيد على تحفظنا إزاء إستخدامها.

من الملفت للنظر أن عبد الناصر كان يارس وحتى فى أيامه الاولى سياسة التوازنات فلم يكن مصادفة أن يعدم خميس والبقرى يوم ٧ سبتمبر، ويصدر قانون الاصلاح الزراعى يوم ٩ من ذات الشهر] ومع الاصلاح الزراعى تصور عبد الناصر أن بامكانه أن يستند إلى «البرجوازية» التى تصور «نظرياً» أنها وبالقطع ضد الاقطاع، وإنها سوف تنهض بعملية التنمية إستجابة لنداءاته ومساندة له فى موقفه ضد خصمها المفترس «الاقطاع».

لكن عبد الناصر كان يعتمد في ذلك على رؤية مجردة لا تستند إلى دراسة متأنية لتاريخ نشأة الراسمالية المصرية على وجه التحديد..

ولسنا مؤهلين في بحث مختصر كهذا أن نخوض تفاصيل هذه القصة البالغة التعقيد، والبالغة الاهمية أيضا، والتي بدون فهمها فهما متأنياً يسود الارتباك وتختلط الاوراق عند محاوله تقديم أي تفسير للتطورات المتلاحقه في العلاقة بين الرأسمالية وكبار الملاك العقاريين والعلاقه بين ثوة يوليو والرأسمالية.

لكننا سنقدم ملاحظات عاجلة للغاية...

* لم تشهد مصر ذات التطور الذي طرأ على الحرف والحرفيين في أوربا. بل على العكس ومنذ منتصف القرن الثامن عشر توافدت الى مصر أفواج من الصناع والحرفيين الاوربيين لتقوم بعمليه تطسوير الانتاج الحرفي وسد إحتياجات الاجانب والعناصر المتأجنبه والاثرباء

المصريين او الذين من أصول تركية (الذين كرسوا جزا كبيراً من ثرواتهم للعيش بنمط أوربى أو متفرنج) (٢٢) كما إنتشرت سلسلة من المتاجر الاوربية النمط التى إستوردت كل متطلبات الرخاء والتمدن التى تطلع إليها أثرياء المصريين. بينما إنزوى الحرفيون القدامى أو بالدقه المصريون بحرفهم وأدواتهم البدائية فى الاحياء الشعبية لسد إحتياجات سكانها وهى بالطبع إحتياجات بدائية، ومحدودة وغير متعجله لعمليه التطوير. ومن البديهى أن من يقتصر إنتاجه على سد الحاجات البدائية للفقراء ... سبقى فقيراً وعاجزاً عن التطور. (٣٣)

* وحتى فى التبجارة إنقسمت السوق. حيث تركزت فى قلب العاصمة سلسلة المتاجر الاجنبية التى لم تزل أسماؤها لامعه منذ منتصف القرن الثامن عشر وحتى الآن ، بينما إنزوى التجار المصريون... العطارون والعقادون والحرابرية.. الخ في الاحباء الشعبية الفقيرة يلبون إحتياجات سوق الفقراء المصدود بطبيعته. وكان ميدان العتبة هم الحيد الفاصل، بن سوق الفقراء (الموسكي ومايليه) وسوق

⁽۳۲) لمزید من التفاصیل حول هذه الملاحظة راجع: محمد المویلحی – حدیث عیسی بن هشام ~ مکتبه الاسرة – القاهرة. [۲۰۰۱]

⁽٣٣) لزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع راجع.

P.M. Holt - political and social change in modern Egypt. oxford University press - 1969 -p 142

⁻ د. رفعت السعيد – تاريخ الحركه الاشتراكيه المصريه ١٩٠٠ – ١٩٢٥.

الاغنياء حيث المتاجر الاجنبية السليم وسمعان صيدناوى الذى بنى علي غط المتجر الفرنسى الشهير لافييت، وهانو وداود عدس وريفولى.. الخ و كانوا جميعا أجانب. وتمترس التجار والسكان الاجانب فى مركز المدينة حتى ان محمد التابعى كتب متهكما مطالبا الحكومة بافتتاح سفارة مصرية فى حى وسط البلد).

* كان الفهم الاسلامى المتشدد يرفض حتى مطلع القرن العشرين فكرة المصارف – الفوائد – التأمين .. ويعتبرها ربأ محرماً، وهو الأمر الذى وضع الامام محمد عبده حداً له بفتوى شهيرة أباحته. وبديهى أن أى نظام رأسمالى يستحيل عاجزاً عن أى نمو بدون نظام مصرفى وتأمينى فاعل ونشط.

* كان إزدهار الزراعه الناجم عن تحسين شبكات الرى والصرف وهى المهمة التى تابعها كرومر بنجاح باهر قد أدى إلى زيادة الريع الناجم عن عملية الاستغلال الزراعى.. بما حفز تراكمات أموال التجار وغيرهم إلى التوجه نحو إقستناء الارض التى كانت بذاتها مصدراً للمهابة الاجتماعية (٢٤)

* كانت البورصة هي مجال التعامل في المحصول الزراعي الرئيسي وهو القطن . ثما دفع كسارالملاك إلى المضاربة بأقطانهم في السورصة مقلدين بذلك المضاربين الرأسماليين الاوربيين ومستخدمين نفس

٣٤ - لمزيد من التفاصيل راجع: د. رفعت السعيد - تاريخ الحركه الاشتراكييه المصريه ١٩٢٠ -١٩٢٥

أساليبهم. ينتجون المحصول ككبار ملاك عقاريين ويبعيونه في البورصة التي هي شكل راق للتداول الرأسمالي.

 پ كانت هناك نهضة تجارية وصناعية لكنها كانت في أغلبها - في أيدى الاجانب..

فغى الفترة من ١٩٠٠ وحتى ١٩٠٧ أنشئت ١٩٠ شركه برأسمال قدره ٤٣ مليسون جنيسه. ثم تزايسد رأس المال المستمشم إلى ...ر١٥٥ / ١٩٠٠ جنيه. وكان ٩٢٪ منها رأسسمال أجنبى و٨٪ فقط محلى (نلاحظ أن كلمه محلي لاتعنى مصري واغا قد تعسنى – وهذا هوالاغلب – عناصر من المتمصرين أو الشوام أو الذين بلا جنسيه والذين توافدوا على مصر وأقاموا فيسها بحرية لائهم كانوا رعية عثمانية).

* وحتى أعوام ١٩٣٤ - ١٩٣٦ كان نصيب الرأسماليين المصريين في الشركات القائمة ٤٧٪ ونصيب الاجانب ٥٣٪.

* كان ٩٨٪ من المشتغلين في البورصه من الاجانب. (٢٥)

وهكذا فان الرأسماليه المصريه التى تبلور انبعاثها الحقيقى بانشاء لجنه التجاره والصناعه المصريه عام ١٩١٧، ثم مع إنشاء بنك مصر فيما بعد.. لم تنشأ فحى تناقض مع كبار الملاك العقاريين وإنما نشأت من

٣٥ - لزيد من التفاصيل راجع المرجعين السابقين: HOlt ، د. رفعت السعيد.

رحمهم. . كما انها قد غت علي وسادة أجنبية.

ولابد أن ذلك كله قد أثر على مواقفها، ولاشك انه هو الذي يفسر لنا الكثير من التعقيدات في التركيبة الاجتماعية وفي المواقف السياسية لاحزاب كحزب الوفد والاحرار الدستوريين والسعديين ولمواقف الرأسمالية المصرية من كبار الملاك ولمواقفها من الاستعمار والاجانب.

ولابد أن ذلك كله قد غاب عن ذهن عبد الناصر إذ تصور فى المبتمبر ١٩٥٢ أن توجيه ضربة «للاقطاع» سوف يفرز بذاته المزيد من الحماس الرأسمالي.. ولم يدرك عبد الناصر إلا متأخرا أن السبتمبر قد باعد بينه وين الرأسماليين، الأمر الذى وضع الاساس لعلمية التأميم فى عام ١٩٦١ (*)

وعلى أيه حال .. لقد وجه عبد الناصر الضربه الاولى «للاقطاع» ثم مضى في معركته ضد الاستعمار تلك المعركة التي قادته إلى «التمصير» أي توجيه الضربة إلى الرأسمالية الاجنبية.. ثم كانت التأميمات في 1971.

لقد أحدث عبد الناصر ما هو أكثر من مجرد إجراءات إجتماعية.

^(*) قد يبدو مثيراً للدهشة إجراء مقارنة بين قوائم أسماء الذين خضعوا لقائون الاصلاح الزراعى الاول (١٩٥٢) والذين خضعوا لقائون تأميم المؤسسات الصناعية والرأسمالية (١٩٦٨) فالأسماء واحدة تقريبا.. فذات الاسر تقريبا كانت تمتلك أنشطة وأملاكا في المجالين والامثلة كثيرة؛ أحمد عبود باشا كان رأسمالياً إحتكارياً وكان مالكاً لأكثر من أربعة آلاف فنان، وأسرتي البدراوى عاشور وسراج الدين كانتا تمتلكان عشرات الآلاف من الافدنه وأسهمتا في تأسيس أحد البنوك.

وإنما أدخل متغيراً على البنيه الاجتماعية المصرية.. ولقد تبدو الأرقام ذات دلاله أكبر من الكلمات:

المتغيرات في بنيه الملكية الزراعية بين عامي ١٩٥٧ و ٢٦١) (٣٦)

	1907			1970		
	ظالكون بالالف	الساحة الضطنان	التسية طدان لكل مالك	المُالكُون بالالف	الساحة القافلان	النسبه خدان لکل مالک
اقل من خمسه افلانه	73727	75177	Net	٣٠.٣٢	7,797	۲ر۱
ة اقدائه إلى أقل من	٧٦.	170	۲٫۲	٧٨	318	٧,٧
۱۰ افدنه ۱۰ افدنه إلى أقل من	ŧ٧	7.47	۲ر۱۲	٤١	044	۸۲۶۸
۲۰ قدان ۲۰ قدان إلى أقل من	44	10£	۷۹٫۷	**	٧١٥	۱ر۲۸
، 6 قدان ، 6 قدان إلى أقل من	٦	٤٣٠	٥ر٧١	٦	747	۳ره۳
۱۰۰ فدان ۱۰۰ فدان إلى أقل من	٣	٤٣٧	۷ر۵۶۳	٤	173	-ر۱۰۰
۲۰۰ قدان						

وأرقام أخرى في مجال آخر ..

مقارنة بين العمالة ومتوسط الدخل بين عام ١٩٥٢ - وعام ٦٦ - ١٩٦٧ (٣٧)

لدخل السنوى	متوسط الدخل السنوى		تصيبها من قرة العمل		القرى العاملة (بالألف)	
1974-77	1907	1974- 77	1907	1977-77	1907	
.63(6V6) ⁽ #)	A۸	۵۹ر. ۸۰ر۲	4 کر - ۳٫۵ -	A- 0\Y	77 Yo.	لــوظفون همـــــا

⁽٣٦) ، (٣٧) – ٢٣ يوليو خمسه ابعاد – المرجع السابق – ص٤٥

^(*) ما بين قوسين يتضمن الدخل مضافا إليه نصيب العاملين في الارباح والتأمينات الاجتماعيه.

واذا كانت الارقام واضحة الدلالة فان كم الاجراءات التي كفلت المزيد من الحقوق للعاملين والتي عززت من موقعهم في عملية الانتباج هي أيضا معلومة ولا تحتاج إلى حصر..

فقط نود أن نستطرد إلى ملاحظة هامه – وان بدت هامشية – فالكثيرون يرددون أن عبد الناصر كان يعطى.. ويعطى للعمال دون أن يطلب منه أحد ذلك، لكننا نطالع الفقرة التاليه في بحث أعده واحد نمن واكبوا حركة العمال في الحقبة الناصرية مواكبة لصيقة. «وليس صحيحا ما يرديه البعض من أن العمال قد منحوا المزايا التي كفلتها هذه القوانين (قوانين يوليو ١٩٦١) بدون أن يكونوا قد طالبوا بها فبالرجوع إلى قرارات المؤقرات النقابية السنوية لعمال النسبج والبترول نجد أن العمال قد طالبوا بها المناركة في الادارة

* * *

لكن البعض يحلو له أن يتذكر أو يقول بالنتائج العامة جداً للتجربة ناسياً أن التفاصيل تمثل في أحيان كثيرة ملامح قد تغير من الصورة الاصلية.

فالميثاق مثلاً ينص على أن يكفل للعمال والفلاحين الحق «في نصف مقاعد التنظيميات الشعبيه والسياسية على جميع مستوياتها، بما فيها المجلس النيابي بإعتبارهم أغلبية الشعب» (٢٩١)

⁽٣٨) عبد المغنى سعيد - الحركه النقابيه، جذور النضال وأبعاد المستقبل - ص ٨٠

ولم يحدث ذلك أبدأ حتى فى أزهى العصور الناصريه، وفى أقصى إطلاق الشعارات إلي مداها الاقصى

ونقدم أمثله من بين حالات عديدة أخرى:

فاللجنة المركزية التى أسفرت عنها انتخابات الاتحاد الاشتراكى عقب صعود الشعارات إلى مداها فى أعقاب بيان ٣٠ مارس كانت مكونة من ١٥٠ عضواً، « ٢١ من امناء المحافظات جميعهم من غير العمال والفلاجين]، ٢٤ وزيراً، وزيرين سابقين، ٧ أعضاء مجلس أمه، ٣ من كبار الموظفين، ٣ محامين، ٧ من رجال البحث العلمى، ٣ رؤساء مجلس إدارة لنقابه مهنيه، ٥ أدارة، ٢ صحفى، ٢ مدرس، ٢ عضو مجلس إدارة لنقابه مهنيه، ٥ مدرين بالاصلاح الزراعى» وبالتدقيق نكتشف أن نسبه العمال والفلاحين قليلة جداً. رغم أن الكثيرين كانوا يتشحون بصفة العمال والفلاحين دون أن يستحقوها، وأذا ما تأملنا أسماء ومهن ممثلى «العمال والفلاحين ون أن يستحقوها، وأذا ما تأملنا أسماء ومهن ممثلى «العمال والفلاحين ون أن يستحقوها، وأذا ما تأملنا أسماء ومهن المبلى المحتف المركزيه السابق الحديث عنها نجد منهم «وزير سابق، لواء سابق بالجيش، ٤ رؤساء مجالس إداره شركات، ٢٥ من مديرى وأساتذة الجامعات، أستاذ أقسام ووكلاء إدارات، ورؤساء حمسابات، ٢ صحفى ، مخرج إذاعى، مأذون، جزار » (١٠)

كل ذلك جاء في أعقاب خطاب عاضب لعبد الناصر قال فيه «أنا

⁽٣٩) الميثاق - ص23:

٤٠ - د. رفعت السعيد - كتابات عن الطبقة الرسطى المصريه - مجلة الطريق
 (لبنان) عدد ٤ (١٩٧٢) ص٤٨

بأقول إذا أردنا لنسبه الخمسين في الميه المكفوله بالميشاق للعمال والفلاحين أن تؤدى دورها في تحقيق التوازن بين قوى الشعب العاملة، ودفع التطور، فإنه لابد من مقياس جديد يكفل ذلك أكثر، فالتعريف الماضى سمح للكثيرين من كبار الزراع والملاك والرأسمالية الوطنيه والموظفين ان يدخلوا عن العمال والفلاحين. وأنا بحثت وفكرت ووصلت الى شرة مبدئي ((13)).

ويعد ١٥ يوما من التفكير قرر عبد الناصر تشكيل لجنة أسميت «لجنة الخمسين» أنبط بها وضع تعريف دقيق لمن هو العامل والفلاح (١٦ مايو ١٩٦٨). لكن تشكيل هذه اللجنه كان ينبئ عن نتائجها «١٢ من حملة الدكتواره، ٥ وزراء سابقين [ليس فيهم عمال]، ٥ من رؤساء النقابات المهنيه، ١٧ عضواً في النقابات المهنيه غير العماليه، طالب» (٢٣) ويقليل من معرفه الحساب يمكن معرفة نسبة العمال والفلاحين فيها.. وكانت طبيعيا أن تكون نتيجة التعريف الذي وضعته هو المؤتم واللجنة المركزية الملذين تحدثنا عن تكوينهما فيما سبق.أما اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي فلم يحدث أن إنضم إليها عامل واحد بأي تعريف كان، وفي إنتخابات هذه اللجنه عام ١٩٦٨ عامر رئيس الاتهد فهيم فرشح نفسه. وصدرت تعليمات حاسمة

٤١ - جمال عبد الناصر - خطاب في عيد العمال بكفر الدوار - مايو ١٩٦٨

 ^{4 2-} R. Herir Dekmejian - Egypt Under Nasser - University of londan press - 1972. p.272

باسقاطه، وسقط.

* * *

.. وعلى ايه حال وبرغم كل السلبيات فان أحداً لا يجادل في أهمية وكم وفعالية هذه الاجراءات الاجتماعية التي لم تزل وحتى الآن تلعب دورا فساعىلا - وبرغم كل التراجعات - في المحتوى الاجتماعي والسياسي والنضائي في مصر.

لكننا نود أن نشير إلى أن هذه الاجراءات الاجتماعية قد أثمرت -ولعل من أهم ثمارها - عملية تخليق فئات إجتماعيه جديدة.

- * عمال القطاع العام.
- * فلاحو الاصلاح الزراعي.

ثم ومع إرتفاع مستوى معيشة هاتين الفئتين، ومع مجانيه التعليم
 الجامعى أفرزت هاتان الفئتان فئة ثالثة لعبت ولم تزل تلعب دورا
 هاماً.. وهي المثقفين من أبناء الفئتين السابقتين.

إن هذه الفشات الشلاث لعبت دوراً إجتماعياً وسياسياً هاماً ولعل عوامل الارتداد الحاليه تستهدف فيما تستهدف التصفية النهائية أو شبه النهائية لهذه الفنات الثلاث.

* * *

ثم فأتى إلى القضية التى أثارت أكبر قد من الجدل .. ولم تزل . وهم تزل . وهم تزل . وهم تزل .

ولنتحدث عن ثلاثة مواقع أساسية: التشريع والحريات العامه -البيروقراطيه - المؤسسه السياسية.

التشريع والحريات العامة:

فيما قبل ١٩٥٢ أكد الضباط الاحرار إلتزامهم بالديقراطية .. وبالدستور واذ نتصفح منشورات الضباط الاحرار - يكننا ان نكتشف عبارات مثل:

«أيها الضباط .. إن حربتكم رهينة بحرية الشعب، فكافحوا من اجل الحريه في كل مكان»..

ويختتم المنشور «تسقط الاحكام العرفية» (٤٢١).

ومنشور آخر «منذ اكثر من شهرين تسود مصر موجة من الارهاب شملت كل شئ ، فالحرية الشخصية قد إنعدمت ، والصحافة الحرة قبد صودرت، والمعتقلات قد فتحت أبوابها لتضم خيرة المناضلين الوطنيين من كل هيئة ولون» (٤٤).

أما البيان الاول للثورة فقد أعلن واننا ننشد.. رفع لواء الدستور» وفى اليوم التالى لقيام القورة فقد أعلن قادتها فى بيان صدر باسم القيادة العامه وتعلن القيادة للقوات المسلحة أن حركة الجيش التى بدأها وأعلنها حرباً على الفساد ، لابد ان تحقق هذا الغرض. وتعد الشعب

٣٤ - منشور صادر في ٢٧ مارس ١٩٥٧ عن تنظيم الضباط الاحرار ومحفوظ في أرشيف الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني حدتور. وهي المنظمة التي كانت تتولى طبع منشورات الضباط الاحرار لفترة من الوقت [الارشيف محفوظ في معهد الدراسات الاجتماعية - أمستردام].

٤٤ – للمزيد من نصوص منشورات الضباط الاحرار، راجع :د. راشد البراوی حقیقة الانقلاب الأخیر فی مصر – مکتبة النهضة – القاهرة – (۱۹۵۲) – ص ۱۹۹۸ ، مایعدها.

وعداً صريحاً قاطعاً أنه لن يقف عائق في سبيل تحقيق حياة دستورية سليمة. ولقد تم الاتفاق مع رئيس الحكومة على أن تجرى الانتخابات في شهر فبراير المقبل»

کان هذا يوم ۲۶ يوليو ۱۹۵۲

وفي «فلسفة الثوره» كتب عبد الناصر يقول: «لو حاولت محاوله تلميذ مبتدئ، في دراسة قصة كفاح شعبنا فإنني« سوف أقول مثلا ان ثوره ٢٣ يوليو هي تحقيق للأمل الذي راود شعب مصر منذ بدأ في العصر الحديث يفكر في أن يكون حكمه بأيدي أبنائه» (150 ولعله كان يقصد.. «أن يكون حكمه بأيدي ابن واحد من ابنائه»

ودون التوقف طويلا أما تفاصيل معروفة.. نرصد سلسلة من التواريخ.

* فی ۱۰ دیسمبر ۱۹۵۲ صدر قرار یقول:

«أعلن باسم الشعب سقوط ذلك الدستور، وانه ليسعدنى أن أعلن فى نفس الوقت إلى بنى وطنى إن الحكومـه آخذه فى تأليف لجنه تضع مشروع دستور جديد يقره الشعب».

(فقط نرد أن نلاحظ أن أول إجراء يمس البنيه التشريعيه كان إسقاط الدستور بينما أعلان الجمهوريه مثلا تأخر حتى ١٨ يونيو ١٩٥٣).

* وفي ١٦ يناير ١٩٥٣

أصدر مجلس قياده الثوره قراراً بحل جميع الاحزاب السياسيه (ماعدا الاخوان المسلمين) وصادر أموالها وأعلن مرحلة انتقالية مدتها

^{20 -} جمال عبد الناصي. فلسفة الثورة - ص.٨

ثلاث سنوات.

* وفي ٢٣ يناير ١٩٥٣:

إعلان عن قيام حزب وحيد هو هيئة التحرير شعاره «الاتحاد ،النظام ، العمار»

* وفى ١٠ فبراير ١٩٥٣:

صدر اعلان دستورى ينص: يتولي مجلس قيادة الثوره أعمال السيادة العليا، ويتولى مجلس الوزراء السلطة التشريعية(1) ويتولي السلطة التنفيذية مجلس الوزراء والوزراء كل فيما يخصه».

ولستا نريد ان نتحدث عن ذلك طويلا.. فقط نشير إلى ان السلطة قد تم إستجماعها في قبضة واحدة، وان وعود الدستور والبرلمان قد تأجلت. وتجدر الاشاره – أيضا – ان لجنة الدستورالتي يبدو انها صدقت ما هو موكول لها قد إنهمكت طوال ثلاث سنوات في إعداد مشروع الدستور المطلوب، وقدمته فعلا إلى مجلس الوزراء في ١٧ يناير ٥٥٩، ولكن قيادة الثورة قد رفضت مبدأ مناقشته بحجة «انه نيابي أكثر عما يجب» (٤٦)

ولعل من حقنا ان نتوقف لنسأل أنفسنا.. كم هو حجم السلطة الذي إستحوذ عليه عبد الناصر شخصياً بفضل هذه الترتيبات.

يرتاح البعض الى إختصار الامر كله بكلمه واحدة «كل شئ».. لكنني

٤٦ - لزيد من التفاصيل راجع: د. عصمت سيف الدوله - هل كان عبد الناصر دكتاتورا؟ - دار المسيره، بيروت - ديسمبر ١٩٧٧.

حاولت جهدى أن أعثر على شئ مكتوب حتى وجلت وثيقة تحدد إختصاصات المشير عبد الحكيم عامر بصفته مشرفاً على الاقليم الشمالي (سوريا) في دولة الوحدة.

لنتأمل حجم السلطة المنوحة للمشير دون أن ننسى المساف بين عبد الناصر.. وين غيره عبد عبد الناصر.. وين غيره من قادة يوليو. فقى ١١ - ١٠ - ١٩٥٩ أصدر عبد الناصر قراراً بندب المشير عبد الحكيم عامر للقيام بالاشراف على شئون الاقليم الشمالي نيابة عن الرئيس.. وتحددت مهامه كما يلي:

١ - يتولى الاشراف على تنفيذ السياسة العامة.

 ٢ - يتمولى تنظيم وإداره الحكم والاشراف على كل ما يتمعلق بتنظيم المصالح والادارات والهيئات والمؤسسات العامه..

٣ - يشرف على تنظيم الاتحاد القومي في الاقليم السوري.

وله في سبيل ذلك:

 أ - ان يصدر القرارات والأوامر التي تدخل في إختصاص رئيس الحمد، بة.

ب - ان يعتمد برامج المشروعات اللازمة ومتابعه تنفيذها.

 ج - ان ينظر في توصيحات [نلاحظ أنهها منجرد توصيحات] المجلس التنفيذي وفي مشروعات القوانين وان يعرضها على رئيس الجمهورية. (٤٧)

هذا الحجم من السلطه إنعكس أيضا على الهيكل البيروقراطي في

٤٧ - لزيد من التفاصيل والوثائق راجع كلامن:

⁻ محمد عبد المولى [وهر اسم سرى إتضع مؤخرا أن صاحبه هو أحمد صادق سعد} الانهيار الكبير - دار المسيره - بيروت - ١٩٧٧

⁻ محمد حسنين هيكل - ، ما ألذي جرى في سوريا - ألدار القرميه - القاهرة - ١٩٩٢.

الحكم، وعلى أسلوب إتخاذ القرار، وعلى وحدانية إتخاذ القرار.. وقد حرص عبد الناصر على ان يحكم قبضته على الجهاز الحاكم بكل روافده مبرراً ذلك بقوله : انه بدون ذلك ما كان يمكن تخطى مؤامرات ومناورات الرجعية. بينما يرد البعض – ومنهم الشيوعيون – على ذلك بأن إسناد دور أكثر فعالية للجماهير في حراسة منجزات الناصرية، وفي الرقابة على أجهزة الحكم، كان كفيلا بتحقيق ديمقراطية الاداة وفعاليتها معا، بل وتطورها أيضا بالاتجاه الصحيح.

* البيروقراطية:

وتتسم بيروقراطية عبد الناصر بتمركزها ومركزيتها وأيضا بجوجة «العسكرة» التي إجتاحتها. فلقد حرص عبد الناصر علي أن يضرب عصفورين كبيرين وثمينين بحجر واحد.. أن يتخلص من كل رفاق السلاح القدامي، وكل الضباط الاحرار، وان يبعدهم خارج المؤسسة العسكرية ليمنع أيه أحتمالات لوجود فعل، أو ردود فعل سياسية داخل الجيش .. وأن يستخدمهم في ذات الوقت في عملية للسيطرة على مجمل جهاز الحكم والادارة والانتاج..

ان الاحصاءات حول عملية «العسكرة» عديدة لكننا نكتفى بأن نقدم بعض ملامحها:

- نواب رئيس الجمهورية من ١٩٥٣ - ١٩٧٠ كانوا ثمانيه . جميعا عسكرين.

- رؤساء الوزرات من ۱۹۵۶ - ۱۹۷۰ كانوا أربعة . جميعا عسكرين.

- نواب رئيس الوزراء من ١٩٦٤ - ١٩٧٠ كسانوا ١٧ - منهم

عشره عسكريين.

- وزراء الداخلية من ١٩٥٣ ١٩٧١ كانوا ٥ . أربعه ضباط جيش سابقين والخامس ضابط بوليس.
- وزراء الشقاف والارشاد من ۱۹۵۳ ۱۹۷۱ كانوا ٦ . منهم خمسه عسكريين.
- المحافظون الذين عينوا عند قيام الحكم المحلى في ١٩٦٠ كانوا ٢١ محافظا منهم ١٠ ضباط جيش - ٨ ضباط بوليس - ٣ مدنيين.
- كذلك فقد حدث تغيير شامل في هيكل وزاره الخارجيه يوضحه الجدول التالي:

نسية العسكريين إلى اجمالي عدد السفراء (٤٨)

السنه
. 1977-71
1978-78
1978-78
38-0881
1977 - 70

^{48 -} R.DEKMEJIAN - IBID - P.273

وثمة إحصاء هام آخر.. فقد تولى الوزارة خلال الفترة الممتدة - من وزارة محمد نجيب الاولى [٧سبتمبر ١٩٥٤] وحتى التعديل الوزارى الذى أجراه عبد الناصر [٢٨ ٢٨] ١٣١ وزيراً كانت نسبة العسكرين منهم ٣٣٦٣/

أما مدة الاستمرار في الوزارة فكانت ٥٩٥٥ شهراً للعسكريين و٣٧ شهراً للمدنيين.

لكن المهم هو مؤشر تزايد نسبه العسكرين في التركيب الوزارى: **دُسبِه العسكريين في التركيب الوزاري(٤**9)

التسبية المتوية لهم	التاريخ
%۲7 _. ۳	يونيو٣٥٩٥
۹ر ۶۰٪	اکتوبر ۱۹۵۳
٨ر٥٤٪	ابریل ۱۹۵۶
۱ر۲۵٪	سيتمير ١٩٥٤
٤ر ٦٥٪	يونيو١٩٦٧

٤٩ - لزيد من التفاصيل راجع: د. رفعت السعيد - تأملات في الناصرية،
 [دار المدى - دمشق - الطبعة الرابعة

وايضا: د. أسعد عبد الرحمن - المرجع السابق - ص٧٤ وما بعدها

وليس لدينا أى تحيز خاص ضد عملية العسكرة، فالعسكريون هم أبناء مؤسسة قومية ذات مكانة رفيعة، وهم ذوى مسلك منتظم ومنظم، وذوى مقدرة إدارية راقية، لكن ذلك كله أتى فى ظل شعار موجع جداً لكل مدنى هو تفضيل «أهل الثقة» على «أهل الخبرة». ثم انه لم يكن منطقياً أن يتسولى عسكرى وزارة التعليم ورئاسة المجلس الأعلى للجامعات أو وزاره الاصلاح الزراعى .. الخ

ولعل كلاماً كثيراً يكن أن يقال .. لكن عبدارة ساخرة واحدة أطلقها كاتب ومثقف عينى مرموق هر عبداس العقاد تلخص في إعتقادنا كل شئ. «عندما قرأ الاستاذ العقاد ان السيد كمال الدين حسين (عسكرى سابق) قد أصبح رئيسا للجنة الطاقة الذرية ضمن وظائف أخرى كثيرة قال « . . إن الله لن يحاسبنى على ما أفعل، إذ كيف يحاسبنى وقد خلقنى في عصر كمال الدين حسن» (٥٠)

لكن عملية العسكرة هذه ما لبثت أن إرتدت سلبياً حتى على عبد الناصر نفسه، وعلى قدراته على التحكم في الجهاز الحاكم..

يقول أحد أكثر المدافعين عن عبد الناصر حماساً (د. عصمت سيف الدوله) «المؤسسه العسكرية تصاعدت سلطتها بعد عام ١٩٥٥ وأصبحت دوله فوق الدوله، وإمتصت قياداتها مدداً لا بأس به من الدخل القدومي، فأصبح القادة العسكريون من بين قمم الاثرياء، والمترفين،

٥٠ - أنيس منصور - في صالون العقاد - دار الشروق - القاهرة -١٩٨٤ ص٣٤

والوسطاء في الصفقات المدنيه والعسكرية ففسدوا هم أولا وأفسدوا الحياة ثانيا (١٥٥)

ويقول عبد الله جزيلان نائب رئيس وزراء اليمن (خلال حرب اليمن)..

«عكست التجربة في اليمن حقيقه الشلل المتصارعة داخل النظام
السياسي المصرى.. كان بإمكان المرء ان يميز جهتين رئسيتين جماعة
ناصر وجماعة عامر، ولأن اليمن كانت ساحة قتال عسكرى، كان أمرأ
طبيعيا أن تكون جماعة عامر في تلك الساحة أقرى وقد إعتدت أن
أحضر الى القاهرة وأجتمع إلى عبد الناصر وأحصل على موافقته على
بعض السائل، الا أننى عند عودتي لليمن ما كنت أجد يدا واحدة

مستعدة لتقديم المساعدة .. ومع مرور الوقت تعلمت أن علي المرء أن يقابل علم المرء أن يقابل علم ويقنعه عا يريد. فقد كان بيد المؤسسة العسكرية سلطه

وهكذا يتحقق القول العربي «انقلب السحر على الساحر» فعملية الاستقواء بالعسكر .. إنقلبت إلى منافسة خطرة أضعفت النظام وأربكت خطاء وقادته إلى هزيمة ١٩٦٧ ثم ما بعدها.. بل وفي أحيان كثيرة تهددت مهابة عبد الناصر نفسه وأجيرته على التراجع أمامها.

العقد والحل (٢٥)

⁽٥١) د. عصمت سيف الدوله - المرجع السابق - ص٢٥٣.

⁽٥٢) د. اسعد عبد الرحمن - المرجع السابق - مناقشه مع عبد الله جزيلان في ١٠ / ٩/ ١٩٧٢ ص١٢٧٠

المؤسسه السياسية

كانت قضية العمل السياسي واضحة تماما في ذهن عبد الناصر بقدر ما كانت مفرطة الحساسية.

ففى خصم صراعاته المتعددة الجوانب كان المحور الاساسى عنده ليس الاتفاق على جوهر التوجه العام.. والتوجه العام كان متحصراً فى مسألتين النضال ضد الاستعمار، والسعى نحو التوجه الاجتماعى.

.. لكن الاتفاق علي التوجه العام ومساندته لم يكن بالامر الهام عند عبد الناصر. فلقد ساند الشيوعيون - في أغلبهم - الجوهر والتوجه العام لسياسته واختلفوا معه في موضوع الديقراطية وتعددية الاحزاب السياسيه. ولهذا - وبرغم الاتفاق حول التوجه العام - حاربهم عبد الناصر حرباً ضاربة.

ويدت الصوره مرتبكه.. نظام يحارب الاستعمار ويتجد إجتماعياً نحو اليسار .. وفي نفس الوقت يوجه ضريات أكثر من عنيفه ضد اليسار بينما يبدي تسامحاً غير مبرر إزاء اليمين وخاصة في ميدان العمل السياسي.

ربا لان اليمين إتخذ خطة المالأة المستندة إلى القبول بأى شئ مع العمل الدؤوب على إفساده من الداخل.. وربا لان اليمين لم يهتم بالمبدأ ولا بفكرة التعددية والديقراطية، وإنما إهتم وفقط بمصلحته الذاتية وبوضعه هو في إطار السلطة، خادماً لها ومستفيداً منها، فقد تقبل ودون معارضة فكره الحزب الواحد، وتداخل في صغوفه القاعدية

والرسطى مانحاً لنفسه فرصاً للاستفاده والتربح، والصعود في السلم الناصرى، متغنياً بشعارات بسارية لا يؤمن، بحرف واحد فيها فرضى منه عبد الناصر بذلك وأرضاه بما طمح إليه من صعود وكسب شخصى...

والحقيقة أن فكرة التنظيم الواحد قد قادت بذاتها إلى حاله من تغييب الفارق بين الاصدقاء والاعداء..

ولقد تملك وهم الحزب الواحد وضرورته بل وحتميته رجال عبد الناص الى درجة محاوله القول بأنه ضرورة تاريخية مصرية.. كانت كذلك.. وستظل. ووصل الأمر إلى حد محاوله لوى عنق التاريخ للبرهنة على ما لا يمكن إيجاد برهان جدى له.. وللقول بأن مصر قد رفضت دوماً التعددية الحزبية، وأن كفاح مصر والمصريين لم يكن إلامن خلال تنظيم واحد ووحيد. وفي كتيب بعنوان «نظرة تاريخية إلى تطور التنظيم السياسي في الجمهورية العربية المتحدة بعد ثورة عام ١٩٥٧» نقرأ عبارات غاية في الخطأ.. «ومن هنا يمكن القول بأنه إستناداً إلى الظروف التاريخية لمجتمعنا فإن الحزب الواحد كان التعبير الطبيعي الذي يجسد وحدة الجماهير ووحدة آمالها وأهدافها، وأن تعدد الاحزاب ليس إلا إنعكاساً للاتقسام بين المصالح الطبقية، ولذلك فإن التنظيم السياسي الواحد هو في الحقيقة عودة إلى الوضع الطبيعي الذي يعكس المسامي الواحد هو في الحقيقة عودة إلى الوضع الطبيعي الذي يعكس الطبقات المستخله المتحالفة» أما الجماهير التي سعت نحو تعددية حزبية وحدة القوي الوطنية ووحدة إتجاهها في طريق التطور، بعد أن سقطت الطبقات المستخله المتحالفة» أما الجماهير التي سعت نحو تعددية حزبية

فهى مخطئة بل هى «لم تستطيع أن تعى(1) أن تحقيق آمالها فى الحرية والعدل مرتبط بقدرتها على الانتظام فى تشكيل سياسى قادر على قيادة نضالها والتصدى للقوى المضاده (٥٣)

تجسدت الاكذوبة. ترسخت حتى تجاسر البعض بأقوال كهذه. وترادف معها نسيان المصالح الطبقية الموجودة فعلا، والمتناقضة فعلاً.. والموثرة فعلا..

وحتى فى عام ١٩٥٨ وبعد كل المعارك الضارية ضد الاستعمار وبعد وضوح مواقف القوى الاجتماعية المختلفة وتمايزها، نجد أن عبد الناصر يعلن: «الاتحاد القومى هو إتحاد يجمع بين أبناء الوطن العربى الواحد، لا انحراف إلى اليمين ولا إنحراف إلى اليسار، لا تفرقه ولا تنابذ، وإنما جمع كلمة من أجل رفعة هذا البلسد» (100 وطمس الفارق نظرياً لكن الواقع شهد صعود خصوم الشعارات والمواقف الى قمم التنظيم السياسى الواحد، بينما أطيح بمن هم أقرب الي الشعمارات، ومن هم أجدر بحمايتها، إلى سجون لا نريد الحديث عن بشاعتها.

وفي عام ١٩٦٠ يكرر عبد الناصر «ان الاتحاد القومى ليس حزباً، وإنما هو وطن بأكمله، داخل إطار واحد يتساوى الجميع على صعيده،

٥٣ - كتيب صادر عن أمانة التنظيم بالاتحاد الاشتراكي العربي تحت عنوان:
 برنامج التثقيف الاولي الكتاب الرابع». ص\

٥٤ - جمال عبد الناصر - خطاب في مدينة بني سويف - ١٤ / ١١ / ١٩٥٨

وذلك كى يصنع سلميا تطوره الكبير، ويحقق أهداف ثورته .. الاتحاد القومى وسيله كى تتفاهم الطبقات وتتراص بدلا من ان تتصارع (٥٥). وهكذا تلخصت كل مشكلات عبد الناصر وعلاقاته بالاطراف الاخرى فى مسأله واحدة. الديمقراطيه ومسأله الحزب الواحد الخصم هو من يطالب بالديمقراطية مهما كانت مواقفه الفكرية والاجتماعية، والحبيب المقرب هو الذى يقبل أو يدعى أنه يقبل - فى نفاق واضح - بانتهاك الميمقراطية وبالحزب الواحد.. وتم الفرز: اليسار الذى صمم على موقف مسدئى يدافع عن الديمقراطية الى السجن، والبحين إلى قمم الحزب الواحد..

والنتيجة واضحه. اضطر عبد الناصر أن يعبر عنها في مرارة في مباحثات الوحدة قائلا «أن الاقطاعيين والرجعيين، كانوا مشتركين هم والرأسمالية في الاتحاد القومي (١٩٥)

ثم تتصاعد المرارة مع تصاعد ضربات الخصوم. فمع إنهيار الوحدة المصرية - السورية يتوجه عبد الناصر أمام الجماهير بنقد ذاتى مفعم بالأسى «لقد وقعنا ضحية وهم خطير قادتنا إليه ثقة متزايدة بالنفس وبالغير، لقد كنا دائما نرفض المصالحة مع الاستعمار، ولكننا وقعنا في خطأ المصالحة مع الرجعية. لقد تصورنا انه مهما كان من خلاف بيننا

^{00 -} جمال عبد الناصر -- خطاب امام المؤقر العام للاتحاد القومي ٩ --٧

٥٦ - محاضر مباحثات الوحدة - ص١٦٢ نقلا عن محمد عبد المولى - المرجع السابق ص٤٠٢

وبين العناصر الرجعية فإنهم أبناء نفس الوطن، وشركاء نفس المصير، ولكن التجربه أثبتت خطأ ماكنا نتوهمه »: لقد غير الاستعمار من أشكال مقاومته لنا، أما نحن فلم نغير أساليب مقاومتنا له، لقد قاومنا الاحلاف والقواعد بينما تستر الاستعمار وراء الرجعية، وتسلل البنا عبر قبصور الرجعية، لقد سمحنا لانفسنا بأن تخدعنا الرجعية ولكن حتى بعد هذا ألدرس الاليم تمضى سنوات، وتتعمق الاجراءات الاجتماعية بينما تظل المؤسسة السسياسية بعيدة عن الجماهير. ولنستمع الي عبد الناصر يتكلم، ولنلاحظ أنه يقول ذلك في محضر سرى لاجتماع الامانة العامة للاتحاد الاشتراكي في نهاية محدد سرى لاجتماع الامانة العامة للاتحاد الاشتراكي في نهاية

«الذى أريد أن أقوله هو أن الاتحاد الاشتراكي حتى الأن تنظيم على الورق» ثم «أنا أعتقد ان الرجعية حتى الآن أنشط منا »

ويعود فيؤكد «العناصر المضادة موجودة داخل الاتحاد الاشتراكى وهى عناصر حركيه ونحن ينقصنا داخل الاتحاد الاشتراكى، وجود العناصر الحركية المخلصة». (۵۸)

.. وكان طبيعيا ان يستشعر عبد الناصر الاغتراب حتى داخل . صفوف إتحاده الاشتراكي نفسه، وكان طبيعيا أيضا أن نقرأ التعليق

٥٧ - لمزيد من التقاصيل ونصوص هذه المحاضر السرية راجع: د. رفعت السعيد
 أوراق ناصريه في ملف سرى للغايه - دار الثقافه الجديدة - ١٩٧٥.

۵۸ -- بيلياييف، برعاكوف - المرجع السابق - ص٥٤ ا

التالى للباحثين السوفيتيين بيلياييف وبرعاكوف «إن آثار تجربة فتح الابواب على مصراعيها لقبول عضوية جميع الراغبين في الانضمام إلى الاتحاد الاشتراكى العربى دون إجراء عملية الفرز اللازمة، راحت تنعكس بوضوح في عدم تجانس الاتحاد. لقد كسان أعضاؤه أناساً متباينين وفي كثير من الاحيان متضادين في معتقداتهم السياسة، ولم تستطع طريقة القبول في عضوية الاتحاد الاشتراكي العربي أن تحميه من الرجعيين، بل وحتى من الاعداء المباشرين – للنظام .. ثم إن الطابع اللاطبقى للاتحاد الاشتراكى قد فرض سلفاً إنعدام النشاط العملى اللاطبةى للاتحاد الاشتراكى قد فرض سلفاً إنعدام النشاط العملى

لقد تقبل الرجعيون الشعارات الحماسية بل والاجراءات الموجعة الموجهة لهم، وإذ عجزوا عن مواجهة الموج فقد قرروا أن يركبوا ذات سفينة النظام محاولين تغيير مسارها الفعلى.. بهدوء ودون ضجيج.

وفي دراسة اكاديمية نقرأ العباره التالية تعليقا على هذه الحقيقة.

«أن أثر الثروة على صنع القرارات السياسية في مصر قد تضائل تدريجياً خلال الخمسينيات وطوال فتره الستينات .. وذلك بحكم إتجاه السياسة الاقتصادية ذاتها إلى الحد من دور النشاط الخاص في القطاع

٥٩ - بيلياييف ويريماكوف - المرجع السابق

المنظم من الاقستصاد. ، وبحكم أن أصحاب الشروات الكبيرة كمانوا يجاهدون لاخفائها، خصوصا بعد قرارات التأميم في بداية الستينات، ولا يعنه , هذا بطبيعة الحال ان عائلات كبار الملاك وكذا أصحاب المشروعات المتوسطة والكبيرة التي لم تطبق عليها بالكامل قرارات التأميم قد عدموا الوسائل للتأثير على النظام السياسي، وإنما الثابت أنهم كانوا يحاولون بوسائل غير ظاهرة إستخدام ما تبقى لهم من نفوذ فر الحيلولة دون تطبيق بعض الاجراءات الاصلاحية عليهم. وقد أثبتت مداولات لجنة تصفية الاقطاع ومحاكمات بعض القيادات العسكرية التي أيدت المشير عبد الحكيم عامر في محاولته لاستعاده سلطته بعد هزيمة ١٩٩٧ أن عناصر هامه في إدارة المؤسسة العسكرية ويعض مؤسسات الدوله الاخرى قد كونوا ثروات مهمه آنذاك . ولكن أصحاب الثروات والمتعاطفين معهم في جهاز الدوله لم يكونوا يؤثرون المعارضة المباشرة لهذه السياسات، وإنما كانوا يفضلون السعى إلى تحنب تطبيقها في الواقع وتفريغها من مضمونها بقدر الامكان» (٦٠)

وأكتفى بهذه العبارة فهي تلخص الكثير مما كنت أريد أن أقول.

٦٠ - د. مصطفى كامل السيد - المجتمع والسياسه في مصر - دار المستقبل
 العربي - القاهرة ١٩٨٣ ص ١٩

ويبقى سؤال كبير.. وهو كيف أمكن أن يتحقق كل هذا التناقض في إطار سلطة واحدة؟

وكيف أمكن للأجهزه الناصرية أن تتقاطع توجهاتها.. بل وأن تتناقض . كيف أمكن لبعض التوجهات والمؤسسات ذات التأثير السلبى أن تؤثر على مجمل التجربة الباهرة.

أجيب بفكره لفريدريك إنجلز..

هذه الفكرة تقول : «إن عمليه التطور الاجتماعي الحاسم، أي إنتقال السلطه من يد طبقة إلى أخرى نجرى وفق إطار القانون العام للتطور، أي وفق تطور عملية الانتاج، أو ملكية وسائلها وقدرتها علي إعادة وتجديد الانتاج، ولكن وإذا كنا نتفق علي أن تطوير الفروع المختلفه للبناء الفوقي تتم وفق النسبق الاساسي للقانون العام، أي إذا كان تطور كل ميدان من هدف الميادين يخضع علي العموم وبصورة كاملة للتطور الاقتصادي إلا أنه يظل يمتلك وفي إطار هذا الخضوع العام بقدرة نسبية علي التمسك بقوانيه الخاصة به، وبعمليتة الخاصة في التطور، بل وبامكان هذه القوانين الخاصة أن تؤثر تأثيراً معاكساً وسلبياً علي خط حركه وقود دفع القسانون العام، أي العسليه الاقتصادية في

تطورها ٥ (٦١)

.. وقد كان

* * *

ولأن الهدف من هذه الكتابة هو التأمل الموضوعى والعلمى، والمتطلع نحو المستقبل، فإننا لن نتعرض لما يمكن تسميته بالقهر الناصرى للخصوم .. لن نتعرض للسجون، المعتقلات، التعذيب ، خنق الآراء المعارضة، السماح بصوت واحد وبنغمة واحدة دون الاذن بأية كلمة أو همسة معارضة.. او حتى عدم الموافقة الصامتة، وإعلاء شأن النفاق، والبطش بأيه مصارحة في إطار نقدى أو شبه نقدى.

سنترك ذلك كله فقد جرى الحديث عنه طويلا، ربما من هؤلاء الذين عاشوا في نعيم نفاق الناصريه، ثم عادوا ليلبسوا ثياب الدفاع عما أسهموا في إنتهاكه.

لقد رفضت الناصرية، أي نقد بناء أم غير بناء، صديق أو عدو، صريح أو خافت وإنتهي الأمر بأن ضخت إلى سجونها ومعتقلاتها

١٦ - ماركس انجلز - المؤلفات الكامله - المجلد ٣٧ - ص ١٥ الطبعة الروسيه
 انقلاعين غلبة برمان:

قوانين التطور الاجتماعي، طبيعتها واستخداماتها - دار التقدم - موسكو -الطبعة العربية ١٩٨٣ ص٢٦

موزاييك يمثل كل شئ.. باشوات قدامى لم يقاوم أياً منهم ولو بأقل قدر ما حل به، وانما وفقط أفلتت منه وربما همساً لمحة غضب، رجعيون، تقدميون، يسار ، يمين، عسكريون من رفاق مسيرة يوليو، شيوعيون، إخوان، نقابيون .. مفكرون، كل الاتجاهات وكل الاصناف يجمعها خيط واحد .. أو حرف واحد.. النقد أو محاولة النقد أو الهمس.

لندع هذا كله ونعود إلى مأساة التظنيم الواحد..

عبد الناصر حل الاحزاب. أسس هيئة التحرير، تحولت إلى الاتحاد القومى رقم ١، ثم الي الاتحاد القومسى رقم ٢، ثم الي الاتحاد الاشتراكي ومن قبله وجد «التنظيم الطليسعي». وعبر هذه التحولات أو التقلبات كانت القوى الاجتماعيه هي ذات القوى الاجتماعيه، والأشخاص ثم ذات الأشخاص، تغيرت الآنيه والشراب واحد. الشعارات تتغير إبتداء من «الاتحاد والنظام والعمل» وحتى «حتمية الحسل الاشتراكي».. والأشخاص هم ذات الاشخاص، والأدوات هي ذات الأدوات، والأساليب هي ذات الأساليب. حشود من العضوية يخيل البك انها متحمسة، لكنها في واقع الامر تلعب دور الكومبارس الغير مقتنع بشئ، يترك الكبار يؤدون أدوارهم المسرحية بينما الكومبارس

يردد ما على عليه. . فقط ما على عليه.

وتحولت هذه التكوينات الخزبية على اختلاف مسمياتها إلى ديكور.. مجرد ديكور، لا أكثر ولا أقل.

لكن الغريب والمشير للدهشة أن القائمين علي أمر هذا الديكور صدقوه.. وصدقوا أنفسهم وتصوروا أن بالامكان الاعتماد عليه، وبالفعل وفي ١٥ مايو حاولوا الاعتماد عليه، راهنوا علي ما أمضوا سنوات طويلة في بنائه، وخسروا الرهان.

خسروه تماماً. لم يتحرك أحد. ولا فرد واحد، دفاعاً عنهم أو عن الشعارات التي طالما ترددت بها آلاف وملايين الحناجر.

ثم . . وهذا هو الاكشر مرارة مالبث رجال العهد الناصرى. . أبطال الاتحاد الاشتراكى والتنظيم الطيلعى أن تكالبوا علي خدمة السادات محتشدين في إتحاده الاشتراكي، ثم حزبه «حزب مصر».

وما أن غير السادات ثيابه الحزبية وأسس «الوطنى الديقراطي» حتى تدافع الجميع معه..

وهكذا إنكشفت حقيقه الديكور

* * *

وبعد...

لم أقصد بكل هذه الكتابه، أيه هجوم، ولا إنتقاد، ولا شكايه أو إحتجاج. فقط أردت أن أدون ما إعتقدت انه موضوعي.

ولم أقصد بها أن أحبط أحداً، فقط أردت أن استدعى كل محب للناصريه كى يعيد النظر، بنظر إنتقادى جاد - فى كل ما فات.

ولست أريد القبول أن «الناصريه» قبد أصبيحت دواءً فيات أوان إستخدامه، بل لعلى أعتقد انها لم تزل مكتوبه - وإن بحبر سرى - علي صفحة الوطن. والحبر السرى يحتاج إلى مُظهر، ما أن يتلامس معد حتى نُظهر وبجعله مقروءاً.

هذا المظهر هو التقييم الانتقادى لما كان، كل ما كان. دون أدنى معاولة للتبرير أو الإخفاء، أو التناسى. إن نقدا ذاتيا قاسياً وحاسماً لن يكون قادراً فقط على إسكات صوت الخصوم الذين يسومون الناصريه ومسيرتها بتهجمات وتخرصات خالية من الموضوعية ومليئة بالحقد، والها عكنها من التقدم للجماهير بأوراق إعتماد جديدة هي بحاجة اليها، والجماهير تنتظرها.

وهر أيضا الاحساس بأن الناصرية ليست كل الحقيقه، بل هي تقتسم الحقيقة مع آخرين..

وهو كذلك أشياء ومواقف وتمارسات أخرى لعل تكرارها هنا هو لزوم مالا يلزم. حزب التجمع

ملتقى طرق، وليس مفترق طرق

کم ذا یکابد عاشق ویعانی

فى حب مصر كثيرة العشاق

.. ههل ستصدقوننى إذا قلت أننى سأحاول - أقول سأحاول - أن أسطر هنا كتابة موضوعية؟

أم إن الاتحياز مفترض ولعل البعض يرى أن التحيز مفروض مسبقاً. صدقوني، سأحاول أن تكون الكتابة موضوعية، قدر الامكان . لا لأنني أريد إرضاء القارئ..

ولا لأننى أريد أن أتحلى بسمة موضوعية، وإغا - وهذا هو الاساس الأننى أعتقد جازما أن التفكير الموضوعية، ومن ثم الكتابة الموضوعية هي السبيل لفهم موضوعي، وهي الاساس لترسيخ الرؤية الانتقادية، تلك الرؤية التي نحتاجها وبشدة، إن أردنا، أو حاولنا، أن نطور أدا منا، ووجودنا. وبدون هذه الرؤية الانتقادية. ستسود التلقائية، وستتكاثر الطواهر السلبية، وسنفقد القدرة على تخليص أنفسنا من حالة الرضاء عن النفس، التي دائما ما تؤدي الى تجمد، بل وإلى تراجع.

سنحساول إذا - سسواء بارداتنا أو رغم أنفنا- أن نمسك بالرؤية الموضوعية وبالنظر الانتقادي إن أردنا لخزينا ان يتقدم.

* * *

ويثمة أسئلة أولية أعتقد انه يتعين الاجابة عليها

ولعل أولها هو: لماذا التجمع؟ لماذا هذه الفكرة القائمة على تعددية الفكر، ووحدانية الموقف السياسي؟

وهو الأمر الذي يوحى - وربما يجزم - بالمساومة اليومية في ساحة السياسة، ربما - أقول ربما - على حساب الفكر؟

ولكن ألا يجدر بنا أن نبدأ بالسؤال الأولى، لماذا فعلها السادات؟ . لماذا قبر ان تكون هناك تعددية حزبية؟ والاجابة هنا تدخل في باب التخمين أو التحليل وليس الحقائق المؤكدة. ففي دول العالم الثالث حيث إرادة الحاكم قرار حاسم، وحيث لا شفافية، ولا حق لأحد أيا كان أن يفتش في : كيف؟، ولماذا؟، وإلى أين؟. في دول كهذه تتحول أفكار، وويه- أحلام الحاكم إلى قرار.. فتاريخ.

لكن التفكير المتأنى يمكنه أن يفسر لنا بعضاً من الأمر، لكنه - وان تبدى مقنعاً - يبقى مدرجاً في باب التحليل وليس الحقائق. ولنسأل عدة أسئلة فرعية لنفسح الطريق أمام المقدرة على التحليل أو التفكير.

فهل أراد السادات ان يتخلص من الاتحاد الاشتراكى؟ ألم تكن تجربته مع هذا الاتحاد مزعجة ومريرة من وجهة نظره علي الاقل؟. ألم تكن قبادات الاتحاد الاشتراكى وكوادره مناوئة له حتى في زمن عبد الناصر؟ لكن الاجابة الموضوعية تشير إلى أن هذا الهيكل الديناصورى التكوين [٦ ملايين عضو] كان هشا، بل وكان قابلا وراغباً ومتحمساً للركوع في ساحة خدمة الرئيس، أي رئيس. ولعل هذه الاجابة بقدر ما ترضى غرور حاكم كالسادات، قد تفقده إحترامه لهذا الكائن، بل قل تخيفه. فإن إنقلب هؤلاء الصارخين بالناصرية ليلا ونهارا، متحمسين لها حماساً مملاً ومثيراً للشفقة في بعض الاحيان، إن إنقلب هؤلاء جميعاً - باستثناء عدد لا يتجاوز أصابع رجل واحد - ضد كل ما كان، وأتوا إلى ساحة الساداتية، فلم لا يأتي يوم لينقلبوا مرة أخرى مع أي إشعاع لمصدر قوة حاكمة؟ لكنني أستبعد شخصيا هذا الاحتمال.

فماذا إذن؟

لعل السادات الذي عاش التجربة الناصرية بمالتاً، وغير مقتنع بكثير من المقولات والتصرفات، وإنما أخفى عدم إقتناعه، بستار من «التقية» الخاضعة، القابله لأى شئ يريده عبد الناصر، وكل شئ يريده، حتى ولو بهمسة أولسة أو إشارة، وربما كانت كفاءة السادات، تلك الكفاءة التي أوصلته الي موقع الرئاسة، تكمن في أنه كان يقرأ إتجاهات الريح الناصري. كان لا يطبق فقط مبدأ الخضوع للقرار، وإنما يلمح ملامح القرار حتى قبل أن يصدر، فيبدو متجاوباً معه قبل أن يصدر. أقول، لعل هذا السادات كان يحمل في قلبه وعقله رفضاً للتجربة، أو على الاتل لما آلت إليه التجربة، أو

مارس، ولاكل هذا الطنين المتواصل من شعارات كانت متألقة بأحرفها، ومنطقئة في المارسة الواقعية. ولعله كان أكثر إدراكا – يحكم موقعه – لأن هذه الشعارات مجرد طنين يتحول في الواقع إلى شئ آخر. ولعله كان يتلك حنينا للتخلص من مجمل الفكرة قبل أن تجد أدوات إصلاح نفسها، وتجد من يحول الطنين إلى واقع، والشعارات إلى حقيقة، خاصة وأنه قد أصبع بالامكان وبعد رحيل عبد الناصر، ورحيل البريق، والهالة والرجال المحدودي العدد الذين كانوا يستقرون بالقرب من عبد الناصر.. أن يدعو البعض إلى إصلاح حقيقي لهذا الهيكل الديناصوري، وتحويله أن يدعو البعض إلى إصلاح حقيقي لهذا الهيكل الديناصوري، وتحويله بلي كبان متماسك، فاعل – ولو بأقل قدر – قد تبدو هذه الفكرة التي ترددت بالفعل آنذاك – مغرية لأي حاكم – أليس هذا الوعاء بأكمله، بفكره، ومنظماته، ورجاله ملكية خاصة له.. يحركها بطرف أصغر أصبع؟

قد تبدو هكذا علي السطح، لكن حاكماً ماكراً كالسادات سيبعد -بالقطع - ما يخشاه. فتحول الهيكل المتراخى والمتآكل إلى شئ فاعل، سوف يحول الفكرة والشعارات إلى عنصر فاعل، وإلى حركه دفع بالمجتمع، وللمجتمع ككل.

وهو ما يرفضه السادات، فهو من البداية يرفض كل قول عن الاشتراكية، وقوى الشعب العامل، والميثاق، وحقوق العمال والفلاحين، وحتمية الحل الاشتراكى، [وفى جلساته الخاصة بعد أن أصبح رئيساً كانوا ينقلون عنه تهكمه المرير على ذلك كله، وكان يسميه كلام «الحنجورى».] وهو من البداية تصادم مع السوفييت الذين كان يعتقد أنهم ذوى تأثير في مجمل هذا الترجه، وهو من البداية طرد الخبراء السوفييت، وأرسل بأنفاسة وتطلعاته، وشرايين إتصالاته نحو الآخر، الغرب. وبالدقة أمريكا.. ففيم سيكون الحديث عن «الاشتراكية» و «جماهير الشعب العامل»، لمن يستعد للاستحمام قاماً من كل ما كان، كي يبدو «نظيفاً» ومقبولا عند السيد الجديد؟

ويعد ١٩٧٣، وإنتصار اكتوبر، قضى الأمر، فالقائد المنتصر يمكنه أن يفعل أي شئ، وأن يغير إتجاه الربح.

ولابد أن السادات قد شعر بضعف هذا الاتحاد الاشتراكى حلال مظاهرات الطلاب اليساريين واحتجاجاتهم الصاخبة المطالبة بتحرير الارض في ١٩٧١، ١٩٧١. ولابد أنه فزع من نمو هذا التوجه اليسارى المستقل عن النظام وإتحاده الاشتراكى، والمناوئ لهما معاً مناوأه حادة وحاسمة.

ولابد أنه خشى من أن توجها كهذا - إن إستمر فى تطوره وعوه - يكنه أن يحول شعارات «الاشتراكية» إلى قوة مادية جديدة، تكون أداة ضغط على النظام فى ظل توجهه الجديد. ولأن «الاتحاد الاشتراكي» بكل ضجيجه لم يستطع ان يفعل شيئا إزاء موجة اليسار الزاحفة، بل إنحنى أمامها عاجزاً تماماً، فقد لجأ السادات إلى تيار التأسلم السياسي. ليطرق الحديد بالحديد. وتحالف دون خجل أوتردد مع جماعة الاخوان، ولما لم تسعفه وحدها، أسهم رجاله في تشجيع وحتى في تكوين «الجماعات الاسسلامية» بالحامعات.

وكان بذلك يكتب شهادة وفاة «الاتحاد لااشتراكي»، فقد أعلن عجزه عن الفعل، وأعلن أن الملعب السياسي الفعلي يخلو من هذا الإتحاد الاشتراكي. وإنما فقط يسار وتأسلم. وبهذا تكون الخطوة التالية منطقة.

لكن حاكماً ماكسراً كالسادات لا يأتسى مباشرة إلى ما يريد، وإنما يقتاد الجميع عبر دروب معدة سلفاً لا يعلمونها، لكنه هو يعلمها.

وإذا كان الشبان الماركسيين الأكثر تشدداً هم من فعلوها، وكانت «الجساعات الاسلامية» هي من تصدت لهم. فليكن التطلع الجديد متخلصا من الاثنين معاً، حتى يمكن الطموح نحو التحكم فيما هو آت. أعتقد أن هذه الخريطة الفكرية المعقدة والمتداخلة كانت في ذهن السادات، وهو يفكر في إطار سياسي جديد يتمكن هو في إطاره من أن

يتخلص من التركه القديمة.

* * *

لكن الأمر لم يكن بهذه البساطة. بل كان معقداً، هو معقد يطبعه وطبيعة مكوناته وتداعياته، والسادات هوأيضا معقد في تناوله لمثل هذه الأمور، هو لا يأتيك مباشرة، وإنما عبر مسلسل من الانحناءات والالتفافات.

وهكذا فعلها.

فهو لا يمكنه أن يتخلص فوراً من هذا الجيش الملاييني المضوية، والذي تشاكبت وتشعبت فيه القوى والمصالح والتوجهات.

وهو لا يمكنه أن يعلن وفى خبطة واحدة، أنه لا يريد لكلمة «الاشتراكية» ان تلتصق به.

وهو لا يستطيع أن يبعث «بالميشاق» والشعارات والتوجهات إلى «سلة المهملات».

وهو لايريد أن يستبعد اليسار تماما من الخريطة، ولا الجماعات الاسلامية أيضا.

وهو يقترب من أمريكا ويتباعد عن السوفييت قليلا قليلا، يريد إن يمسك بطرف خيط من كل شئ. ربما لأنه لم يكن واثقاً من أى شئ.

ومن ثم كانت الخطوة الأولى «منابر» داخل، وفي إطار، الاتحاد

الاشتراكي، مع تأكيد بأن ذلك هو تعزيز للاتحاد الاشتراكي ذاته.

ومع تصاعد الحماس، المنطقى أحيانا، والمصطنع أحيانا لتكوين منابر [وصل العدد إلى أكثر من أربعين] كانت الخطوة الثانية.. ثلاثة منابر فقط. يمن ويسار ووسط.

وإتشح هو بالوسط.. وهو طعم منبره بلفظ الاشتراكى وكذلك اليمين، كأنما ليعلن أن هذا التقسيم إلى منابر، ليس ذا مغزى أيديولوجى، وإن كل شئ سيتم في إطار المظلة الاشتراكية، وإتحادها الاشتراكي

* * *

ويعد هذا يكون منطقياً أن نسأل لماذا كانت فكرة «تعددية الفكر ووحدانية التنظيم والموقف السياسي»؟

ولكى نقر بالحقيقة فإن فكرة المنابر الثلاث، والثلاث فقط، والشوق الجارف لدى جماهير وقوى عديدة، قد أفسحت بذاتها المجال أمام الأخذ ببدأ أن يكون منبر اليسار مظلة متسعة لأكثر من توجه - فإن كان هذا المبير اليسارى أحادى الفكرة، ماركسى فقط، أو ناصرى فقط، فإلى أين يذهب الآخرون؟

لكن إغلاق العقل أمام هذا الواقع كان محكناً بل لعل البعض تصوره، ونادى به. وهنا يأتى الدور الهام لخالد محيى الدين فقد نادى وقسك بفكرة فتح «المنبر» أمام كل التيارات البسارية والعمالية والليبراليه؛ وكانت شخصيته بذاتها قادرة على إستدعاء رموز وشخصيات وجموع.. كل منها إعتبر أن خالد محيى الدين يمثله. ولم يكن بإمكان عاقل أن يناوئ ذلك. فجموع عديده أتت من أبواب شتى ، بل وعبر أبواب شتى.

فروزاليوسف مثلا إسهاماً منها في إنجاح الفكرة ظلت ولفترة طويلة تنشر كوبوناً يحتوى على ثلاث مربعات صغيرة بهين، يسار، وسط. وما علي القاري إلا أن يكتب إسمه وعنوانه ويضع علامة أمام مربع اليسار.. ويرسل الكوبون إلى روز اليوسف حتى يعتبر عضواً في المنبر. فمن الناحية النظرية نحن جميعا أعضاء في الاتحاد الاشتراكى، وفقط وفي إطاره نختار توجهاً ما.

وإذ كان العضو مطلوباً منه، ولو من الناحية الشكلية أن يختار، فإن طاقة الأمل اليسمارى والاشتراكى، وإسم خالد محيى الدبن، وطموح الكثيرين من المثقفين والنقابين العماليين والأدباء والفنانين لتحقيق خطوة – ولو واحدة – تتجاوز حدود القديم البائى والمرفوض قد دفع بالكثيرين جداً نحو منبرنا، وما كان لنا أن نرفض أحداً، أو نتردد فى قبول أحد، لأننا حتى لم نكن نعرف أغلبهم معرفة حقيقية.

لكن الشئ الهام هنا أن فكرة «تعددية الفكر ووصدة التنظيم والكوقف السياسي» وإن كانت سهلة في طرحها - رغم معارضة البعض

لها - إلا أنها إحتاجت إلى سعة صدر، وأسلوب عمل، وإحترام الآخر، وعدم تعجل في كبت المعارضة أو المختلفين، باللجوء إلى الأصابع لترتفع، فنفرض بالتصويت أي شئ، وكل شئ.

لقد اكتشفنا ومنذ البداية، أن ديقراطية حصار الآخر برفع أيدى الاغلبية لن تفيد شيئا، بل هي ليست ديقراطية فعلية، وصنعنا ما إعتقدنا – ولم نزل – أنه ديقراطية حقة.. إحترام الرأى الآخر وإن كان محدود القامة. وبإختصار إتخذنا شعاراً لنا لم نكن قد سمعنا به، لكننا مارسناه لسنوات، ثم وبالمصادفة طالعته، وتوقفت أمامه، أمسكت به وكأنني أريد أن أقتلعه من أسطر الكتاب لأصنع منه رمزاً لنا. العبارة الملهمة التي طبقناها بالسليقة وبالحدمي ويفضل حكمة وصبر خالد محي الدين، كانت للفيلسوف السكندري «كليمنت» [القرن الثاني الميلادي] وتقول «تأتي الحكمة عندما تأخذ من الآراء المتناقضة كل ما هو صائب ولي نفعل ذلك في مجال السياسة فحسب، بل وحتى في مجال التكوين ولم نفعل ذلك في مجال السياسة فحسب، بل وحتى في مجال التكوين نضمهم إلى المواقع القيادية، وأحيانا كنا نفتعل ذلك، لكن التجرية العملية أثبتت أن كل إفتعال في هذا الأمر كان مفيداً وإيجابياً.

والنتيجة هي ما ترون الآن. فنحن الحزب الوحيد الذي لم تحدث فيه إنشقاقات، رغم أنه الحزب الذي يضم أفكاراً وتوجهات مختلفة، ورغم أنه الحزب الذي حدثت وتحدث وستحدث فيه إختلافات شديدة في الرأور، والانصات الرأور، والانصات الرأور، والانصات الرأور، والانصات الرأور، والانصات الرأور، وعدم تجاهل أي رأى، مهما وجدناه مختلفاً، أو حتى محدود الأثر والتأثير.

* * *

ويأتى بالضرورة سؤال أخر.

· إذا كان السادات هو صاحب التجربة فلم كان هذا الصدام الحاد معه؟

والحقيقة أننا لم نسع إلى صدام. لكن الصدام أتى إلينا.

فالتجربة كانت ثلاثية، الوسط هم رجال السادات، وهم أطوع من بنانه، واليمين وكان تحت قيادة مصطفى كامل مراد أطوع من كل الطائعين.. وإذا بنا نصبح شوكة في الحلق.

ويبدأ الصدام مبكراً ، بل ومبكراً جداً ، موسى صبرى ربما كان الوحيد من رجال النظام الذى قرأ برنامج منبر اليسار ، البرنامج طبع وعرض علي إجتماع مشترك للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي وأعضا ، مجلس الأمة ، وكان إجتماعاً شكلياً بكل معنى الكلمة ، ووافق الاجتماع على البرامج الشلاث في عبلة من الأمر ، فلم يكن ثمة نقاش ، وهل كان يمكن أن يكون هناك أى نقاش ؟ إن المجتمعين لم يقرأوا ما وافقوا عليه ، لأنه لم

توزع عليهم أية نسخ منه، ولم يكن الوقت ومهما إمتد لساعات وأيام يكفى لمناقشه ثلاثة برامج، ومقارنتها ببرنامج الحزب الأم [الاتحاد الاشتراكي] الذي لم يكن ثمة أحد يريد أن يتذكره.

الجميع وبالاجماع وافقوا على البرامج الثلاث. لكن موسى صبرى وبعدها بأيام قرأ. هو الوحيد – ربا – الذى فعلها، ووجد فقرة واحدة أمسك بها ولم يتركها. وإنهالت مقالاته فى جريدة الاخبار تهاجم منبر اليسار الذي يدعو «إلى حق الاضراب» ، وتذكر موسي صبرى فجأه أن مصر تعيش – آنذاك – مجتمعا أو حالة إشتراكية، فأين يوجد حق الاضراب في مجتمع اشتراكي. وتساط هل يسمح رفاقكم فى موسكو بالاضراب، أم أنتم تسعون إلى إثارة الفوضى، وتدميس البناء الاقتصادى؟. كان يتكلم ونحن لا نرد، فهو رئيس تحرير الاخبار، وهو الصحفى المقرب من الرئيس، ونحن لا أداه إعلامية كبرت أو صغرت عكنها أن تنقل رأينا أو بعضاً منه.

الرئيس السادات وجدها فرصة ليعجم عودنا، طلب صراحة من خالد محيى الدين شطب هذه الجملة من البرنامج.

وعرض الأمر في إجتماع «للسكرتارية العامه» للمنبر. ورفضت الاغلبية الساحقة..

وأدرك السادات أننا أصبحنا، أو نوشك أن نصبح شوكه في الحلق.

وتتالت الصدامات، فلقد توتر الجو. هم يريدون تطويعنا، ونحن نتمسك، ونتماسك، ونرفض التطويع والخضوع أو حتى الممالأه. ثم كان الضدامين الشهيرين والحاسمين يناير ١٩٧٧ [أحداث إنتفاضة الخبز أو كما أسماها السادات إنتفاضة الحرامية، وزيارة السادات للقدس] وأخذ الحديد يطرق الحديد، كانت سنوات بالغه الصعوبة، عانينا فيها الكثير، وعانى أعضاء التجمع عنتاً كثيراً في أرزاقهم وعملهم وحرياتهم.

وظل السادات وحتى آخر أيامه يعتبرنا شوكه فى الحلق، بل ولعله ندم علي إستدعائنا نحن إلى ساحة المنابر، ولعله حاول إحياء «حزب العمل» كتمهيد للتخلص منا.

وعلي أية حال فإن الاجابة على السؤال هي: نحن لم نسع إلى صدام، فقط تمسكنا بحقنا في إحترام أنفسنا، وحقنا في التمسك بواقفنا. ودفعنا ثمن ذلك. وكان الثمن باهظاً. وهو ثمن لم بتوقعه الكثيرون ثمن أتوا إلينا في الأيام الأولى، هؤلاء الذين أتوا بحسن نيه، على أساس أننا جزء .. مجرد جزمن الاتحاد الاشتراكي، منبر في إطاره، فلم يكونوا، بل لم نكن نحن نتوقع أن تتحول المنابر بهذه السرعة إلى أحزاب .. ولم يكونوا، بل ولم نكن نحن نتوقع أن تقتادنا الأحداث إلى تصادم حاد كذلك الذي حدث.

كانت الأيام الصعبة تتوالي، وكان البعض يحتمل، أو يحاول كان هذا البعض يتمثل قول عبد الله النديم إبان محنة العرابيين بعد هزعة الغورة.

صلينا يا هموم فقد علمنا بأنا الصلبُ صلياً لا يلينا

لنا جلدً على جلد يقينا

إذا زاد البلا زدنا يقينا.

لكن الكثيرين لم يكونوا كذلك. وأقول بصراحة أننى كنت أشفق على هؤلاء الذين أتوا إلينا بحسن نية، وصدقوا تجربة التعددية في بداية الأمر، ولهذا فقد تفهمنا قاماً إنسحاب الكثيرين.. لأنهم وببساطة أكتشفوا أن الأمر مختلف قام الاختلاف عما كانوا يتصورون، بل عما كان مفترضاً.

ذهب الكثيرون، وبقي البعض. وكان هذا طبيعياً تماماً، ولهذا فإن الكثيرين من ذهبوا بقوا على صداقتهم لنا وإن من بعيد، ونحن أيضا تعاملنا، ولم نزل مع الكثيرين منهم باحترام. فالأمر ببساطة يشبه راكباً ركب القطار الخطأ، فتركه في أول محطة قادمة.

ولعل فى هذا إجابة على سؤال يردده البعض بإلحاح لماذا تناقصت عضوية التجمع؟ وأجيب لهذا السيب. الذين ذهبوا كانوا قد أتوا إلينا متصورين الأمر على صورة أخرى، والذين بقوا إحتملوا، وتحملوا فكانوا أبطالا في مواجهة عنت، وزنازين، وإضطهاد، ومطاردة، وحملات إعلامية مكتفة وماكرة في آن واحد.. فهل ثمة مجتمع مكون وفقط من أبطال. أن الجيش -أى جيش- يتكون بالأساس من جنود عاديين، ولهذا يحتفون فيه، ويحتفلون بالبطولة. والحزب ليس جيشاً فالفرار من الجيش في حال الحرب عقوبته رصاصة في الرأس. أما الحزب فهو تجمع إختسياري (هكذا بالضبط في القواميس) يتكون إن إتسع من أناس بسطاء. أناس يحلمون بستقبل أقصل، لكنهم يريدون أن يعودوا في المساء حاملين الخبز لأطفالهم. ويدون العمد السياسي، أو هذا العودة سيجوع الاطفال، فماذا عندما يكون العمل السياسي، أو هذا العيسش ومصدر الرزق؟ كم من هؤلاء البسطاء سيتحمل؟ وكم سيبقي؟

والغريب أن هؤلاء الذى يوجهون إلينا اللوم لأننا فقدنا أعضاءً فى الزمن الصعب، يريدون أن يدفعونا دفعاً إلى تصادمات لامبرر لها، لا لشئ إلا لكى نبدو حزباً متشدداً. فكيف يكون ذلك؟

وعلى أيه حال فلسنا نادمين على صاكان، وصا أدى إلى معاناة شديدة، وشدة قاسية، كما أننا لسنا نعتقد بضرورة إستعادة ذلك، فلكل ظرف موضوعى ظروفه وأساليب عمله .. ويخطئ السياسى لو تصور أن التسدد في أي وقت، وفي كل وقت هو معيار الشورية. وان الظروف والملابسات والتفاعلات.. والآخر يتغير .. ونحن نبقي وتبقى مواقفنا قطعا من أحجار لا تتغير.

ولهذا تفصيل قادم.

* * *

ونعود إلى البداية من جديد

فلقد إستدرجتنا الاسئلة واحداً إثر الآخر بينما كان من المفترض أن نجيب على سؤال أولى..

التجمع كفكرة وكمشروع هل جعل من نفسه مفترق طرق . أم ملتقي طرق؟

وليس في الأمر أية رغبنة في التلاعب بألفاظ متقاربة، بل هو موقف سياسي راق ومتحضر ومعترف بالآخر.

فعندما قرر السادات أن للبسار منبر واحد وحيد، رأينا نحن أن ذلك غير صحيح، لم نحاول أن نحتكر هذه الرخصة الاحتكارية التى قررها النظام . بل أكدنا قولاً وكتابةً وفعلاً، أكدنا في الممارسة وفي نصوص واضحة في البرنامج. أننا لا نحتكر تمثيل اليسار، بل إننا نعترف بوجود فصائل سياسية يسارية أخرى في ساحة الفعل السياسي. قلنا وبوضوح:

لدينا ماركسيين، ولكن ليس كل الماركسيين، ولدينا ناصريين، ولكن ليس جميع الناصريين، وألكن ليس جميع الناصريين وناصريون وفصائل يسارية أخرى ليست عثلة في التجمع، ويحترم التجمع وجودها، ويدافع عن حقها في الوجود، وعن حسقها في الاعتراف الرسمي بها.

..ومن ثم فعندما وجد عدد من الناصريين - فيما بعد - أن حزباً ناصرياً قد تكون إنضموا إليه دون غضاضة منا، بل كنا نعتبر ذلك أمراً طبيعياً. ولعل الكثيرين يعرفون أن أول إجتماع تأسسيي لحزب ناصري. عقد في ضيافة التجمع، وفي مقره المركزي.

هذا يعنى أننا كنا «ملتقى» لكل من أراد التواجد معنا مؤسساً وفاعلا في التجمع،دون أبه منازعة أو دعوة للتفريق والافتراق في صفوف اليسار.

لكن للأمر وجهه الآخر.

فهذه الفكرة التى نسميها بالتجمعية وتعددية الفكر ووحدانية الموقف السياسي والتنظيمي» تشكلت في صورة ممثلين للفصائل الفكرية المختلفة: الناصريين، الماركسيين، القوميين، البعثيين، تيار ديني مستنير [مسلم ومسبحي].. وأعداد متفاوته من هذا التيار أو ذاك ..

وكان الأكثر عدداً الماركسيين [من فصائل مختلفه] والناصريين [بتوجهات مختلفه] ،لكن هذا المكون «السيبرامكي» لم يكن ومنذ البداية بشكل سوى أقل من عشرة في المائة من مجموع العضوية، تلك العضوية التى تشكلت بشكل أساسى من مواطنين ذوى تعاطف مع الفكر اليساري عامة، أتوا إلينا لانهم كانوا يحلمون بحزب يدافع عن الفقراء، ويحمى مصالحهم، ويطالب بالحريات العامه، كانوا يوشكون أن يكتشفوا «الأنياب» الساداتيه التى تكشفت فيما بعد في صورة سياسات إقتصادية وإجتماعية، ومواقف وتوجهات عكس طموحات الفقراء والمدافعين عن الفقراء، المحبين لمصر وشعبها وحريتها وإستقلاليتها، هؤلاء أتوا إلينا بأمل أن نعمل سوياً..

لكن الصوت الأعلى كان لهذه العشرة في المائه. ربما لأننا بالغنا في منح فرص قيادية لممثلي هذه التيارات، وربما لأنهم كانوا أكثر صلابة [وهذا طبيعي] .المهم كانت الصورة الخارجية توحى بأن التجمع في مجموعات رأسية التكوين من التيارات المختلفة، أما الصورة الحقيقية فكانت غير ذلك.

وفى الاجتماعات سواء فى المستويات الوسطى (لجان الاقسام والمناطق] أو المستويات العليا [المؤقر - اللجنة المركزية - الامانة العامة) كان الحوار يدور منحصراً تقريبا بين عملى هذه الفصائل، الأمر

الذي عزز الصورة غير الحقيقية.

ولكن .. وبحضى الوقت، يتصارع بعض ممثلى الفصائل مع بعضهم البعض، ثم يفرض الواقع علي الجسميع الانصياع للقول العربى البليغ: «يختلف الرفيقان وهما مثل ركبتى بعير، تقفان معا وتقعان معاً».

ثم أن المنطق قد فرض نفسه على الجميع، فبعد عشرات المجادلات والمحاورات وربما الانفسعالات بدأت صيفة الفيلسوف السكندرى «كليمنت» تفرض نفسها .. هل أكررها؟ «تأتى الحكمة عندما تأخذ من الآراء المتناقضة كل ما هو صائب». أى أن المواقف لم تكن منحازة وفقط لرأى أحد، أو فصيل بذاته، بل كانت في كشير من الأحيان «مرزايبك» يجد فيه كل من المتحاورين بعضاً من رأيه [ليس كل رأيه] متجاوراً مع بعض من .. وبعض من، والمثير للدهشة أن هذه الآراء «المرزايبكية» التكوين كانت -ربا لأنها ثمرة تفكير مشترك وصناعة مشتركة - تأتى أكثر صواباً .

ورويداً رويداً إعتاد الجميع أن يفكروا معاً، وأن يصنعوا آرا هم معاً، وإذ يستمر ذلك لخمس وعشرين عاماً.. فإن فكرة «التيارات» أخذت في التلاشي. فأية أناس هؤلاء، يظلون معاً، يقاتلون معاً، يسجنون معاً، ينتصرون معاً، يهزمون معاً، يعانون معاً، يفكرون معاً، يصوغون وثائقهم وقراراتهم وبياناتهم ومواقفهم معاً، ويعملون معا في مجالات الفعل الجماهيسري. أى أناس هؤلاء يفعلون ذلك كله، ويتوارثونه لربع قرن، ولايتأثرون به، يبقون أصناماً، أو أحجاراً صماء؟ وهكذا ودون أن يتخذ أحد قراراً بدأنا لانستخدم صيغة «التبارات المتعددة» لم تعد يأتى ذكرها في أحاديثنا وإجتماعاتنا ووثائقناً، بل أصبحنا نخجل من إستخدامها، فلقد أصبحنا فعلا وبشكل يكاد أن يكون إجماعياً «تجمعين».

.. والآن هل إتضح المعنى المقصود من أن التجمع ملتقى طرق .. وليس مفترق طرق.

ويبقى التجمع بكل تجمعييه أى بالغالبية الغالبة من عضويته وكوادره حريصاً على التأكيد على أنه خيمة تتسع لكل اليساريين، ومؤكداً أنه لا يحتكر - لا ينوى ولا يريد ولا يمتلك الحق - تمثيل اليسار، ومؤكداً أن خارجه جماعات وأحزاب ومجموعات يسارية تمتلك الحق فى الفعل العلنى والشرعى..

وبهذا يؤكد مرة أخرى أنه ليس «مفترق طرق». وهو يمد يده بكامل العون للآخرين يفسح لهم صدره، وصحافته، ومقاره، متعاونا معهم مؤكدا أنه «ملتقى طرق».

ولكن ومنذ البدايات الأولى، بل ومنذ ما قبيل البداية، أي عندما أعلن السادات عن نيته للسماح بتشكيل المنابي، وجدنا البعض ببادرنا بحملات من الهجوم والعداء - الحزب الشيوعي المصرى أعلن تفهمه للموضوع كله، وعن مباركته له، رغم إعتراضه على شروط أعلان المنابر [ألا يكون ١٤ طابع طبقي، وألا يدعو أو يستدعى الصراع الطبقي]، أما منظمتي ٨ يناير والعمال الشيوعي فقد هاجمتا الفكرة والقابلين لها هجوما شديداً، متشدداً كعادتهما في كل خلاف كبر أم صغر. وظلت هاتان المنظمتان على عدائهما للتجمع، وعلى تشددهما حتى تفككتا نهائياً [وهل كان يمكن لشئ متشدد كهذا أن يستمر فاعلا، أو حتى إن يستمر أصلا؟] وكان محور العداء للتجمع هو أنه «متهادن».. وفي ذلك الحن تصادمنا واصطدمنا بأقصى قدر ممكن، وإتهمونا بالتهادن، سجن المئات من كوادرنا وأعضائنا بحيث ظلت سجون السادات دائبة ودون أي إنقطاع على إستضافة أعضاء التجمع.. وإتهمونا بالتهادن، إرتفعت سخرنة القول والكتابة فصودرت مطابع الحزب، وسجن كل من يحمل أوراقه.. ثم صودرت الاهالي مرة، مرتين، ثمانية ثم أوقفت نهائياً، ولم يجدوا ما يتهموننا به إلا أننا نقف عقبة أمام الكفاح المسلح.. وإتهمونا بالتهادن.

أقبصد إننا إعبتدنا على مثل هذه الاتهامات، وواصلنا نحن

مسيرتنا،وهم ذهبوا أو بالدقة تناثروا.

كذلك فيقيد اقبل نحونا ومنذ البدايه ناصريون وقومييون وأنكرنا ورفض التقارب معنا يعض منهم.

ولكن ولكي لا تختلط الأوراق هناك معتبرضون آخرون، مواطنون عاديان بحيوننا ويتمنون نجاحنا ، وزملاء لنا في صفوف التجمع [ليسوا كثيرين ولكنهم موجودون ويتعين إحترام رأيهما يرون ان التجمع قد خفف كثيراً من أساليب نضاله، ومن لهجته ، ومن أدائه الجماهيري. ولقد يكون هناك بعضاً من الصحة في هذا القول، ولكن يتعن إلا نأخذه كأمر مسلم به، فنحن نعارض لم نزل، وشدة المعارضة لم تزل بادية وأحيانا بحدة عنيفة على صفحات الاهالي، وكذلك في مجلسي الشعب والشورى.. نهاجم السياسات، نحدد البدائل، نكشف الاخطاء في كل الساحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، نفضح الفساد والمفسدين.. كل ذلك نفعله ويحدة أحياناً. فما هو المطلوب أكثر؟ الفعل الجماهيري. هكذا ستكون الاجابة المتوقعة. وأنا أتفق أن الفعل الجماهيري لا يأتي عفواً. وإلا كان انفجاراً غير مخطط، ولسوف ينتهي بالقطع إلى أيد متأسلمة. وهنا سبقول البعض أنتم تحمون الحكومة بهذا الادعاء. لكن ذلك بكون صحيحا لو أننا لا نحاول.

الفعل الجماهيري في إعتقادنا يبدأ بالوعي، أن تبعث باشعاعات

الوعى نحو الجماهير آونحن نفعل ذلك عبر الاهالى وعبر مجلسى الشعب والشورى، وعبر بياناتنا وتلامسنا مع الجماهير حيثما وجدنا، وأحيانا عبر حورات تليفزيونية وكتابات وكتب، ولكننا نفعله بصورة غير كافية ، وربحا محدودة آثم. إيضاح أساليب المواجهة، ثم. حث الجماهير علي التحرك [وهنا سيكون التحرك ليس وفق رغبتنا ، ولا وقق سخونة شعاراتنا، ولكن وفق طاقة الجماهير، وإحتمالها ، والويل لنا إن تصورنا أن شعاراً ساخناً يكنه أن يدفع الجماهير إلى الاندفاع الصاخب. فهذا لا يحدث ولن يحدث.. وعندما تكون الجماهير جاهزة للتحرك نسبقها نحن بخطوة واحدة. فقط خطوة واحدة، حتى لا ننعزل نحن وحدنا.. وهكذا خطوة خطوة ينضع القعل الجماهيرى، ويصبح قادراً

لكن هذا الكلام المبسط لا يحل أية مشكلة. ففي واقع الحياة المصرية خيرات شديدة التعقيد.

تعالوا - كمثال - نتأمل أحداث يناير ١٩٧٧ أو،ما أسميناه نحن انتفاضة الخبز وأسماه السادات إتفاضة «الحرامية ».

ضرجت ملايين المصريين إلي الشارع .. في كل المدن وفي آلاف القرى، هتفوا بكل الشعارات المكنة وحتى غير المكنه، زملاؤنا كانوا معهم وعلى رأسهم [نحن لم نصنع الانتفاضة، فقط شاركنا فيها وتصدرنا قيادتها عندما قامت] لكنه نظام العالم الثالث لا يأبه بمثل هذه «الاشياء» [هذه العبارة قالها لى مسئول كبير خلال الانتفاضة وهو يقلل من شأن ما يجرى] حاول الأمن أن يستدرجنا إلى ما يكنه من سحق المظاهرات وسحقنا معها، دفع إلينا - نحن بالذات - بعضاً من عملائه، يبشرون بإحراق كل شئ، وتدمير المحال وإحراق المؤسسات ووسائل النقل ورفضنا بشدة. توقعنا ما قد يحدث.. حرائق، ثم سحق للانتفاضة بأقصى قوة محكنه، ثم تعود الجماهير إلى حيث كانت، وندفع نحن الغمن، بل وتدفع الحركة الجماهيرية كلها الثمن..

كان زملاؤنا يأتون إلى سائلين: ماذا سنفعل؟ وكانت الاجابة سابقة التجهيز، والمعبرة عن حيرة بالغة هى: إستمروا في التظاهر.ثم.. إستمروا .. إستمروا.. ليلا ونهاراً كانوا على رأس المظاهرات يهتفون. ثم ذات السؤال، وذات الاجابة. فهل كانت هناك إجابة أخرى؟ ثم أتى صباح ليجد الدبابات في الشوارع..وما من أحد كان راغباً في التصادم مع الجيش، لأن المصرين يحبون جيشهم، ولأنه صاحب إنتصار اكتوبر، ولأنه.. ولأنه.. عشرات الاسباب دفعت الجميع إلى الأنسحاب. إنسحبوا، ودفعنا نحن الثمن.. مئات من زملاننا قبض عليهم، وإقصاء لعشرات من العمال النشطين والنقابيين من مصانعهم إلى وظائف إدارية متدنية المستوى في الوحدات المحلية بقراهم الأصلية، .. وإنتهى الأمر

بأن فقد التجمع أكثر من ٢٠٪ من عضويته في هذه الأيام الصعبة. ودفعت مصر كلها الثمن فالسادات الذي بات مرتعباً من التحرك الجماهيري، خاض حرب قوانين غير قانونية بمعنى أنها غير عاقلة لم تزل قائمة حتى الآن. قانون حماية القيم من العيب، وقانون التظاهر وغيرهما، مما أسمى بترسانة القوانين سيئة السمعة. وضاعف السادات من إحتضانه للجماعات الاسلامية وللإخوان المسلمين ولحزب العمل فيما بعد، فهذا التيار بكل فصائله أيد السادات في مواجهة الانتفاضة الشعبية، وأدانها بإعتبارها مؤامرة شيوعية. إحتضن السادات المتأسلمين خوفا من الجماهير، ودفعت مصر الثمن. ثم دفع هو الثمن.

ولا أقول ذلك كله لأعتذر عن مشاركتنا النشطة في الانتفاضة .. بل على العكس كنا علي صواب، وفعلنا ما هو واجب، وكذلك الجماهير كانت علي صواب . ولكن.. وهنا هو المحك، هل يتعين علينا أن نتعلم الدرس؟ لنتقن الفعل الجماهيري، لنفعله ونحن نعرف متى ينتهى وإلى أين ينتهى. لقد قال لينين يوما «لا تعبثوا بالثورة» وقال «لاتتلاعبوا بالعصيان» وشبه هؤلاء المتحمسين جداً، والمتشددين جداً، والمطالبين جداً بعمل ثورى حاسم حازم فورى مهما كانت النتائج بأنهم كالطفل الذي يلعب بعود ثقاب فيحرق المنزل.

كذلك فإن البعض يتصور ان لعبة النصال الجماهيرى تشبه لعبة الشطرنج، بعنى أن أدواتها واحدة ثابتة لا تتغير، وقواعد اللعب فيها واحدة ثابتة لا تتغير، وقواعد ثابتة، وحتي الأساليب والمناورات تكاد تكون ثابتة. بينما الأمر غير ذلك في الحياة اليومية، ففى السياسية، وفى المجتمعات تتغير أحجار اللعبه، ورسومها، وتخومها، وعناصرها ومن ثم تتغير أساليبها. والويل لمن لا يعرف ذلك.

وهؤلاء الزملاء الذين يطالبوننا مثلا عزيد من الاضرابات العمالية، والاعتصامات العمالية ينسون أن الواقع تغير، وأنه ليس بالضرورة أن يكون الاضراب العمالي عملا ثورياً.. بل قد يكون مؤامرة.

كمثال: زملاؤنا في أحد مصانع قطاع الاعمال [مصنع دواء] فوجئوا بعناصر نقابية معروف عنها إنتمائها للأمن وعلاقتها به، تتحمس وتثير الحماس حول حصول الادارة العليا علي نسب من الحوافز أعلى بكثير نما تستحق، وذلك طبعاً على حساب ما ناله العمال. وكان بالامكان محاولة تسوية الأمر عن طريق الشكاوي والاحتجاجات والنشر في الصحف، لكن هذه العناصر المريبة إرتدت ثياباً ثورية زائفة، ودعت إلي إعتصام فورى للعمال. وإنساق زملاؤنا داعين للاعتصام، وعندما أصبح الاعتصام واقعاً إختفت العناصر المريبة تاركة زملامنا في المواجهة. ومنذ

بدء المواجهة إكتشف المعتصمون أن إدارة المصنع وجهات الأمن في غاية السعادة. إنتاج المصنع راكد. ولا يجد من يشتريه لانه لا يستطيع منافسة المستورد. تراكم الراكد وتراكم، وكان لابد من منقذ، والاعتصام هو الانقاذ، فإيقاف الانتاج هو الحل الأمثل. العمال لا يحصلون علي حوافز، ولاشئ سوي الأجر الأساسي.. بعد أيام بدأ العمال يقلقون فلا أحد يتصل بهم، ولا أحد يطلب إليهم فض الاعتصام. ثم بدأوا هم يتصلون.. والادارة تتهرب، وأخيراً بدأت الادارة تملى شروطها .. وتعلن أنها ستغلق المصنع، والعمال حيارى.. وبعد إلحاح قبلت الادارة خضوع العمال لشروط مجحفه.. لا حوافز، لاأجر إضافي.. وطرد عدد من زملانا من المصنع إلى عمل إدارى.

هذه تجربة يجب أن توضع في الاعتبار. ويجب أن نعرف من الآن: ليس كل من يرتدى ثياباً ثورية، يكون ثورياً بالضرورة. ليس كل أضراب يكون في صالح العمال، وعلينا أن نفرق من الآن وبحرص شديد بين إضراب مفيد، وإضراب ضار. وهو مالم يكن موجوداً من قبل.

كذلك هناك إضربات خادعة لأنها لصالح «الرأسمالية». رجال أعمال نهبوا أموال البنوك، وإذا ما حاولت البنوك إقتضاء حقها، دفعوا عمال مصانعهم إلى الاضراب والتظاهر والاحتجاج، وتنظيم مسيرات إلى مجلس الوزراء ومجلس الشعب .. فالبنوك إن صممت على أخذ حقها..

المصنع سيغلق أبوابه، والعمال سيشردون، وهكذا أتقن رجال الاعمال المصريون لعبدة اللعب «بالبروليتاريا» لحسابهم . والغريب أن هذه المسيرات والاضراب بالذات تجد قبولا من جهات الأمن، ولا يتعرض لها أحد.

والأمثلة عديدة.. والمطلوب هو أن نفهم الواقع، والا نقع في الفخ فنوقع معنا عمالا بسطاء وثقوا بنا.

ومرة أخرى ليس معنى ذلك أننا ضد أى إضراب. بل على العكس فإن الاوضاع المتردية والتى تزداد تردياً تتطلب منا عملا حازماً، وثورياً حقاً. وتتطلب تنظيم كافة أشكال الاحتجاج والاعتصام والاضراب.. ولكن عندما بكون ذلك مفداً.. ومكنا.

كذلك فإننا بحاجة إلى أن نتقن فن العمل العمالى الهادئ فيما يصطلح على تسميته بالمن الجديدة، فمصانع هذه المدن التى تمتلكها غالباً رأسمالية رثة لا تؤمن بأى قيم أو أى قانون .. تفرض على العامل وقبل أن يوقع عقد العمل، أن يوقع على إستقالته.. وتحصل علي توقيعه على إستمارة ٢ [الاستمارة التى يبلغ فيها صاحب العمل والعامل معاً لهيئة التأمينات الاجتماعية إنهاء التعاقد] وأحيانا يجبر على التوقيع على شبك على بياض، وهي تحرم العمال من أية تكوينات نقابية، وهي تضغط الآن من أجل مزيد من الاجحاف بحقوق العمال في

قانون العمل الموحد..

فى وضع كهذا، كيف نعمل؟ كيف نقيم لانفسنا قاعدة عمالية في هذه المدن التي هي بالضرورة - شئنا أم أبينا - حاضنة الطبقة العاملة الجديدة [فبعد إنهاء عملية الخصخصة لن يبقى لنا سوى هؤلاء].. إن أي تعجل أو إساءة إستخدام للشعارات قد يؤدى إلي تدمير بذور نشاطنا الجديد في هذه المواقع، فالرأسماليون هناك متوحشون، وفي أيديهم إستقالات مسبقة للعمال، والعمال هناك يحصلون علي أجور ذات مستوى أعلى من نظرائهم.. وإن فقدوا العمل فلا أمل أمامهم .. فسوق البطالة المتسع يحلق فوق رؤوس الجميع. ومن ثم فمن الضرورى أن نعمل في هذه المواقع بهدوء وحذر حتى تستقر قواعدنا هناك، وتكون قادرة على فعل حقيقى ومؤثر.

.. وأخيرا، أقر وأعترف اننا بحاجة إلى تحرك أكثر، ولكن أعقل. أكثر فعالية ولكن أكثر إتقاناً.

ولم يكن ما سبق من أمثلة، سوى أمثلة، لا أقصد بها إحباط أحد فهناك عشرات الأمثلة لاضرابات واعتصامات وتحركات ناجحة تماماً، وحققت للعمال بعضاً من مكاسب. والفارق هو الدقة والاتقان وأن تعرف متى، وأين؟ . وأن نعرف الفارق بن فعل مفيد، وفعل غير مفيد.

* * *

وأكاد ألمح إبتسامة ساخرة على شفاه قراء عديدين. ها أنت تنسى ما وعدت به من موضوعية ولجأت إلى المديح والمباركه والتبرير.. ولم تقل بخطئ أو شبه خطأ.. أو ليس تجمعكم هذا قادراً على الخطأ؟ وأجيب بالقطع. أخطأنا، ونخطئ، وسنخطئ.

بل إن أخطاءنا كثيرة ومريرة.

ولتبدأ بالسياسة، نحن نعانى ولم نزل من ذلك العشق اليسارى، القديم للعموميات. نطلق شعارات عامة، هى صحيحة تماماً لكنها لا تحرك أحداً، أو تؤثر فى أحد. كمثال.. نحن مثلا نطلق شعارات حول «إصلاح التعليم» هذا كلام عام، بل عام جداً، نحن نقوله، والحكومة تقوله، والجماهير تستمع إليه من مختلف الاتجاهات، بل وحتى «الاخوان المسلمون» يقولونه [ولكنهم يضمرون «إصلاحا» على مذاقهم هم، أو وفق رؤيتهم هم] فكيف لهذه الألفاظ العامة أن تؤثر في أحد؟

والحقيقة أننا هنا نخلط ما بين الفلسفة والسياسة. في الفلسفة نتكلم فيما هو عام فقط، فإن دخلنا في التفاصيل أخطأنا، لأن الفلسفة ما وضعت لذلك. أما في السياسية فأنت يتعين عليك أن تتجاوز ما هو عام لتأتى إلى ما هو خاص. إلى ما يهم الناس، ما يوجعهم يومياً.. ففي التعليم مثلا. يتعين علينا أن نتحدث عن الدروس الخصوصية وزيادة السنة السادسة للتعليم الابتدائي، وعن مسألة تحسين المجموع .. الغ،

أما العموميات فهى شعارات عابرة للقارات، تأتى من بعيد، وتذهب إلى بعيد، ولا تؤثر في أحد.

نحن إذن نتفلسف ولا نقول سياسة. وقول السياسة ليس أمراً سهلا، لأن التفاصيل تتطلب منك فهما عميقاً للواقع، وفهماً أعمق للمشكلة وأدوات حلها.. ولهذا فالشعار العام هو مهرب وليس مرفاً.

وإذا أتينا إلى ساحة العمل الجماهيرى نجد أننا مقصرون. فلسبب ما، رعا الإدعاء بأننا مهتمون بالعمال والفلاحين.

قمنا يتفكيك أمانة العمل الجماهيرى، وحل محل محلها « أمانة العمال» و« أمانة الفلاحين»، وهناك أيضا جناحان «إتحاد النساء التقدمى» و«إتحاد الشباب التقدمى». وإنساقت كل هذه التجمعات الاربع كل في طريق. لاضابط لا تنسيق، لارؤية شاملة، لاتوجه جمعى... فنحن نعمل في العمال بخطه، غير خطة الشباب، غير خطة النساء.. وهكذا. لقد إفقتدنا الخطة الاستراتيجية الشاملة للعمل وسط الجماهير، وإفتقدنا القدرة على رسم تكتيك جماعي لعمل جماهيري يكمل بعضه البعض علي المدى القومي. ولأننا في التجمع ديقراطيون أكثر مما يجب فقد تركنا كل مجموعة تعمل على هواها بدعوى أن أهل مكة أدرى بشعابها، أوبدعوى حق المنظمات الحزبية في تحديد خطط عملها..

هذا الامر يحتاج إلى تصويب.. حاسم وعاجل.

وفي العمل التنظيمى قلت أننا ديقراطيون أكثر عما يجب. فمثلا يرشح الزميل نفسه عضواً في اللجنة المركزية وينجح لأننا نترك آليات الانتخاب دون أى تدخل. ثم يختفى لأربع سنوات [يختفى من حضور الاجتماعات ومن الفعل التنظيمى] ثم يحضر إلى المؤقر التالى، يتحدث حديثا حلواً، أو قاسياً، يتشدد، أو يغازل القاعة ويرشح نفسه وينجع .. ثم لا يفعل شيئا. وهذا خطأ وخطر لأنه يستخدم الديمقراطية ليفسد الديمقراطية ولأن يحتجز لنفسه مكانا كان يمكن أن يشغله من هو أكثر العالمية. وهكذا هناك أخطاء عديدة عمائلة لابد من أصلاحها لاتحياً.

ولأننا ديمقراطيون أكثر من اللازم. نترك للمنظمات الحزبية حرية الفعل المنظل أو حتى عدم الفعل. فمثلا «إتحاد الشباب التقدمي» بدأ بصيغة إيجابية، تولت المسئولية فيه عناصر مدربة، قادرة، فاعلة تلقنت فنون العمل الشبابي في منظمة الشباب. ثم أتى جيل فجيل، وأتى شبان قليلي الخبرة تولوا وحدهم تماما زمام المسئولية، ونحن نعتبر أنه من الخطأ أن نفرض عليهم أحداً من خارجهم ليوجههم، ليسهم معهم في حل المشكلات، او ليوجههم لحل الحلاقات. تركناهم حتى أوشك عملنا حل المشكلات، او ليوجههم لحل الخلاقات. تركناهم حتى أوشك عملنا الشبابي أن ينقرض. ثم فتشنا في اللائحة، ومع بعض التعسف تدخلت القيادة لتنقذ ما يكن إنقاذه، فإزدهر العمل الشبابي من جديد أو

أوشك.

نحن نخلط بين الديمقراطية في المجتمع، والديمقراطية في الحزب، في المجتمع يصلح شعار وإن آليات الديمقراطية تقوم بذاتها بتصويب الاخطاء وإستبعاد المخطئين ولكن في الحزب عندما يأتى موعد التصويب، أي الانتخاب يكون العمل قد إنهار، وإنتهى، ولا أمل في اصلاح ما هو موجود.

ولست أقصد بذلك نقد ديمقراطيتنا الحزيبة، ولا أدعو لتضييق الحناق عليها، فقط أعتقد أننا بحاجه إلى آليات أكثر فعالية، وبأسلوب ديمقراطي أيضا، لتصويب الأخطاء.

فلم لا يكون من حق القياده إستبعاد كل من لا يحضر ٠٥٪ على الأقل من اجتماعات المستوى الحزبي، إستبعاده من حق الترشيح في الانتخابات الحزبية المقبلة؟ أليست هذه ديمقراطية أكثر عقلا؟. ولم لا يكون للقيادة أن تدعو وفي أي وقت تراه ضرورياً إلى مؤتمر طارئ للمستوى الحزبي السئ الأداء، لتشرح الامر للاعضاء، وتضعه أمام نظرهم، فقد ينتخبون قيادة جديدة. أو قد يصححون أداء القياده ذاتها.

هل أتحدث عن أخطاء أخرى..

عملنا الطلابي ضعيف جداً.

عملنا الفلاحى أشد ضعفاً [وقد إخترعنا شيئاً أسميناه إفتعالا إتحاد الفلاحين - تحت التأسيس - وظل كما هو لافته بلا فلاحين وبلا تأسيس]..

كذلك نحن بحاجة إلى أسلوب جديد لادارة الاجتماعات، كى تغلو من الثرثرة والكلمات الكبيرة التى لا يستوعبها العضو الجديد، وتشعره بالملل وتدفعه إلى الهرب. إجتماعاتنا عملة وردثية إلادارة، وخالية من الالهام، ومن الفعل المباشر المفعم بالحيوية، الامر الذى يجعل من الحزب مصفاة كبيرة، تتلقى أعضاء كثيرين جدداً، وتفقد عديداً منهم ويسرعه. ولا يتبقى إلا من قرر أن يحتمل. أما إجتماعات المستويات الاعلى [المؤقر واللجنة المركزية] فإن كثره الحديث من عدد محدود يريد أن يتكلم في كل شئ، ومن زمالاء يريدون أن يسمعوا أنفسسهم ، لا أن يسمعوا رأيهم، تجهض ديقراطية الاجتماع.

ثم.. كم أقنى أن نصاب جميعا بمرض جميل أسمه «الكستروفوبيا» أي «فوبيا الاماكن المغلقة» هذا المرض الجميل نحن في أشد الحاجة إليه، فلقد فرض علينا النظام ولم يزل أن نظل سجناء في مقارنا .. فنقول ما نشاء في مقارنا، نجتمع ، نصرخ، نتحدى، نتجاوز الحدود أحياناً. لا بأس، مادمنا أسرى داخل المقار.

ورويداً رويداً إعتدنا على ذلك، أخذنا نخشى الاماكن المفتوحة،

نستسهل القول والفعل والتجمع داخل المقار.. مع أن بالامكان.. أن ننفذ ولو من ثقب إبرة نحو العالم المتسع.. الشارع.

فهل من سبيل لأن نصاب بالمرض الجميل، مرض كراهية الأماكن الغلقة؟

* * *

ولكن البعض وحتى من زملاننا لا يكتفى بذلك كله ويقول حسنا أنتم تفعلون، تقولون، تنتقدون، ولنقل أنكم لا تتهادنون، ولكن أنتم تتفاهمون مع الحكم.

وهل في ذلك عيب؟ هل ثمة عيب في أن نتفاهم مع الحكم؟ بل هل يكن أن ترفض التفاهم إن عرض عليك ؟.

وهو - للأسف - لا يعرض علينا التفاهم إلا فى زوايا محدودة جداً.. ليس لأننا لسنا أهلا لذلك، وانما لأن دوائر حاكمة ليست أهلا لأى تفاهم. فإن أتيح التفاهم تفاهمنا، عرضنا رأينا بكرامة وإعتزاز، وإستمعنا لرأيهم بكرامة وإعتزاز. فان وصلنا إلى مشترك كان بها. وإلا فلكل سبيل. فأى عيب فى ذلك؟

أقول أى عيب؟ وأنا أقرر أن العيب كامن عند بعض الدوائر الحاكمة، فهى تكاد تخشى أى قدر من التفاهم، وتكاد تتمنى أن تستيقظ يوماً فلا تجدنا على الخريطة. وإن كان بعض منهم يؤمن بأهمية التفاهم ويسمعى إليمه. وليس من الحكمة ولا من الصواب، ولا من الاحترام الواجب أن نغلق باباً في وجه من يريذ التقاهم. طالما أن أحداً لا يفرض -ولا يستطيع ان يفرض - علينا ما لا نقبل.

ويتحدث البعض عن صفقة إنتخابية.. وأقول تأملوا من إستطاعوا أن يقتحموا حقل النار الملتهبة ليفوزوا بمقعد في مجلس الشعب. من منهم لم يكن يستحقه بفوز جماهيرى ساحق؟ بل تأملوا من سقطوا، وستجدون كشيرين كانو جديرين بالفوز وبالفوز الساحق.. لولا التدخلات. فأية صفقة هذه؟

* * *

وأخيرا نحن لا نضيق بالنقد. بل لقد إعتدنا عليه حتى من زملاننا. بل لعل إجتماعاتنا تشهد في بعض الاحيان حالات مرضية من جلد الذات. فالبعض لا ينظر إلينا، وإلى ما نفعل إلا بعين واحدة.

عين لا ترى إلا الاخطاء الصحيحة أو المصطنعة، لا ترى إلا ما هو سلبى ، وإن لم تجد ما يسعفها ، إخترعت.

. لكنها وفي كل الاحوال لا تري الايجابيات.

لاترى أننا قد رسمنا على خريطة الوطن وشماً لا يمحى لليسار المصرى. أصبح اليسار بنا، ومعنا جزءً هاماً وفاعلاً من نسيج هذا الوطن. أصبحنا ملح الارض. موجودون. فاعلون. متداخلون. متغلغلون

في مناحى الشان المصرى. إن قلنا أنصت الجميع، قيد لا يوافيقون، ولكنهم وبلا شك يحترمون رأينا.

وحتى النتائج المتواضعة فى إنتخابات مجلس الشعب لاندرك قيمتها الا بالمقارنة بالآخرين فحزب الوفد، ذو التراث المكين، والتأثير التاريخي نال ما إنتهى فى نهاية المطاف إلى أربعة مقاعد..

وبرغم كل شئ،. وبرغم كل النواقص، لا أحد يستطيع أن يتجاهل أننا وبفضل سياسات عاقلة ومتزنة قد أصبحنا وبالفعل حزباً يتمتع باحترام واسع وسط أوساط اجتماعية متسعة، يختلفون معنا لكنهم، يحترموننا، يحترمون وموزنا، ويحترمون جريدتنا، بل ويؤكد الكثيرون منهم أنها الأكثر إحتراما، والاكثر صدقاً ومصداقية.

وهذا كله لا يكفى فنحن بحاجة إلى جهد أكبر بكثير كى نصحح الاخطاء وهى كثيرة، وما أوردته منها فيما سبق ليس الا ناذج.. مجرد غاذج.

* * *

ويبقي سؤال أخير هل للتجمع مستقبل؟ واجيب وبلا تردد. التجمع هو المستقبل.

خاتهه

وما من حاجة إلى خاتهة.. فنحن في البداية لم نزل.. والطريق لم يزل طويل طويل..

مراجع الفصل الأول الماركسية عبر أكثر من ولادة.

و مؤلفات باللغة العربية ومترجمة.

- أحمد حمروش- قصة ثورة يوليو خمسة أجزاء.
- أمين عز الدين تاريخ الطبقة العاملة منذ نشأتها حتى ثورة ١٩١٩.
 - بوزويف، غرونوف ما هي الماركسية؟.
- تبخرن بافلوف متى يلحق الاتحاد السوفيتي بالولايات المتحدة ويسبقها؟.
 - تيوردور روز نشتين دمار مصر.
 - خليل سعاده (بك] أسرار الثورة الروسية.
 - دافيد لاندز بنوك وياشوات.
 - رفعت السعيد [دكتور] كلام في السياسة.
 - رفعت السعيد [دكتور] الأساس الاجتماعي للثورة العرابية.
- رفعت السعيد [دكتور] تاريخ الحركه الشيوعية المرية (خمسة مجلنات).
 - رفعت السعيد [دكتور]- تاريخ الصحافة اليسارية المصرية [جزا من].
 - رفعت السعيد [دكتور] الجرعة وثائق إغتيال شهدى عطية الشافعي.
 - رفعت السعيد [دكتور] عصام الدين حفني ناصف.
 - رؤوف عباس [دكتور] الحركة العمالية في مصر ١٨٩٩ ١٩٥٢.
 - ستراشون التمثيل الشعبي الاشتراكي.
 - سعيده محمد [دكتوره] دور الأرمن ضد ثورة ١٩١٩ [غير منشور].
 - سلامة موسى تربية سلامة موسى.
 - سلامه موسى الاشتراكية
 - شبلي شميل [دكتور] الاعمال الكامله [مجلنان]
 - صلاح عزام مارس ١٩١٩ الدامي والقلاحون.
 - طاهر عبد الحكيم الاقدام العارية.
 - عباس محمود العقاد مطالعات في الادب والسياسه.

- عيد الرحمن الرافعي مذكراتي،
- عبد الرحمن الرافعي محمد قريد.
- عبد المنعم الغزالي تاريخ الحركة النقابية ١٨٩٩ ١٩٥٢.
 - على رفاعة الانصارى في طريق الحرية.
 - فتحى عبد الفتاح [دكتور] شيوعيون وناصريون.
 - فريدريك إنجاز عيد الامم في لندن.
 - كارل ماركس ، فريدريك إنجلز الاعمال الكامله جـ ١
 - لينين المؤلفات الكاملة ج٣١ ج٣٧ ج٣٧
 - لينان رسائل من بعيد.
 - لينين الثورة البروليتارية والرتد كاوتسكى،
 - لينين الشيوعية اليسارية عبث أطفال.
 - لبنان بصدد الماركسية.
- لينين ~ رسائل إلى منظمات الحزب في روسيا (١٩٠٢ ١٩٠٤).
- مارسيل شيريزى تقرير عن تاريخ الشيوعية المصرية (مخطوط) [مودع في أرشيق الحزب الشيوعي الإيطالي].
 - مصطفى طيبه رسائل سجين سياسي إلى حبيبته.
 - محمد أنس [دكتور] أسرار ثوره ١٩١٩،
 - محمد حسين هيكل وآخرون السياسة المصرية والانقلاب الأخير.
 - مهرو بيرجر البيرقراطية والمجتمع في مصر الحديثة.
 - ولى الدين يكن الصحائف السود.

ه وثائق وقواميس.

- دستور الملكة المصريه ١٩٢٣.
- الدستور مجموعة الاعمال التحضيرية لنستور ١٩٢٣ [مجلس الشيوخ ١٩٤٠].
 - الارشيف العام لوزارة الداخلية البريطانية ١٩٢١ المتحف البريطاني.

- . أرشيف وزاره الداخليه المصريه ١٩٢١.
- تقرير إتهام مقدم من النيابة العمومية لحضرة قاضى الاحاله بمحكمة الاسكندرية في قضية، الجناية رقم ٣٩٣ - محرم بك ١٩٢٤.
- حيثيات حكم محكمة جنايات الاسكندرية في قضية الشيرعية المتهم فيها محمود
 حسني العرابي وآخرون ١٩٢٤.
- سبانو . تقرير عن أوضاع ألحركة الشيوعية المصرية عام ١٩٣٥ [مودع في أرشيف الحزب الشيوعي الايطالي].
- مجموعة وثائق منظمة الحركة الديقراطية للتحرر الوظنى (حدتو)، والحزب
 الشيوعى الموحد، والحزب الشيزعى المصرى (حدتو) (مودعه ضمن أرشيف
 معهد الدراسات الاحتماعية أمستدوام]
 - محفظة رقم ١٠٥ داخلية أفرنكي (١٨٩٤) دار الوثائق المصرية.
 - معجم البناء الحزبي [دار التقدم موسكو].

• مؤلفات أجنبية:

- Afaf Lutfi Alsayyid Egypt and Cromer.
- J stalin Marxism and the national and colonial question.
- Lord LLoyed Egypt Since Cromer.
- M.s. Agwani Communism and Nationalism In the Arab East.
- Murius Deeb Party Politics in Egypt, wafd and its rivals, 1919 -1939.
- P.M.holt Political and Social Changes in Modern Egypt.
- Suliman Bashear Communism in The Arab East. 1918 1928.
- Tareq ismail & Rifaat Elsaid ~ The Egyptian Communist movement 1920 - 1988,
- Nicolas Paparidoti Petit Resume de movment Politique grec en Egypte.
- W.laqueur Communism and Nationalism in The Middle East.

• صحف ودوريات:

- International press Correspandance 1923 1928.
- The Communist international 1939.
- The Labour Monthly 1924.

مراجع الفصل الثاني

التأسلم السياسي ورواهده الاخوان السلمون

• مؤلفات باللغة العربية ومترجمة.

- أبر الأعلى المودودي - نظريه الاسلام السياسية.

- أبو الحسن الندوى - مذكرات ساتح في الشرق العربي.

أحمد أنس الحجاجي ~ روح وريحان.

- أحمد أنس الحجاجي - الرجل الذي أشعل الثوره.

- أمين عز الدين - تاريخ الطبقة العامله منذ نشأتها حتى ١٩١٩.

- أنور الجندي - قائد الدعوة ، حياة رجل، وتاريخ مدرسة.

- أنور الجندي - الاخوان المسلمون في ميزان الحق.

- جراثم عصابة الاخران - مجموعة كتاب.

- جمال الدين الافغاني - خاطرات جمال الدين.

- جمال الدين او فقائي - عاطرات جمال الدين.

- جمال سليم - البوليس السياسي يحكم مصر.

- حسن البنا - رسائل المؤتمر الخامس.

- حسن البنا - القول الفصل.

- حسن البنا - الرسائل الثلاث.

- حسن الينا - مذكرات الدعوة والداعية.

- حسن البنا - مجموعة الرسائل.

- حسن البنا – رسالة التعاليم.

- حسن البنا - بين الأمس واليوم.

- زينب الغزالي - أيام في حياتي.

- زكريا البيومي [الدكتور] - الاخوان المسلمون والجماعات الاسلامية.

- رفعت السعيد [الدكتور] حسن البنا، متى وكيف ولماذا؟
- رفعت السعيد [الدكتور] صفحة من تاريخ جماعة ألاخوان.
 - رفعت السعيد [الدكتور] ضد التأسلم.
 - رفعت السعيد [الدكترو] والصمت لا.
 - رشيد رضا تاريخ الاستاذ الامام.
 - رشيد رضا الخلاقه أو الامامة العظمي.
 - رشيد رضا تفسير القرآن الكريم.
 - رشيد رضا الوحى.
 - سيد قطب معالم في الطريق.
 - سيد قطب في ظلال القرآن.
 - سيد قطب مقومات التصور الاسلامي.
 - شيلي شميل [الدكتور] فلسفة النشوء والارتقاء.
 - شبلي شميل [الدكتور] مجموعة الأعمال (مجلدان)
 - شكرى مصطفى التوسمات (مخطوط).
 - صفوت منصور المنهج الفكرى للعمل الاسلامي.
 - صلاح شادى الشهيدان حسن البنا وسيد قطب.
 - حارج تعادي السهيدان حسر
 - صلاح شادي حصاد العبر.
- طارق البشري الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ ١٩٥٢. [الطبعة الأولى].
 - عبد الخبير الخولي قائد الدعوة الاسلامية، حسن البنا.
 - عبد الرحمن الرافعي في أعقاب الثورة المصرية.
 - عبد القادر عوده التشريم الجنائي الاسلامي.
 - عصام حسونه ٢٣ يوليو وعبد الناصر .
 - على جريشه [الدكتور] أصول الشريعة الاسلامية.
 - محمد حسن أحمد الاخوان المسلمون في الميزان. [إسم سرى].
 - محمد حبيب أحمد نهضة الشعرب الاسلامية في العصر الحديث.
 - محمد صبيع مواقف حاسمة في تاريخ القرمية العربية.

- محمد الغزالي الاسلام والاوضاع الاقتصادية.
- محمود عبد الحليم الاخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ.
 - محمود الصباغ حقيقة التنظيم الخاص.
- موسى إسحق الحسيني الاخوان المسلمون، كبرى الحركات الاسلامية الجديثة.
 - ولى الدين يكن المعلوم والمجهول.
 - ولى الدين يكن التجاريب.

• كتب تراثية وقواميس

أبو بكر الطرطوشي - سراج الملوك.

إبن الاثير - الكامل في التاريخ.

- إبن حزم الفصل.
- الشاطيي شطب الموافقات.
- المبرد الكامل في اللفة والأدب.
 - مختار الصحاح.

• أوراق قضائية ووثائق.

- الامر العسكرى رقم ٦٣ لسنة ١٩٤٨ بحل جماعة الاخوان السلمين ٨ ديسمبر
 ١٩٤٨. والمذكرة التفسيرية المقدمة من عبد الرحمن عمار بك وكيل وزارة
 الداخلية.
 - البرنامج التثقيفي لجماعة الاخوان المسلمين.
- رسالة من خالد محيى الدين عضر مجلس الثورة إلى حضرة المحترم جمال عبد
 الناصر وكيل مجلس قيادة الثورة مثرخة في ١ ٣ ١٩٥٣ (خطية)
- محصر أقوال الشيخ محمد الغزائي أمام محكمة أمن الدولة العليا في قضية إغتيال الدكتور فرج على فوده.
- محضر تحقيق النيابة في القضية رقم ١٧ لسنة ١٩٦٥ أمن دولة عسكرية عليا، المتهم فيها سيد قطب وآخرون.

- محضر تحقيق النيابة في الجنابة رقم ١٠٧١ لسنة ١٩٥٢ والخاصة بمقتل حسن البنا.
 - محاكمات الثورة الكتاب الأول محاكمة ابراهيم باشا عبد الهادى.
 - محاضر محكمة الشعب ا لكتاب الثاني، والثالث والرابع.
 - [المتحف البريطاني] F.o. 371 73474 13597).(1949]

و صحف ودوريات

- الأخبار ١٩٠٣.
- الأضار ١٩٧٣.
- البصير ١٨٧٨.
- آخ ساعه، ۱۹۶۸.
- الأخران السلمون ١٩٤٥ ١٩٤٦.
- النعرة ١٩٥١ ، ١٩٥٢ ، ١٩٥٢ ، ١٩٥٤ ، ١٩٧٧ ، ١٩٨٠ .
 - الماحث ١٩٥١.
 - السلمون ۱۹۵۳.
 - المري ١٩٤٨.
 - الصور ۱۹۵۲ ۱۹۵۵.
 - المقتطف ١٨٧٦.
 - الوقد المصرى ١٩٤٦.
 - الهلال ۱۹۹۸.
 - الندير ١٩٣٨ ١٩٣٩.
 - .197A Jun -
- Cahiers de L' orient Contemporaine (1940)
- Monde non Chretien. (1923).

ه مؤلفات أجنبية،

Adams - Islam and modernism in Egypt.

Badawi, Zaki - les Probleme du travail et les organisations ouvries.

- Berger, M. The Arab World today.
- Bohem Jaeob Les Freres Mouselmane.
- Binin and Lockman Workers on the Nile.
- Hayworth, dune Religous and Political trends in Egypt.
- Hourani, Albert Arabic thought in the Libral age.
- Khadduri, M.- political trends in the Arab World.
- Mitchel, R. The Society of Muslim Brothers.

Resner ,Lawrance - Etenal Stranger - the Pilot of modern jew From Bagdad to Casablanca.

- Wheellook, Kwith - Nassers New Egypt.

مراجع الفصل الثالث الناصرية .. الاسطورة والواقع

ه مؤلفات باللغة العربية ومترجمة:

- أجاراشيف عيد الناصر.
- أسعد عبد الرحمن (الدكتور) البيروقراطية والثورة وتجربة البناء الداخلي.
 - أنيس صايغ (الدكتور) قضايا عربية (إشراف).
 - أنيس منصور في صالون العقاد.
 - أنتوني ناتنج ناصر.
 - إيجور بيليايف وبرعاكوف مصر في عهد عبد الناصر.
 - -- جمال عبد الناصر -- فلسفة الثورة.
- رفعت السعيد (الدكتور) تاريخ الحركة الاشتراكية المصريه ١٩٠٠ ١٩٢٥.
 - رفعت السعيد (الدكتور) تأملات في الناصرية.
 - رفعت السعيد (الدكتور) أوراق ناصريه في ملف سرى للغاية.
 - رفعت السعيد (الدكتور)، وآخرون عيد الناصر وما بعد.
 - رفعت المحجوب (الدكتور) النظام الاشتراكي في الجمهورية العربية المتحدة.
 - طلعت عيسى (الدكتور) نظرية الاشتراكية العربية.
 - عبد المغنى سعيد الحركة النقابية، جذور النضال وأبعاده.
 - عصمت سيف الدولة (الدكتور) هل كان عبد الناصر دكتاتوراً؟
 - غليزرمان قوانين التطور الاجتماعي، طبيعتها وإستخدامتها.
 - صلاح مخيمر (الدكتور) النظرية العلمية للاشتراكية.
 - كمال رفعت وآخرون ٢٣ يوليو ، خمسة أبعاد.
 - ماركس وإنجاز المؤلفات الكاملة جـ ٣٧.
 - محمد حسنين هيكل ما الذي جرى في سوريا؟.
 - محمد الموبلحي حديث عيسي بن خشام.
 - مصطفى كامل السيد (الدكتور) المجتمع والسياسه في مصر.

• وثاثق وقواميس.

- برنامج التثقيف الأول أمانة ا لتنظيم الاتحاد الاشتراكي العربي.
 - تقرير لجنة المائة عن الميثاق الوطني.
 - حزب الاحرار الاشتراكيين البرنامج العام.
 - الحزب الوطني الديقراطي البرنامج الانتخابي (١٩٨٤).
 - حزب المستقبل (تحت التأسيس) البرنامج
 - حزب الوفد الجديد البرنامج.
 - الميثاق.
- جمال عبد الناصر الخطاب الافتتاحي للمؤتمر الوطني للقوى الشعبية (١٩٦١).
 - جمال عبد الناصر مجموعة خطب

• مؤلفات أجنبية

- Patric Seale The Struggie For Syria.
- P. M.Holt Political and Social Change in modern Egypt.
- Peter Mansfield Nasser's Egypt.
- R . Herir Dekmejian Egypt Under Nasser.

• صحف و دوريات

- الشعب ١٩٨٤. _
- الطلبعة ١٩٧٤.
- الطابق (لبنان) ١٩٧٢.
 - روز اليوسف ١٩٨٤.

صدر للمؤلف

- الأساس الاجتماعي للثورة العرابية .
 - تاريخ الفكر الاشتراكي في مصر.
 - -- كتابات في التاريخ .
 - صفحات من تاريخ مصر .
- صفحات من تاريخ جماعة الإخوان المسلمين .
 - نقولا حداد.
 - عصام الدين حفني ناصف .
 - ثلاثة لبنانيين في القاهرة .
 - -- محمد فريد ، الموقف والمأساة.
 - سعد زغلول .. بين اليمين واليسار .
 - -- سعد رسول .. بين اليسين رائيس
- مصطفى النحاس .. السياسي والزعيم والمناضل .
 - حسن البنا .. متى وكيف ولماذا ؟: - أحمد حسن .. كلمات ومواقف ..
 - , ... Oʻmb mb.
 - تأملات في الناصرية .
 - أوراق ناصرية في ملف سرى للغاية.
- تاريخ الحركة الاشتراكية في مصر ١٩٠٠ ١٩٢٥.
 - اليسار المصرى ١٩٢٥ -١٩٤٠.
 - تاريخ المنظمات اليسارية المصرية ١٩٤٠-١٩٥٠.

- منظمات اليسار المصرى ١٩٥٠-١٩٥٧.
- - الصحافة اليسارية في مصر ج١ ١٩٢٥ -١٩٤٨.
 - الصحافة اليسارية في مصر ج٢ ١٩٥٠ ١٩٥٢.
 - هكذا تكلم الشيوعيون.
 - أرشيف اليسار (سيرة ذاتيه لمناضلي اليسار)
 - الجريمة وثائق اغتيال شهدى عطيه الشافعي .
 - ماركسية المستقبل.
 - كتابات عن الماركسية.
 - ماذا جرى لصر؟.
 - مصر مسلمان وأقباطاً.
 - والصمت لا ..
 - الارهاب .. إسلام أم تأسلم ؟.
 - المواجهة بين رفعت السعيد وعادل حسين.
 - ضد التأسلم .
 - التأسلم فكر مسلح .
 - اليسار ، الديقراطية ، التأسلم .
 - مجرد ذكريات (ثلاثة أجزاء)
 - التنوير عبر ثقب إبرة.

- العلمانيه بين الاسلام والتأسلم.
 - كلام في السياسة
- السكن في الأدوار العليا (رواية)
 - البصقة (رواية)
 - رمال (روايد)
- The Communist movement in Egypt 1920- 1988-(with other.)
- Contre L'integrisme islamiste- (with others).

• ترجمات:

- اضواء على الهند الصينيه مالكولم سالمون.
 - مسأله الأمه يلينامودر جنيسكايا.
 - الارض (روايه) إميل زولا -

فهرس

0	بىدايىــە
۲۷	الماركسية عبر أكثر من ولاد
140	التأسلم السياسي ورواقده الاخوان المسلمون
107	الناصرية الاسطورة . والواقع
	التجمع ملتقى طرق وليس مفترق طرق
	مبراجع الفيصل الأول
474	مراجع القصل الثاني
۳٦٨	مراجع القصل الثالث
۳۷۱	صد للمالف

رقـــم الإيداع : ٢٠٠٢/١٥٢٥٥ الترقيم الدولى : ٥-22-5130-977



لقد أدركنا منذ البداية أن تكوين فقافة المجتمع تبيداً بتأصيل عادة القراءة، وحب المعرفة، وأن المعرفة وسيلتها الأساسية هي الكتاب، وأن الحق في القراءة يماثل تماماً الحق في التسعيم والحق في الصحفة.. بل الحق في الحياة نفسها.

سوزار سإدلث

سعر النسخة جنيه